# لمسات بيانية في نصوص من التنزيل

للدكتور / فاضــل صالـح السامرائــــــي
أستاذ النحو في جامعة الشارقة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. وبعد، فهذه جملة من نصوص التنزيل العزيز سُئلت عن سر التعبير في بعضها واخترت بعضها من سور متعددة لأبيّن طرفاً مما فيها من أسرار تعبيرية ولمسات فنية لعل فيها نفعاً لدارسي القرآن ولتكون خطوة أخرى بعد كتاب التعبير القرآني في بيان شيء من أسرار هذا السِّفر العظيم كتاب الله الخالد.

قال لي بعضهم بعد أن اطلع على كتاب (التعبير القرآني) لو أسميته (الإعجاز القرآني) .

فقلت له: هذا عنوان أكبر مني وأنا لا أستطيع أن أنهض ببيان الإعجاز القرآني ولا بشيء منه وإنما هو دراسة في بيان شيء من أسرار التعبير القرآني العظيم الذي لا تنتهي عجائبه.

إن هذا الكتاب وكذلك كتاب التعبير القرآني ليس في بيان الإعجاز القرآني وليس هو خطوة واحدة في هذا الطريق وإنما هو خطوة في طريق قد يُصل السالك إلى طريق الإعجاز أو شيء من الإعجاز.

إن إعجاز القرآن أمر متعدد النواحي متشعب الإتجاهات ومن المتعذر أن ينهض لبيان الإعجاز القرآني شخص واحد ولا حتى جماعة في زمن ما مهما كانت سَعَةُ علمهم واطلاعهم وتعدد اختصاصاتهم إنما هم يستطيعون بيان شيء من أسرار القرآن في نواح متعددة حتى زمانهم هم، ويبقى القرآن مفتوحاً للنظر لمن يأتي بعدنا في المستقبل ولما يجدّ من جديد. وسيجد فيه أجيال المستقبل من ملامح الإعجاز وإشاراته ما لم يخطر لنا على بال.

وأضرب مثلاً لتعدد نواحي الإعجاز فإني سمعت وقرأت لأشخاص مختصين بالتشريع والقانون يبيّنون إعجاز القرآن التشريعي، ويبينون اختيارات الألفاظ التشريعية في القرآن ودقتها في الدلالة على دقة التشريع ورفعته ما لا يصح استبدال غيرها بها، وإن اختيار هذه الألفاظ في بابها أدق وأعلى مما نبيّن نحن من اختيارات لغوية وفنية وجمالية.

وقرأت وسمعت لأشخاص متخصصين بعلم التشريح والطب في بيان شيء من أسرار التعبير القرآني من الناحية الطبية التشريحية ودقتها يفوق ما نذكره في علم البلاغة. فألفاظه مختارة في منتهى الدقة العلمية. من ذلك على سبيل المثال إن ما ذكره القرآن من مراحل تطور الجنين في الرحم هي الذي انتهى إليها العلم مما لم

يكن معروفاً قبل هـذا العصر مما دعا علمـاء أجـانب إلى أن يعلنـوا إسـلامهم. وليس ذلك فقـط، بل إن اختيـار تعبـير (العلقـة) و (المضغة) – مثلاً أعجب اختيار علمي.
فاختيار التعبير بـ (العلقة) اختيار له دلالته، فـإن المخلـوق في هـذه المرحلة أشـبه شـيء بالعلقة وهي الطفيلية المعروفـة. وكـذلك التعبـير بـ (المضـغة) فالمضـغة كما قرأنا في كتب التفسـير، هي القطعة من اللحم قـدر ما يمضغ الماضـغ. ولكن لاختيـار كلمة (مضغة) سبب آخـر، ذلك أن المضـغة هي قطعة اللحم الممضـوغة أي التي مضغتها الأسـنان، وقـد أثبت العلم الحـديث أن الجـنين في هـذه المرحلة ليس قطعة لحم عادية بل هو كقطعة اللحم الـتي مضغتها الأسنان، فاختيار لفظ المضـغة اختيـار علمي دقيـق. إنه لم يقل "قطعة لحم صـغيرة" ولو قـال ذلك لكـان صـواباً ولكن قـال: مضغة لما ذكرت وربما لغيره أيضاً والله أعلم.
وقـرأت فيما توصل إليه علم التـاريخ وما دلت عليه الحفريـات الحديثة من أخبـار ذي القـرنين أدق الكلام وأدق الأخبـار ما لم يكن يعرفه جميع مفسـري القـرآن فيما مضى من الزمـان. وأن الـذي اكتشـفه المؤرخون والآثـاريون وما توصـلوا إليه في هـذا القـرن منطبق على ما جـاء في القـرآن الكـريم كلمةً كلمة ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا القرن البتة.
وقـرأت في اختيـار التعبـير القـرآني لبعض الكلمـات التاريخية كـ (العزيز) في قصة يوسف، وكاختيار تعبير الملك في القصة نفسـها، واختيار كلمة (فرعون) في قصة موسى، فعرفت أن هذه ترجمـات دقيقة لما كان يُستعمل في تلك الأزمان السحيقة فـ (العزيـز) أدق ترجمة لمن يقوم بذلك المنصب في حينه، وأن المصريين القـدامى كانوا يفرقون بين الملوك الذين يحكمـونهم فيها إذا كـانوا مصـريين أو غير مصريين، فالملك غير المصري الأصل كـانوا يسـمونه الملك والمصري الأصل يسـمونه فرعـون وأن الـذي كـان يحكم مصر في زمن يوسف  غير مصري، وهو من الهكسوس فسماه الملك، وأن الذي كـان يحكمها في زمن موسى  هو مصـري فسـماه فرعـون، فسمى كل واحد بما كان يُسمى في الأزمنة السحيقة.
وعرفت من الإشارات الإعجازية في مختلف العلوم كما في أسـرار البحار والضغط الجوي وتوسع الكون وبداية الخلق ما دعا كثيراً من الشخصيات العلمية إلى إعلان إسلامهم.
بل إن هنـاك أمـوراً لم تُعـرف إلا بعد صـعود الإنسـان ف الفضـاء واختراقه الغلاف الجوي للأرض، وقد أشار إليه القرآن إشـارات في

غاية العجب ذلك أن الإنسان إذا اخترق الغلاف الجـوي للأرض، وجد نفسه في ظلام دامس وليل مســتديم ولم تُر الشـــمس، إلا كبقية النجـوم الـتي نراها في الليـل. فالنهـار الـذي نعرفه نحن، لا يتعـدى حدود الغلاف الجوي فإن تجاوزنـاه كنا في ظلام لا يعقبه نهـار. وقد أشار إلى ذلك القرآن إشارة عجيبة في قوله (وَآَيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُـونَ (37) يس) فجعل النهـار كالجلد الـذي يُســلخ وأما الليل فهو الأصل وهو الكـــل، فشـــبّه الليل بالذبيحـــة، والنهار جلدها، فإن سلخ الجلد ظهر الليل فجعل النهار غلافاً والليل هو الأصل.
وقال: (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّـمَاءِ فَظَلُّوا فِيـهِ يَعْرُجُـونَ (14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَـوْمٌ مَسْـحُورُونَ (15) الحجـر) أي لو مكنّاهم من الصعود إلى السماء لانتهـوا إلى ظلام وقـالوا : ( سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ) وغير ذلك وغيره.
وعلى هذا فالإعجاز القرآني متعدد النواحي ؛ متشعب الاتجاهات ولا يزال الناس يكتشفون من مظاهر إعجـازه الشـيء الكثـير فلا غـرو أن أقـــول إذن أن الإعجـــاز أكـــبر مما ينهض له واحد أو جماعة في زمن ما.
إن التعبير الواحد قد ترى فيه إعجـازاً لغويـاً جماليـاً وتـرى فيه في الوقت نفسه إعجازاً علمياً أو إعجازاً تاريخيـاً أو إعجـازاً نفسـياً أو إعجازاً تربوياً أو إعجازاً تشريعياً أو غير ذلك.
فيأتي اللغوي ليبيّن مظـاهر إعجـازه اللغـوي وأنه لا يمكن اسـتبدال كلمة بأخرى ولا تقديم ما أُخّر ولا تأخير ما قُدّم أو توكيد ما نُزع منه التوكيد أو عمد توكيد ما أُكّد. ويأتيك العالم في التشريع ليقـول مثل ذلك من وجهة نظر التشـريع والقـانون ويأتيك المـؤرخ ليقـول مثل ذلك من وجهة نظر التاريخ، ويأتيك صاحب كل علم ليقول مثل ذلك من وجهة نظر علمه.
إننا نـدل على شـيء من مـواطن الفن والجمـال في هـذا التعبـير الفني الرفيع ونضع أيدينا على شيء من سُمو هذا التعبير ونـبيّن إن هذا التعبير لا يقـدر على مجاراته بشر بل ولا البشر كلهم أجمعـون، ومع ذلك لا نقـول إن هـذه هي مـواطن الإعجـاز ولا بعض مـواطن الإعجـــاز وإنما هي ملامح ودلائل تأخذ باليد وإضـــاءات توضع في الطريق، تدل السالك على أن هذا القـرآن كلام فـني مقصـود وُضع وضعاً دقيقاً ونُسج نسجاً محكماً فريـدا، لا يشـابهه كلام، ولا يـرقى إليه حديث (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (34) الطور).

أما شأن الإعجاز فهيهات ؛ إنه أعظم من كل ما نقول وأبلغ من كل ما نصف وأعجب من كل ما نقف عليه من دواعي العجب. إن هــذا القادم من الملأ الأعلى والذي نـزل به سـيدٌ من كبـار سـادات الملأ الأعلى فيه من الأسرار ودواعي الإعجاز ما تنتهي الدنيا ولا ينتهي.

قد ترى أن في قـولي مبالغة وادعـاء أو انطلاقـاً من عاطفة دين أو التهاب وجدان وليس بوسعي أن أمنعك من هذا التصـور، ولا أن أرد عنك ما ترى.

ولكن لو فتح القلب المقفل وأُوقد الســـراج المعطل وأشــــرقت بـالنور حنايا لم تكن تعـرف النـور ولا مست فـؤادك نفحة من روح الملك القـدوس وهبّت على أودية نفسك نسـمة من عـالم الـروح وسـمعت صـوتاً يملأ نفسك قادمـاً من بعيد من الملأ الأعلى يقـول (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَـدُ فَقَسَـتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16) الحديد) و (وَلَقَـدْ يَسَّـرْنَا الْقُـرْآَنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (17) القمر). فقفّ شعر بدنك واقشعرّ جلدك ومار فؤادك وتحركت السـواكن واضـطرب بين جنبيك ما اضـطرب والتهب فيه ما التهب وانهمرت الـدموع تسـيل في شـعاب القلـوب الـتي قتلها الظمأ وأقفرها الجفـاف تغسل الأوضـار وتـروي حبـات القلب وتُنَدّي اليَبَس وتُحيي المـوات فعند ذاك تـذوق ما لم تعهد له مـــذاقاً ولا طعمـــاً وتحسّ ما لم يكن لك فيه ســـابق معرفة ولا إحســاس وتصــيح بكل جوارحك قــائلاً والله لقد آن والله لقد آن! وعند ذاك تعــرف ما أقــول وتفهم ما أشــير إليه ولكن أنّى لي أو أصلك إلى هذا؟!

وكيف أوصـلك وأنا المنقطع ، وأعطيك وأنا المحـروم؟ ولا حـول ولا قوة إلا بالله.

إنما هي دلائل أضــعها في الطريق وإشــارات وصــوى وشــيء من خافت النور في مصباح ناضب الزيت غير نافع الفتيل عسى الله أن ينفع بها ســالكاً ويجنِّب العثــار ســارياً في الليل البهيم، فتنالنا منه دعوة صالحة تنعنا في عَرَصات القيامة.

وفي الختــام لا أجد خــيراً من أوصــيك ما أوصى به رســول الله ﷺ صاحبه أبا ذر وليكن ذلك منك على ذكر وإياك أن تنساه:

يا أبا ذر أحكِم السفينة فإنّ البحر عميق
وخفِّـفِ الحمـلَ فإنَّ العقبـةَ كؤُود
وأكثـرِ الزّاد فإنَّ السـفر طـويـل
وأخلـصِ العمـلَ فإن الناقـدَ بصير.

# لمسات بيانية في سورة الفاتحة

**الحمد لله:**

معـــنى الحمد : الثنـــاء على الجميل من النعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال ، فالحمد أن تذكر محاسن الغير سواء كان ذلك الثناء على صــفة من صــفاته الذاتية كــالعلم والصــبر والرحمة أم على عطائه وتفضله على الآخرين. ولا يكون الحمد إلا للحي العاقل.

وهــذا أشــهر ما فــرق بينه وبين المــدح فقد تمــدح جمــادا ولكن لا تحمده ؛ وقد ثبت أن المدح أعم من الحمد. فالمـدح قد يكـون قبل الإحســان وبعــده ؛ أما الحمد فلا يكــون إلا بعد الإحســان ، فالحمد يكـون لما هو حاصل من المحاسن في الصـفات أو الفعل فلا يحمد من ليس في صفاته ما يسـتحق الحمد ؛ أما المـدح فقد يكـون قبل ذلك فقد تمدح إنساناً ولم يفعل شـيئا من المحاسن والجميل ولــذا كـــان المـــدح منهيـــاً عنه ؛ قـــال رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم:"احثوا التراب في وجه المداحين" بخلاف الحمد فإنه مــأمور به فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من لم يحمد النـاس لم يحمد الله"

وبذا علمنا من قوله: **الحمد لله**" أن الله حي له الصفات الحسـنى والفعل الجميل فحمـدناه على صـفاته وعلى فعله وإنعامه ولو قـال المدح لله لم يفد شيئا من ذلك، فكان اختيار الحمد أولى من اختيار المدح.

**ولم يقل ســبحانه الشــكر لله** لأن الشـــكر لا يكـــون إلا على النعمة ولا يكـون على صـفاته الذاتية فانك لا تشـكر الشـخص على علمه أو قدرته وقد تحمــده على ذلك وقد جــاء في لســان العــرب "والحمد والشكر متقاربان والحمد أعمهما لأنك تحمد الإنسان على صـفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشـكره على صـفاته.فكـان اختيـار الحمد أولى أيضـــاً من الشـــكر لأنه أعم فانك تثـــني عليه بنعمه الواصلة إليك والى الخلق جميعا وتثني عليه بصفاته الحسنى الذاتية وان لم يتعلق شيء منها بـك. فكـان اختيـار الحمد أولى من المـدح والشكر.

هـــذا من ناحية ومن ناحية أخـــرى أنه قـــال: الحمد لله **ولم يقل أحمد الله أو نحمد الله** وما قاله أولى من وجوه عدة:

إن القـــول " أحمد الله " أو " نحمد الله " مختص بفاعل معين ففاعل أحمد هو المتكلم وفاعل نحمد هم المتكلمـــون في حين أن عبـارة "الحمد للـه" مطلقة لا تختص بفاعل معين وهـذا أولى فإنك

إذا قلت " أحمد الله " أخبرت عن حمدك أنت وحدك ولم تفد أن غيرك حمده وإذا قلت " نحمد الله " أخبرت عن المتكلمين ولم تفد أن غيركم حمده في حين أن عبارة "الحمد لله" لا تختص بفاعل معين فهو المحمود على وجه الإطلاق منك ومن غيرك.
وقول " أحمد الله " تخبر عن فعلك أنت ولا يعني ذلك أن من تحمده يستحق الحمد ؛ في حين إذا قلت " الحمد لله" أفاد ذلك استحقاق الحمد لله وليس مرتبط بفاعل معين.
وقول " أحمد الله " أو " نحمد الله " مرتبط بزمن معين لأن الفعل له دلالة زمنية معينة ، فالفعل المضارع يدل على الحال أو الاستقبال ومعنى ذلك أن الحمد لا يحدث في غير الزمان الذي تحمده فيه ، ولا شك أن الزمن الذي يستطيع الشخص أو الأشخاص الحمد فيه محدود وهكذا كل فعل يقوم به الشخص محدود الزمن فإن أقصى ما يستطيع أن يفعله أن يكون مرتبطا بعمره ولا يكون قبل ذلك وبعده فعل فيكون الحمد أقل مما ينبغي فإن حمد الله لا ينبغي أن ينقطع ولا يحد بفاعل أو بزمان في حين أن عبارة "الحمد لله" مطلقة غير مقيدة بزمن معين ولا بفاعل معين فالحمد فيها مستمر غير منقطع.
جاء في تفسير الرازي أنه لو قال " احمد الله " أفاد ذلك كون القائل قادرا على حمده ، أما لما قال "الحمد لله" فقد أفاد ذلك ، أنه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين فهؤلاء سواء حمدوا أم لم يحمدوا فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم.
وقول "أحمد الله" جملة فعلية و"الحمد لله" جملة اسمية والجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد في حين أن الجملة الاسمية دالة على الثبوت وهي أقوى وأدوم من الجملة الفعلية. فاختيار الجملة الاسمية أولى من اختيار الجملة الفعلية ههنا إذ هو أدل على ثبات الحمد واستمراره.
وقول "**الحمد لله**" معناه أن الحمد والثناء حق لله وملكه فانه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه وأنواع آلائه على العباد. فقولنا "الحمد لله" معناه أن الحمد لله حق يستحقه لذاته ولو قال "احمد الله" لم يدل ذلك على كونه مستحقا للحمد بذاته ومعلوم أن اللفظ الدال على كونه مستحقاً للحمد أولى من اللفظ الدال على أن شخصاً واحداً حمده.
**والحمد** : عبارة عن صفة القلب وهي اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلا منعما مستحقا للتعظيم والإجلال. فإذا تلفظ الإنسان بقوله

: "أحمد اللــه" مع أنه كــان قلبه غــافلا عن معــنى التعظيم اللائق بجلال الله كان كاذبا لأنه أخـبر عن نفسه بكونه حامـدا مع انه ليس كـذلك. أما إذا قـال "الحمد للـه" سـواء كـان غـافلاً أو مستحضـراً لمعـنى التعظيم فإنه يكـون صـادقاً لأن معنـاه: أن الحمد حق لله وملكه وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد مشتغلاً بمعنى التعظيم والإجلال أو لم يكن. فثبت أن قوله "الحمد للـــــه" أولى من قوله أحمد الله أو من نحمد اللـه. ونظـيره قولنا "لا اله إلا اللـه" فانه لا يـدخل في التكـذيب بخلاف قولنا "اشـهد أن لا اله إلا اللـه" لأنه قد يكــون كاذبا في قوله "أشــهد" ولهــذا قــال تعــالى في تكــذيب المنـــافقين: **"والله يشـــهد إن المنـــافقين لكـــاذبون" (المنافقون، آية 1)**

**فلماذا لم يقل " الحمدَ لله " بالنصب**؟

الجـواب أن قـراءة الرفع أولى من قـراءة النصب ذلك أن قـراءة الرفع تدل على أن الجملة اسـمية في حين أن قـراءة النصب تـدل على أن الجملة فعلية بتقـــدير نحمد أو احمد أو احمـــدوا بـــالأمر. والجملة الاســمية أقــوى وأثبت من الجملة الفعلية لأنها دالة على الثبوت.

**وقد يقــال أليس تقــدير فعل الأمر في قــراءة النصب أقوى من الرفع بمعـنى "احمـدوا الحمد للـه" كما تقـول "الإسراع في الأمر" بمعنى أسرعوا؟** والجواب لا فإن قـراءة الرفع أولى أيضــاً ذلك لان الأمر بالشــيء لا يعــني أن المــأمور به مسـتحق للفعـل. وقد يكـون المـأمور غـير مقتنع بما أمر به فكـان الحمد لله أولى من الحمد لله بالنصب في الاخبار والأمر.

**ولماذا لم يقل " حمداً لله** " ؟ الحمد لله معرفة بـأل و" حمـداً " نكــرة ؛ والتعريف هنا يفيد ما لا يفيــده التنكــير ذلك أن "أل" قد تكون لتعريف العهد فيكون المعـنى : أن الحمد المعـروف بينكم هو لله ، وقد يكون لتعريف الجنس على سـبيل الاسـتغراق فيـدل على استغراق الأحمدة كلها. ورجح بعضـهم المعـنى الأول ورجح بعضـهم المعنى الثاني بدليل قوله صـلى الله عليه وسـلم: "اللهم لك الحمد كله" فـدل على اسـتغراق الحمد كله فعلى هـذا يكـون المعـنى: أن الحمد المعروف بينكم هو لله على سـبيل الاسـتغراق والإحاطة فلا يخرج عنه شيء من أفراد الحمد ولا أجناسه.

**"الحمد لله" أهي خبر أم إنشاء؟** الخـبر هو ما يحتمل الصـدق أو الكذب والإنشاء هو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب.

قـال أكـثر النحـاة والمفسـرين : أن الحمد لله إخبـار كأنه يخـبر أن الحمد لله سـبحانه وتعــالى ، وقسم قــال : أنها إنشـــاء لأن فيها استشعار المحبة وقسم قال : أنها خبر يتضمن إنشاء.
أحيانا يحتمل أن تكون التعبيرات خـبرا أو إنشـاء بحسب ما يقتضـيه المقام الذي يقال فيـه.فعلى سـبيل المثـال قد نقـول (رزقك اللـه) ونقصد بها الـدعاء وهـذا إنشــاء وقد نقــول (رزقك الله وعافــاك) والقصد منها أفلا تشكره على ذلك؟ وهذا خبر.
والحمد لله هي من العبارات التي يمكن أن تسـتعمل خـبرا وإنشـاء بمعنى الحمد لله خبر ونستشعر نعمة الله علينا ونستشـعر التقـدير كان نقولها عندما نستشـعر عظمة الله سـبحانه في أمر ما فنقـول الحمد لله.
**فلماذا لم يقل سـبحانه " إن الحمد لله** " ؟ لا شك أن الحمد لله لكن هناك فرق بين التعبيرين أن نجعل الجملة خـبراً محضا في قول الحمد لله (ستعمل للخبر أو الإنشاء) ولكن عنـدما تـدخل عليه " إن " لا يمكن إلا أن يكون إنشاء ، لـذا فقـول " الحمد لله " أولى لما فيه من الإجلال والتعظيم والشعور بذلك. لـذا جمعت الحمد لله بين الخــبر والإنشــاء ومعناهما ، مثلا نقــول رحمة الله عليك (هــذا دعاء) وعندما نقول إن رحمة الله عليك فهذا خبر وليس دعاء
من المعلــوم انه في اللغة قد تــدخل بعض الأدوات على عبــارات فتغـير معناها مثــال: رحمه الله (دعــاء) ، قد رحمه الله (إخبــار) ، رزقك الله (دعاء) ، قد رزقك الله (إخبار) .
**لماذا لم يقل سبحانه " لله الحمد " ؟**
الحمد الله تقـال إذا كـان هنـاك كلام يـراد تخصيصه (مثـال : لفلان الكتاب) تقال للتخصـيص والحصر فـإذا قـدم الجـار والمجـرور على اسم العلم يكون بقصد الاختصـاص والحصر (لإزالة الشك أن الحمد سيكون لغير الله)
الحمد لله في الدنيا ليست مختصة لله سبحانه وتعـالى ، الحمد في الدنيا قد تقال لأسـتاذ أو سـلطان عـادل ، أما العبـادة فهي قاصـرة على الله سبحانه وتعالى ، المقام في الفاتحة ليس مقام اختصاص أصلاً وليست مثل ( إياك نعبد ) أو ( إياك نستعين ). فقد وردت في القران الكـريم **(فلله الحمد رب السـموات ورب الأرض رب العالمين)** الجاثية (لآية 36)
لا أحد يمنع التقديم لكن التقديم والتأخير في القرآن الكـريم يكـون حسب ما يقتضـيه السـياق ، المقـام في سـورة الفاتحة هو مقـام مؤمنين يقرون بالعبادة ويطلبون الاستعانة والهداية ؛ أما في سورة

الجاثية فالمقام في الكافرين وعقائدهم وقد نسبوا الحياة والمـوت لغـير الله سـبحانه لـذا اقتضى ذكر تفضـله سـبحانه بأنه خلق السموات والأرض وأثبت لهم أن الحمد الأول لله سـبحانه على كل ما خلق لنا فهو المحمود الأول لذا جاءت فلله الحمد مقدمة حسب ما اقتضاه السياق العام للآيات في السورة.

**فلماذا التفصيل في الجاثية (رب السموات والأرض) ولم ترد في الفاتحـة؟** في الجاثية تـردد ذكر السـموات والأرض وما فيهن وذكر ربوبية الله تعـالى لهما فقد جـاء في أول السـورة **( إن في السموات والأرض لآيـات للمؤمـنين )** فلو نظرنا في جو سـورة الجاثية نلاحظ ربوبية الله تعـالى للسـموات والأرض والخلق والعـالمين مسـتمرة في السـورة كلهـا. **(ولله ملك السـموات والأرض)** يعـني هو ربهما **( ويـوم تقـوم السـاعة يخسر المبطلـون)** إذن هو رب العـالمين **( وخلق الله السـموات والأرض بـالحق)** فهو ربهما **( لتجـزى كل نفس..)** فهو رب العـالمين. **(فلله الحمد رب السـموات ورب الأرض رب العالمين)** جمع الربوبية في السـموات والأرض والعـالمين في آية واحـدة ، أما في الكلام في الفاتحة فهو عن العـالمين فقط وذكر أصـناف الخلق من العـالمين (المؤمـنين، الضـالين..) لـذا ناسب التخصيص في الجاثية وليس في الفاتحة.

**(وله الكبرياء في السـموات والأرض وهو العزيز الحكيم)** (الجاثية الآية 37) ولم يـذكر الكبريـاء في الفاتحة لأنه جـاء في الجاثية ذكر المستكبرين بغير حق **( ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيـات الله تتلى عليه ثم يصر مسـتكبرا كـأن لم يسـمعها فبشـره بعـذاب أليم . وإذا علم من آياتنا شـيئا اتخـذها هزوا أولئك لهم عـذاب مهين)** (الجاثية الآيـات 7-9) دل على مظهر من مظـاهر الاسـتكبار لـذا ناسب أن يـرد ذكر الكبريـاء في السموات والأرض. فسـبحانه وتعـالى يضع الكلام بمـيزان دقيق بما يتناسب مع السياق العام للآيات.

**الحمد لله**: جـاء سـبحانه وتعـالى باسـمه العلم (اللـه) ،لم يقل الحمد للخـالق أو القـدير أو أي اسم آخر من أسـمائه الحسـنى **فلماذا جاء باسمه العلم؟** لأنه إذا جاء بأي اسم آخر غـير العلم لدل على انه تعالى استحق الحمد فقط بالنسبة لهـذا الاسم خاصة فلو قال الحمد للقادر لفهمت على انه يستحق الحمد للقدرة فقط لكن عند ذكر الذات (اللـه) فإنها تعـني انه سـبحانه يسـتحق الحمد لذاته لا لوصفه.

من ناحية أخرى " الحمد لله " مناسبة لما جاء بعدها (إياك نعبد) لأن العبادة كثيرا ما تختلط بلفظ الله. فلفظ الجلالة (الله) يعنى الإله المعبود مأخوذة من أله (بكسر اللام) ومعناها عبد ولفظ الله مناسب للعبادة وأكثر اسم اقترن بالعبادة هو لفظ الله تعالى (أكثر من 50 مرة اقترن لفظ الله بالعبادة في القرآن) لذا فالحمد لله مناسب لأكثر من جهة.
" الحمدُ لله " أولى من قول الحمد للسميع أو العليم أو غيرها من أسماء الله الحسنى. وقول الحمد لله أولى من قول أحمد الله أو الحمدَ لله أو حمداً لله أو إن الحمد لله أو الحمد للحي أو القادر أو السميع أو البصير. جلت حكمة الله سبحانه وتعالى وجل قوله العزيز.

**رب العالمين:**

الرب هو المالك والسيد والمربي والمنعم والقيِّم ، فإذن رب العالمين هو ربهم ومالكهم وسيدهم ومربيهم والمنعم عليهم وقيُمهم لذا فهو أولى بالحمد من غيره وذكر (رب العالمين) هي أنسب ما يمكن وضعه بعد (الحمد لله)
رب العالمين يقتضي كل صفات الله تعالى ويشمل كل أسماء الله الحسنى ، العالمين : جمع عالم والعالم هو كل موجود سوى الله تعالى ؛ والعالم يجمع على العوالم وعلى العالمين لكن اختيار العالمين على العوالم أمر بلاغي يعني ذلك أن العالمين خاص للمكلفين وأولي العقل (لا تشمل غير العقلاء) بدليل قوله تعالى **(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)** (الفرقان آية 1) ومن المؤكد انه ليس نذيرا للبهائم والجماد. وبهذا استدلوا على أن المقصود بالعالمين أولي العقل وأولي العلم أو المكلفون.
والعالمين جمع العالم بكل أصنافه لكن يغلُب العقلاء على غيرهم فيقال لهم العالمين لا يقال لعالم الحشرات أو الجماد أو البهائم العالمين وعليه فلا تستعمل كلمة العالمين إلا إذا اجتمع العقلاء مع غيرهم وغلبوا عليهم.
أما العوالم قد يطلق على أصناف من الموجودات ليس منهم البشر أو العقلاء أو المكلفون (تقال للحيوانات والحشرات والجمادات)
اختيار كلمة العالمين له سببه في سورة الفاتحة فالعالمين تشمل جيلا واحدا وقد تشمل كل المكلفين أو قسما من جيل **(قالوا**

**أولم ننهك عن العالمين)** (الحجر آية 70) في قصة سيدنا لوط جاءت هنا بمعنى قسم من الرجال.

واختيـار " العـالمين " أيضـاً لأن السـورة كلها في المكلفين وفيها طلب الهداية وإظهار العبودية لله وتقسيم الخلق كله خـاص بـأولي العقل والعلم لذا كان من المناسب اختيار " العـالمين " على غيرها من المفردات أو الكلمات. وقد ورد في آخر الفاتحة ذكر المغضوب عليهم وهم اليهود ، والعالمين رد على اليهـود الـذين ادعـوا أن الله تعـالى هو رب اليهــود فقط فجــاءت رب العــالمين لتشــمل كل العالمين لا بعضهم.

أما اختيـــار كلمة رب فلأنها تناسب ما بعـــدها (اهـــدنا الصـــراط المستقيم) لأن من معاني الـرب المـربي وهي أشـهر معانيه وأولى مهـام الــرب الهداية لــذا اقــترنت الهداية كثـيراً بلفظ الــرب كما اقـترنت العبـادة بلفظ الله تعـالى **(قـال فمن ربكما يا موسى قـال ربنا الـذي أعطى كل شـيء خلقه ثم هـدى)** (طه آية 50-49)ـ **(فاجتبــاه ربه فتــاب عليه وهــدى)** (طه آية 122) **(سـبح اسم ربك الأعلى الـذي خلق فسـوى والـذي قـدر فهدى)** (الأعلى آية 1-3)ـ **(قل إنني هداني ربي إلى صراط مسـتقيم)** (الأنعـام آية 161)ـ **(وقل عسى أن يهـدين ربي لأقرب من هـذا رشـدا)** (الكهف آية 24) **(قـال كلا إن معي ربي سـيهدين)** (الشـعراء آية 62) **(وقــال إني ذاهب إلى ربي سيهدين)** (الصـافات آية 99)ـ **(ولما توجه تلقـاء مـدين قـال عسى ربي أن يهـديني سـواء السـبيل)** (القصص آية 22) لذا ناسب لفظ " رب " مع " اهدنا الصراط المسـتقيم " وفيها طلب الهداية.

**الرحمن الرحيم:**

الرحمن على وزن فعلان والرحيم على وزن فعيل ومن المقرر في علم التصــريف في اللغة العربية أن الصــفة فعلان تمثل الحــدوث والتجــدد والامتلاء والاتصــاف بالوصف إلى حــده الأقصى فيقــال غضبان بمعـنى امتلأ غضـبا (فرجع موسى إلى قومه غضـبان أسـفا) لكن الغضب زال (فلما ســـكت عن موسى الغضـــب) ومثل ذلك عطشان ، ريان ، جوعان ، يكون عطشان فيشرب فيذهب العطش أما صـيغة فعيل فهي تـدل على الثبـوت سـواء كـان خلقة ويسـمى تحول في الصفات مثل طويل، جميـل، قـبيح فلا يقـال خطيب لمن ألقى خطبة واحدة وإنما تقال لمن يمارس الخطابة وكذلك الفقيه.

هــذا الإحســاس اللغــوي بصــفات فعلان وفعيل لا يــزال في لغتنا الدارجة إلى الآن فنقول بدا عليه الطـول (طـولان) فـيرد هو طويل (صفة ثابتة) فلان ضعفان (حدث فيه شيء جديد لم يكن) فــيرد هو ضعيف (هذه صفته الثابتة فهو أصلاً ضعيف)

ولذا جاء سبحانه وتعـالى بصـفتين تـدلان على التجـدد والثبـوت معا فلو قـال الـرحمن فقط لتـوهم السـامع أن هـذه الصـفة طارئة قد تزول كما يزول الجوع من الجوعان والغضب من الغضـبان وغـيره. ولو قـال رحيم وحـدها لفهم منها أن صـفة رحيم مع أنها ثابتة لكنها ليست بالضرورة على الدوام ظاهرة إنما قد تنفك مثلا عندما يقــال فلان كـريم فهـذا لا يعـني انه لا ينفك عن الكـرم لحظة واحـدة إنما الصفة الغالبة عليه هي الكرم.

وجـاء سـبحانه بالصـفتين مجتمعـتين ليـدل على أن صـفاته الثابتة والمتجـددة هي الرحمة ويـدل على أن رحمته لا تنقطع وهـذا يـأتي من باب الاحتياط للمعنى وجاء بالصفتين الثابتة والمتجــددة لا ينفك عن إحـداهما ، إنما هـذه الصـفات مسـتمرة ثابتة لا تنفك البتة غـير منقطعة.

**فلماذا إذاً قدم سبحانه الرحمن على الرحيم** ؟

قــدم صــيغة الــرحمن والــتي هي الصــفة المتجــددة وفيها الامتلاء بالرحمة لأبعد حـدودها لأن الإنســان في طبيعته عجــول وكثـيراً ما يــؤثر الإنســان الشــيء الآتي الســريع وان قل على الشــيء الــذي سيأتي لاحقاً وإن كثر (بل تحبون العاجلة) لذا جاء سبحانه بالصــفة المتجددة ورحمته قريبة ومتجــددة وحادثة إليه ولا تنفك لأن رحمته ثابتــة. ووقــوع كلمة " الــرحيم " بعد كلمة الــرب يــدلنا على أن الرحمة هي من صـــفات الله تعـــالى العليا وفيها إشـــارة إلى أن المــربي يجب أن يتحلى بالرحمة وتكـون من أبـرز صـفاته وليست القســوة والــرب بكل معانيه ينبغي أن يتصف بالرحمة ســواء كــان مربياً أو سيداً أو قيما وقد وصف الله تعالى رسوله بالرحمة.

**مالك يوم الدين:**

هناك قراءة متواترة (**ملك يوم الدين**) بعض المفسرين يحــاولون تحديد أي القـراءتين أولى وتحديد صـفة كل منهما لكن في الحقيقة ليس هناك قراءة أولى من قراءة فكلتا القراءتين متواترة نزل بهما الروح الأمين ليجمع بين معنى المالك والملك.

المالك من التملك والملك بكسر الميم (بمعنى الذي يملك الملك) وملك بكسر اللام من الملك بضم الميم والحكم (**أليس لي ملك مصر**) الملك هنا بمعنى الحكم والحاكم الأعلى هو الله تعالى.

المالك قد يكــون ملكا وقد لا يكــون والملك قد يكــون مالكا وقد لا يكون. المالك يتصرف في ملكه كما لا يتصرف الملك (بكسر اللام) والمالك عليه أن يتـولى أمر مملوكه من الكسـوة والطعـام والملك ينظر للحكم والعـــدل والإنصـــاف. المالك أوسع لشـــموله العقلاء وغيرهم والملك هو المتصـرف الأكـبر وله الأمر والإدارة العامة في المصلحة العامة فنزلت القـراءتين لتجمع بين معـنى المالك والملك وتـــــدل على انه ســــبحانه هو المالك وهو الملك (قل اللهم مالك الملـــك) الملك ملكه ســبحانه وتعــالى فجمع بين معــنى الملكية والملك

**<u>مالك يوم الدين ، لِمَ لمْ يذكر الدنيا ؟</u> سواء كـان مالكا أو ملكا فلماذا لم يقل مالك يوم الدين والدنيا؟**

أولا قال " الحمد لله رب العالمين " فهو مالكهم وملكهم في الـدنيا وهذا شمل الدنيا. مالك يوم الدين هو مالك يوم الجـزاء يعـني ملك ما قبله من أيـــام العمل والعمل يكـــون في الـــدنيا فقد جمع في التعبير يـوم الـدين والـدنيا وبقوله " يـوم الـدين " شـمل فيه الـدنيا أيضاً.

**<u>لم قال يوم الدين ولم يقل يوم القيامة؟</u>**

الدين بمعنى الجـزاء وهو يشـمل جميع أنـواع القيامة من أولها إلى آخرها ويشمل الجزاء والحسـاب والطاعة والقهر وكلها من معـاني الـدين وكلمة الـدين انسب للفظ رب العـالمين وانسب للمكلفين (الــدين يكــون لهــؤلاء المكلفين) فهو أنسب من يــوم القيامة لأن القيامة فيها أشياء لا تتعلق بالجزاء أما الـدين فمعنـاه الجـزاء وكل معانيه تتعلق بـــالمكلفين لان الكلام من أوله لآخـــره عن المكلفين لذا ناسب اختيار كلمة الدين عن القيامة.

**<u>لماذا قـال مالك يـوم</u> واليـوم لا يملك إنما ما فيه يملك ؟**

والسـبب لقصد العمـوم ومالك اليـوم هو ملك لكل ما فيه وكل من فيه فهو أوسع وهو ملكية كل ما يجـري وما يحـدث في اليـوم وكل ما فيه ومن فيه فهي إضـــافة عامة شـــاملة جمع فيها ما في ذلك اليوم ومن فيه وإحداثه وكل ما فيه من بــاب الملكية (بكسر الميم) والملكية (بضم الميم)

اقتران الحمد بهذه الصفات أحسن وأجمل اقـتران. الحمد لله فالله محمود بذاته وصفاته على العموم والله هو الاسم العلم) ثم محمود بكل معــاني الربوبية (رب العــالمين) لان من الأربــاب من لا تحمد عبوديته وهو محمود في كونه رحمن رحيم، محمــود في رحمته لان الرحمة لو وضعت في غير موضعها تكون غير محمودة فالرحمة إذا

لم توضع في موضـعها لم تكن مـدحا لصـاحبها، محمـود في رحمته يضـعها حيث يجب أن توضع وهو محمـود يـوم الـدين محمـود في تملكه وفي مالكيته (مالك يوم الدين) محمـود في ملكه ذلك اليـوم (في قراءة ملك يوم الدين)
اسـتغرق الحمد كل الأزمنة ،لم يـترك سـبحانه زمنـاً لم يـدخل فيه الحمد أبـداً من الأزل إلى الأبد فهو حمـده قبل الخلق (الحمد للـه) حين كان تعالى ولم يكن معه شيء قبل حمد الحامدين وقبل وجود الخلق والكائنات استغرق الحمد هنا الزمن الأول وعند خلق العــالم (رب العالمين) واستغرق الحمد وقت كانت الرحمة تنزل ولا تنقطع (الرحمن الرحيم) واستغرق الحمد يوم الجـزاء كله ويـوم الجـزاء لا ينتهي لأن الجــــزاء لا ينتهي فأهل النـــار خالــــدين فيها وأهل الجنة خالــدين فيها لا ينقضي جــزاؤهم فاســتغرق الحمد كل الأزمنة من الأزل إلى الأبد كقوله تعــالى له الحمد في الأولى والآخـــرة هـــذه الآيات جمعت أعجب الوصف.
- قوله **<u>( إياك نعبد وإياك نستعين ):</u>**
قــدم المفعــولين لنعبد ونســتعين وهــذا التقــديم للاختصــاص لأنه سبحانه وتعالى وحده له العبادة لذا لم يقل نعبـدك ونسـتعينك لأنها لا تدل على التخصيص بالعبـادة لله تعـالى ، أما قـول ( إيـاك نعبد ) فتعني تخصيص العبادة لله تعالى وحده وكذلك في الاستعانة (إيــاك نســتعين) تكـــون بالله حصــــرا **(ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير)** (الممتحنة آية 4) كلها مخصوصة لله وحده حصرا فالتوكل والإنابة والمرجع كله إليه سـبحانه **(وعلى الله فليتوكل المتوكلون)**(إبراهيم 12)
**(قل هو الـــرحمن آمنا به وعليه توكلنـــا)** (الملك آية 29)
تقديم الإيمان على الجار والمجـرور هنا لأن الإيمـان ليس محصـورا بالله وحـــده فقط بل علينا الإيمـــان بالله ورســـله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقضـاء والقـدر لـذا لم تـأت به آمنـا. أما في التوكل فجاءت وعليه توكلنا لا توكلنا عليه لان التوكل محصور بالله تعالى.
**<u>الآن لماذا كررت إيـاك مع فعل الاسـتعانة ولم يقل إيـاك نعبد ونستعين ؟</u>**
التكـرار يفيد التنصـيص على حصر المسـتعان به ؛ لو اقتصـرنا على ضـمير واحد (إيـاك نعبد ونسـتعين) لم يعـني المسـتعان إنما عـني المعبــود فقط ولو اقتصــرنا على ضــمير واحد لفهم من ذلك انه لا يتقــرب إليه إلا بــالجمع بين العبــادة والاســتعانة بمعــنى انه لا يُعبد بدون استعانة ولا يُسـتعان به بـدون عبـادة. يفهم من الاسـتعانة مع

العبادة مجموعة تربط الاستعانة بالعبادة وهذا غير وارد وإنما هو سبحانه نعبده على وجه الاستقلال ونستعين به على وجه الاستقلال وقد يجتمعان لذا وجب التكرار في الضمير إياك نعبد وإياك نستعين. التكرار توكيد في اللغة ، في التكرار من القوة والتوكيد للاستعانة فيما ليس في الحذف.
**<u>إياك نعبد وإياك نستعين :</u>** أطلق سبحانه فعل الاستعانة ولم يحدد نستعين على شيء أو نستعين على طاعة أو غيره ، إنما أطلقها لتشمل كل شيء وليست محددة بأمر واحد من أمور الدنيا. وتشمل كل شيء يريد الإنسان أن يستعين بربه لان الاستعانة غير مقيدة بأمر محدد. وقد عبر سبحانه عن الاستعانة والعبادة بلفظ ضمير الجمع (نعبد ونستعين) وليس بالتعبير المفرد أعبد وأستعين وفي هذا إشارة إلى أهمية الجماعة في الإسلام لذا تلزم قراءة هذه السورة في الصلاة وتلزم أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين مرة ، وفيها دليل على أهمية الجماعة عامة في الإسلام مثل الحج وصلاة الجماعة ، الزكاة ، الجهاد ،الأعياد والصيام. إضافة إلى أن المؤمنين إخوة فلو قال إياك اعبد لأغفل عبادة إخوته المؤمنين وإنما عندما نقول ( إياك نعبد ) نذكر كل المؤمنين ويدخل القائل في زمرة المؤمنين أيضاً.
**<u>لماذا قرن العبادة بالاستعانة؟</u>**
أولاً ليدل على أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بعبادة الله إلا بإعانة الله له وتوفيقه فهو إذن شعار وإعلان أن الإنسان لا يستطيع أن يعمل شيئاً إلا بعون الله وهو إقرار بعجز الإنسان عن القيام بالعبادات وعن حمل الأمانة الثقيلة إذا لم يعنه الله تعالى على ذلك ، الاستعانة بالله علاج لغرور الإنسان وكبريائه عن الاستعانة بالله واعتراف الإنسان بضعفه.
**<u>لماذا قدم العبادة على الاستعانة؟</u>**
العبادة هي علة خلق الإنس والجن **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)**(الذاريات 56) والاستعانة إنما هي وسيلة للعبادة فالعبادة أولى بالتقديم.
العبادة هي حق الله والاستعانة هي مطلب من مطالبه وحق الله أولى من مطالبه.
تبدأ السورة بالحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين وهذه كلها من أسلوب الغيبة أي كلها للغائب ثم انتقل إلى الخطاب المباشر بقوله ( إياك نعبد وإياك نستعين ). فلو قسنا على

سـياق الآيـات الأولى لكـان أولى القـول إيـاه نعبد وإيـاه نسـتعين. فلماذا لم يقل سبحانه هذا؟
في البلاغة يسمى هذا الانتقال من الغائب للمخـاطب أو المتكلم أو العكس " الإلتفات ". للإلتفات فائدة عامة وفائـدة في المقـام ، أما الفائدة العامة فهي تطرية لنشاط السامع وتحريك الـذهن للإصـغاء والانتباه. أما الفائدة الـتي يقتضـيها المقـام فهي إذا التفت المتكلم البليغ يكـون لهـذه الالتفاتة فائـدة غـير العامة مثـال : **(هو الـذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم)** (يونس آية 22) لم يقل وجرين بكم فيها التفات لأنهم عنـدما ركبوا في البحر وجرت بهم الفلك أصبحوا غائبين وليسوا مخاطبين. وعنــدما قــال ســبحانه الحمد لله رب العــالمين فهو حاضر دائما فنودي بنـداء الحاضر المخـاطب . الكلام من أول الفاتحة إلى مالك يـوم الـدين كله ثنـاء على الله تعـالى والثنـاء يكـون في الحضـور والغيبة والثنــاء في الغيبة أصــدق وأولى أما ( إيــاك نعبد وإيــاك نستعين )فهو دعاء والـدعاء في الحضـور أولى وأجـدى ؛ إذن الثنـاء في الغيبة أولى والــدعاء في الحضــور أولى والعبــادة تــؤدى في الحاضر وهي أولى.
- قوله **<u>( اهدنا الصراط المستقيم )</u>**
هـذا دعـاء ولا دعـاء مفـروض على المسـلم قوله غـير هـذا الـدعاء فيتوجب على المسلم قوله عدة مرات في اليوم وهذا بـدوره يـدل على أهمية الطلب وهذا الدعاء لان له أثره في الدنيا والآخرة ويدل على أن الإنسـان لا يمكن أن يهتـدي للصـراط المسـتقيم بنفسه إلا إذا هداه الله تعالى لذلك. إذا ترك النـاس لأنفسـهم لـذهب كل إلى مذهبه ولم يهتدوا إلى الصراط المسـتقيم وبما أن هـذا الـدعاء في الفاتحة ولا صــلاة بــدون فاتحة فلــذا يجب الــدعاء به في الصــلاة الفريضة وهذا غير دعاء السـنة في **(ربنا آتنا في الدنيا حسـنة وفي الآخرة حسنة)** (البقرة آية 201)
والهداية : هي الإلهام والدلالة. وفعل الهداية هدى يهدي في العربية قد يتعدى بنفسه دون حرف جر مثل " اهـدنا الصـراط المسـتقيم " (تعدى الفعل بنفسه) وقد يتعدى بإلى **(وانك لتهدي إلى صراط مسـتقيم)** (الشـورى آية 52). **(وأهـديك إلى ربك فتخشـى)** (النازعـات آية 19) وقد يتعـدى بـاللام **(الحمد لله الـذي هـدانا لهــذا )** (الأعــراف 43) **(بل الله يمن عليكم أن هــداكم للإيمان)** (الحجرات آية 17)

ذكر أهل اللغة أن الفـــرق بين التعدية بـــالحرف والتعدية بالفعل نفسه أن التعدية بـــالحرف تســتعمل عنــدما لا تكــون الهداية فيه بمعنى أن المهدي كان خارج الصراط فهــداه الله له فيصل بالهداية إليه. والتعدية بدون حـرف تقـال لمن يكـون فيه ولمن لا يكـون فيه كقولنا " هديته الطريق " قد يكـــون هو في الطريق فنعرفه به وقد لا يكــون في الطريق فنوصــله إليه. **(فـاتبعني أهـدك صـراطا سـويا)** (مـريم آية 43) أبو ســيدنا إبــراهيم لم يكن في الطريق ، **(ولهديناهم صـراطا مسـتقيما)** (النسـاء آية 68) والمنـافقون ليسوا في الطريق. واستعملت لمن هم في الصراط **(وقد هــدانا سبلنا)** (إبـراهيم آية 12) قيلت في رسل الله تعـالى وقـال تعـالى مخاطبا رســوله **(ويهــديك صــراطا مســتقيما)** (الفتح آية 2) والرســـول مالك للصـــراط. اســتعمل الفعل المعـــدى بنفسه في الحالتين.
التعدية بـــاللام وإلى لمن لم يكن في الصــــراط **(فـــاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصـراط)** (ص آية 22) **(هل من شركائكم من يهدي إلى الحق)** (يونس آية 35)
وتســتعمل هــداه له بمعــنى بينه له والهداية على مراحل وليست هداية واحـدة فالبعيد عن الطريــق، الضـال، يحتـاج من يوصـله إليه ويدله عليه (نسـتعمل هـداه إليـه) والـذي يصل إلى الطريق يحتـاج الى هاد يعرفه بأحوال الطريق وأماكن الأمن والنجـاة والهلاك للثقة بـالنفس ثم إذا سـلك الطريق في الأخـير يحتـاج إلى من يريه غايته واستعمل سـبحانه اللام **(الحمد لله الذي هـدانا لهـذا وما كنا لنهتـدي لـولا أن هـدانا اللـه)** (الأعـراف آية 43) وهـذه خاتمة الهدايات.
ونلخص ما سبق على النحو التالي:

-إنسان بعيد يحتاج من يوصله إلى الطريق نستعمل الفعل المتعدي بإلى .

-إذا وصل ويحتـــاج من يعرفه بـــالطريق وأحواله نســـتعمل الفعل المتعدي بنفسه .

-إذا ســلك الطريق ويحتــاج إلى من يبلغه مــراده نســتعمل الفعل المتعدي باللام .

الهداية مع اللام لم تستعمل مع السبيل أو الصراط أبدا في القرآن لان الصـــــراط ليست غاية إنما وســــيلة توصل للغاية واللام إنما تستعمل عند الغاية. وقد اختص سـبحانه الهداية بـاللام له وحـده أو

للقرآن لأنها خاتمة الهدايات كقوله **(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقــوم)** (الإســراء آية 9) وقوله **(يهــدي الله لنــوره من يشاء)** (النور آية 35)

قد نقول جاءت الهدايات كلها بمعنى واحد مع اختلاف الحروف.

- **(قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهــدي إلي الحق أحق أن يتبع امن لا يهدي إلا أن يهدى)** (يونس آية 35)

جاءت يهدي للحق المقترنة بالله تعالى لان معنى الآيات تفيد هل من شركائكم من يوصل إلى الحق قل الله يهدي للحق الله وحده يرشدك ويوصلك إلى خاتمة الهدايات ، يعني أن الشركاء لا يعرفون أين الحق ولا كيف يرشدون إليه ويدلون عليه.

- **(يهــدي به الله من اتبع رضــوانه ســبل الســلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)** (المائدة آية 16)

استعمل الهداية معداة بنفسها بــدون حــرف واســتعملها في ســياق واحد مع الفعل المعدى بإلى ومعنى الآيات انه من اتبع رضوان الله وليس بعيدا ولا ضالا اســتعمل له الفعل المعــدى بنفسه والــذي في الظلمات هو بعيد عن الصراط ويحتاج إلى من يوصله إلى الصــراط لذا قال يهديهم إلى صراط مستقيم (استعمل الفعل المعدى بإلى) نعود إلى الآية " اهدنا الصراط المســتقيم " (الفعل معــدى بنفســه) وهنا استعمل هذا الفعل المعــدى بنفسه لجمع عــدة معــاني فالــذي انحرف عن الطريق نطلب من الله تعالى أن يوصله إليه والذي في الطريق نطلب من الله تعــالى أن يبصــره بــأحوال الطريق والثبــات والتثبيت على الطريق.

وهنا يــبرز تســاؤل آخر ونقــول كما ســبق وقــدم ســبحانه مفعــولي العبادة والاستعانة في (**إياك نعبد وإياك نســتعين**) **فلمــاذا لم يقل سبحانه إيانا اهدي؟** هذا المعنى لا يصح فالتقديم بـ ( إياك نعبد وإياك نستعين ) تقيد الاختصاص ولا يجوز أن نقــول إيانا اهــدي بمعــنى خصــنا بالهداية ولا تهــدي أحــداً غيرنا فهــذا لا يجــوز لــذلك لا يصح التقــديم هنــا. المعــنى تطلب التقــديم في المعونة والاســتعانة ولم يتطلبه في الهداية لذا قال ( اهدنا الصراط المستقيم ) .

**فلم قال ( اهدنا ) ولم يقل اهدني؟**

لأنه مناسب لســياق الآيــات الســابقة وكما في آيــات الاســتعانة والعبادة اقتضى الجمع في الهداية أيضاً.

فيه إشاعة لروح الجماعة وقتل لروح الأثرة والأنانية وفيه نزع الأثرة والاستئثار من النفس بان ندعو للآخرين بما ندعو به لأنفسنا.
الاجتماع على الهدى وسير المجموعة على الصراط دليل قوة فإذا كثر السالكون يزيد الأنس ويقوى الثبات فالسالك وحده قد يضعف وقد يمل أو يسقط أو تأكله الذئاب ، فكلما كثر السالكون كان ادعى للاطمئنان والاستئناس.
والاجتماع رحمة والفرقة عذاب يشير لله تعالى إلى أمر الاجتماع والأنس بالاجتماع وطبيعة حب النفس للاجتماع كما ورد في قوله الكريم **(ومن يطع الله ورسوله ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها)** (النساء آية 13) خالدين جاءت بصيغة الجمع لان المؤمنين في الجنة يستمتعون بالأنس ببعضهم وقوله **(ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)** (النساء آية 14) في العذاب فيزيد على عذاب الكافر عذاب الوحدة فكأنما عذبه الله تعالى بشيئين النار والوحدة.
لذا فعندما قال سبحانه وتعالى (اهدنا الصراط المستقيم ) فيه شيء من التثبيت والاستئناس ، هذا الدعاء ارتبط بأول السورة وبوسطها وآخرها. الحمد لله رب العالمين مهمة الرب هي الهداية وكثيرا ما اقترنت الهداية باسم الرب فهو مرتبط برب العالمين وارتبط بقوله الرحمن الرحيم لان من هداه الله فقد رحمه وأنت الآن تطلب من الرحمن الرحيم الهداية أي تطلب من الرحمن الرحيم أن لا يتركك ضالا غير مهتد ثم قال ( إياك نعبد وإياك نستعين )فلا تتحقق العبادة إلا بسلوك الطريق المستقيم وكذلك الاستعانة ومن الاستعانة طلب الهداية للصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم أي صراط الذين سلكوا الصراط المستقيم، ولا الضالين، والضالون هم الذين سلكوا غير الصراط المستقيم فالهداية والضلال نقيضان والضالين نقيض الذين سلكوا الصراط المستقيم.
**<u>لماذا اختار كلمة الصراط بدلا من الطريق أو السبيل؟</u>** لو لاحظنا البناء اللغوي للصراط هو على وزن (فعال بكسر الفاء) وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال كالحزام والشداد والسداد والخمار والغطاء والفراش، هذه الصيغة تدل على الاشتمال بخلاف كلمة الطريق التي لا تدل على نفس المعنى. الصراط يدل على انه واسع رحب يتسع لكل السالكين ، أما كلمة طريق فهي على وزن فعيل بمعنى مطروق أي مسلوك والسبيل على وزن فعيل

ونقول أسبلت الطريق إذا كثر السالكين فيها لكن ليس في صيغتها ما يـدل على الاشـتمال. فكلمة " الصـراط " تـدل على الاشـتمال والوسع هـذا في أصل البنـاء اللغـوي (قـال الزمخشـري في كتابه الكشـاف : الصـراط من صـرط كأنه يبتلع السـبل كلما سـلك فيه السالكون وكأنه يبتلعهم من سعته).

- قوله **( صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين )**

**لماذا جاءت كلمة الصراط معرفة بأل مرة ومضـافة مـرة أخرى (صـراط الـذين أنعمت عليهم)؟** جـاءت كلمة الصـراط مفـــردة ومعرفة بتعـــريفين: بـــالألف واللام والإضـــافة وموصـــوفا بالاستقامة مما يدل على انه صراط واحد (موصوف بالاستقامة لأنه ليس بين نقطــتين إلا طريق مســتقيم واحد والمســتقيم هو أقصر الطرق وأقربها وصولا إلى الله) وأي طريق آخر غـير هـذا الصـراط المســـتقيم لا يوصل إلى المطلـــوب ولا يوصل إلى الله تعـــالى. والمقصود بالوصول إلى الله تعالى هو الوصـول إلى مرضـاته فكلنا واصل إلى الله وليس هنـاك من طريق غــير الصــراط المســتقيم. **(إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا)** (المزمل آية 19) (الإنسان آية 29)، **(إن ربي على صراط مستقيم)** (هـود آية 56) **(قال هذا صراط علي مستقيم)** (الحجر آية 41)

وردت كلمة الصــراط في القــرآن مفــردة ولم تــرد مجتمعة أبــداً بخلاف السبيل فقد وردت مفردة ووردت جمعا (سبل) لان الصراط هو الأوسع وهو الذي تفضي إليه كل السبل **(فاتبعوه ولا تتبعـوا السبل فتفـرق بكم عن سـبيله)** (الأنعـام 153) **(يهـدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)** (المائـدة 16)، **(والـذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)** (العنكبوت 69) **(هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصــيرة )** (يوسف آية 108) الصـــراط هو صــراط واحد مفــرد لأنه هو طريق الإســلام الــرحب الواسع الــذي تفضي إليه كل السبل واتباع غير هذا الصراط ينأى بنا عن المقصود [1].

---

[1] **(3** يقول الدكتور أحمد الكبيسي في كلمة الصراط وأخواتها في القرآن الكريم في برنامجه الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم على قناة دبي الفضائية في شرح كلمة الصراط وأخواتها في القرآن الكريم وكيف أن كل كلمة منها وردت في القرآن في مكانها المناسب والمعنى الذي تأتي به كل كلمة لا يمكن أن يكون إلا من عند العلي العظيم الذي وضع كل كلمة بميزانها وبمكانها الذي لا يمكن لكلمة أخرى أن تأتي بنفس معناها **:**

ثم زاد هذا الصـراط توضـيحا وبيانا بعد وصـفه بالاسـتقامة وتعريفه بأل بقـول (صـراط الـذين أنعمت عليهم غـير المغضـوب عليهم ولا الضالين) جمعت هذه الآية كل أصناف الخلق المكلفين ولم تستثني منهم أحداً فذكر:

الذين انعم الله عليهم هم الذين سلكوا الصراط المستقيم وعرفـوا الحق وعملوا بمقتضاه.

---

مرادفات كلمة الطريق تأتي على النحو التالي: **إمام – صراط – طريق - سبيل – نهج – فج - جدد (جمع جادة) – نفق**

وجاء معنى كل منها العام على النحو التالي:

**__إمام__**: وهو الطريق العام الرئيسي الدولي الذي يربط بين الدول وليس له مثيل وتتميز أحكامه في الإسلام بتميز تخومه. وقدسية علامات المرور فيه هي من أهم صفاته وهو بتعبيرنا الحاضر الطريق السريع بين المدن (Highway). وقد استعير هذا اللفظ في القرآن الكريم ليدل على الشرائع **(يوم ندعو كل أناس بإمامهم)** (الإسراء آية 71 ) أي كل ما عندهم من شرائع وجاء أيضا بمعنى كتاب الله **(وكل شئ أحصيناه في إمام مبين)** (يس آية 12)

**__صراط__**: هو كل ممر بين نقطتين متناقضتين كضفتي نهر أو قمتي جبلين أو الحق والباطل والضلالة والهداية في الإسلام أو الكفر والإيمان. والصراط واحد لا يتكرر في مكان واحد ولا يثنى ولا يجمع. وقد استعير في القرآن الكريم للتوحيد فلا إله إلا الله تنقل من الكفر إلى الإيمان **(قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم)** ( الأنعام آية 161) **(من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)** ( الأنعام آية 39) **(اهدنا الصراط المستقيم)** (الفاتحة آية 7) **(فاتبعني أهدك صراطا سويا)** (مريم آية 43 ) **(وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون)** (المؤمنون آية 74 )

والصراط عموما هو العدل المطلق لله تعالى وما عداه فهو نسبي. **(إن ربي على صراط مستقيم)** ( هود آية 56 ) والتوحيد هو العدل المطلق وما عداه فهو نسبي.

**__سبيل__**: الطريق الذي يأتي بعد الصراط وهو ممتد طويل آمن سهل لكنه متعدد (سبل جمع سبيل) **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)** ( العنكبوت آية 69 )السبل متعددة ولكن شرطها أن تبدأ من نقطة واحدة وتصب في نقطة واحدة عند الهدف. وفيه عناصر ثلاث: ممتد، متحرك ويأخذ إلى غاية.

و المذاهب في الإسلام من السبل كلها تنطلق من نقطة واحدة وتصل إلى غاية واحدة. وسبل السلام تأتي بعد الإيمان والتوحيد بعد عبور الصراط المستقيم. ولتقريب الصورة إلى الأذهان فيمكن اعتبار السبل في عصرنا الحاضر وسائل النقل المتعددة فقد ينطلق الكثيرون من نقطة واحدة قاصدين غاية واحدة لكن منهم من يستقل الطائرة ومنهم السيارة ومنهم الدراجة ومنهم الدواب وغيرها.

واستخدمت كلمة السبيل في القرآن بمعنى حقوق في قوله **(ليس علينا في الأميين سبيل)** (آل عمران آية 75 )

وابن السبيل في القرآن هو من انقطع عن أهله انقطاعا بعيدا وهدفه واضح ومشروع كالمسافر في تجارة أو للدعوة فلا تعطى الزكاة لمن انقطع عن أهله بسبب غير مشروع كالخارج في معصية أو ما شابه.

**__طريق__**:الطريق يكون داخل المدينة وللطرق حقوق خاصة بها وقد سميت طرقا لأنها تطرق كثيرا بالذهاب والإياب المتكرر من البيت إلى العمل والعكس. والطريق هي

الذين عرفـوا الحق وخـالفوه (المغضـوب عليهم) ويقـول قسم من المفسرين أنهم العصاة.
الـــذين لم يعرفـــوا الحق وهم الضـــالين **(قل هل أنـــبئكم بالأخسرين أعمالا الـذين ضل سـعيهم في الحيـاة الـدنيا وهم يحسبون أنهم يحسـنون صـنعا)** (الكهف آية 103-104) هذا الحسبان لا ينفعهم إنما هم من الأخسرين.
ولا يخـرج المكلفـون عن هـذه الأصـناف الثلاثة فكل الخلق ينتمي لواحد من هذه الأصناف.

**<u>وقال تعالى (صراط الـذين أنعمت عليهم) ولم يقل تنعم عليهم فلماذا ذكر الفعل الماضي؟</u>**

اختار الفعل الماضي على المضارع أولاً: ليتعين زمانه ليبين صـراط الذين تحققت عليهم النعمة **(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الـــذين أنعم الله عليهم من النبـــيين والصـــديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا)** (النساء آية 69) صراط الذين أنعمت عليهم يـدخل في هـؤلاء. وإذا قـال تنعم عليهم لأغفل كل من انعم عليهم سابقا من رسل الله والصالحين ولو قال

العبادات التي نفعلها بشكل دائم كالصلاة والزكاة والصوم والحج والذكر. **(يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم)** (الأحقاف آية 30)
**<u>نهج</u>**: وهو عبارة عن ممرات خاصة لا يمر بها إلا مجموعة خاصة من الناس وهي كالعبادات التي يختص بها قوم دون قوم مثل نهج القائمين بالليل ونهج المجاهدين في سبيل الله ونهج المحسنين وأولي الألباب وعباد الرحمن فكل منهم يعبد الله تعالى بمنهج معين وعلى كل مسلم أن يتخذ لنفسه نهجا معينا خاصا به يعرف به عند الله تعالى كبر الوالدين والذكر والجهاد والدعاء والقرآن والإحسان وغيرها **(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)** ( المائدة آية 48 ) وإذا لاحظنا وصفها في القرآن وجدنا لها ثلاثة صفات والإنفاق فيها صفة مشتركة.
1- نهج المستغفرين بالأسحار: **(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)** ( الذاريات آية 17 - 19 )
2- ونهج أهل التهجد: **(تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون)** (السجدة آية 16)
3- ونهج المحسنين: **(الذين ينفقون بالسراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس)** ( آل عمران آية 134 )
**<u>فج</u>**: وهو الطريق بين جبلين **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)** (الحج آية 27)
**<u>جادة</u>**: وتجمع على جدد كما وردت في القرآن الكريم **(ومن الجبال جدد بيض وحمر)** (فاطر آية 27 ) والجادة هي الطريق الذي يرسم في الصحراء أو الجبال من شدة الأثر ومن كثرة سلوكه.
**<u>نفق</u>**: وهو الطريق تحت الأرض **(فان استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض)** (الأنعام آية 35 )

تنعم عليهم لم يـــدل في النص على انه ســـبحانه انعم على احد ولاحتمل أن يكون صراط الأولين غير الآخرين ولا يفيد التواصل بين زمر المؤمنين من آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة. مثال: اذا قلنا أعطــني ما أعطيت أمثــالي فمعنــاه أعطــني مثل ما أعطيت ســابقا، ولو قلنا أعطــني ما تعطي أمثــالي فهي لا تــدل على أنه أعطى أحداً قبلي.
ولو قال " تنعم عليهم " لكان صـراط هـؤلاء اقل شـأنا من صـراط الـذين أنعم عليهم فصـراط الـذين انعم عليهم من أولي العـزم من الرسل والأنبياء والصديقين أما الـذين تنعم عليهم لا تشـمل هـؤلاء. فالإتيان بالفعل الماضي يدل على انه بمرور الزمن يكثر عدد الذين انعم الله عليهم فمن ينعم عليهم الآن يلتحق بالســابقين من الــذين انعم الله عليهم فيشمل كل من سبق وانعم الله عليهم فهم زمــرة كبيرة من أولي العزم والرسل وأتباعهم والصديقين وغيرهم وهكـذا تتسع دائرة المنعم عليهم ، أما الذين تنعم عليهم تختص بوقت دون وقت ويكون عدد المنعم عليهم قليل لذا كـان قوله سـبحانه أنعمت عليهم أوسع وأشمل واعم من الذين تنعم عليهم.
**لمـاذا قـال صـراط الـذين أنعمت عليهم غـير المغضـوب عليهم ولا الضالين؟**
أي لمــاذا عــبر عن الــذين أنعم عليهم باســتخدام الفعل (أنعمت) والمغضوب عليهم والضالين بالاسم؟
الاسم يــدل على الشــمول ويشــمل ســائر الأزمنة من المغضــوب عليهم والدلالة على الثبوت. أما الفعل فيدل على التجدد والحــدوث فوصفه أنهم مغضوب عليهم وضالون دليل على الثبوت والدوام.
**إذن فلماذا لم يقل المنعم عليهم للدلالة على الثبوت؟**
لو قال صراط المنعم عليهم بالاسم لم يتبين المعـنى أي من الـذي أنعم إنما بين المنعِم (بكسر العين) في قوله ( أنعمت عليهم ) لأن معرفة المنعِم مهمة فالنعم تقدر بمقدار المنعِم (بكسر العين) لـذا أراد سـبحانه وتعـالى أن يـبين المنعم ليـبين قـدرة النعمة وعظيمها ومن عــادة القــرآن أن ينسب الخــير إلى الله تعــالى وكــذلك النعم والتفضل ويـنزه نسـبة السـوء إليه سـبحانه **(وأنا لا نـدري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشـــدا)** (الجن آية 10) والله سبحانه لا ينسب السوء لنفسه فقد يقول **(إن الذين لا يؤمنون بـالآخرة زينا لهم أعمـالهم فهم يعمهـون)** (النمل آية 4) لكن لا يقــول زينا لهم ســوء أعمــالهم **(زين لهم ســوء أعمالهم)** (التوبة آية 37) **(زين للناس حب الشـهوات )** (آل

عمران آية 14) **(وزين لفرعون سوء عملـه).** (غـافر آية 37) **(أفمن زين له سـوء عملــه)** (فــاطر آية 8)ــ **(وإذ زين لهم الشـيطان أعمـالهم)** (الأنفـال آية 48) أما النعمة فينسـبها الله تعــالى إلى نفسه لأن النعمة كلها خــير **(ربي بما أنعمت علي)** (القصص آية 17) **(إن هو إلا عبد أنعمنا عليـه)** (الزخـرف آية 59) **(وإذا أنعمنا على الإنســان أعــرض ونئا بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوسـا)** (الإسـراء آية 83) ولم ينسب سـبحانه النعمة لغيره إلا في آية واحدة **(وإذ تقول للذي انعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجــك)** (الأحــزاب آية 37) فهي نعمة خاصة بعد نعمة الله تعالى عليه.

**لماذا قال " المغضوب عليهم " ولم يقل أغضبت عليهم**؟

جاء باسم المفعول وأسنده للمجهـول ولـذا ليعم الغضب عليهم من الله والملائكة وكل الناس حتى أصـدقاؤهم يتـبرأ بعضـهم من بعض حـتى جلـودهم تتـبرأ منهم ولـذا جـاءت المغضـوب عليهم لتشـمل غضب الله وغضب الغاضبين.

**غير المغضوب عليهم ولا الضالين: لم كـرر لا**؟ وقـال غـير المغضــوب عليهم والضــالين؟ إذا حــذفت (لا) يمكن أن يُفهم أن المباينة والابتعاد هو فقط للذين جمعوا الغضب والضلالة فقط ، أما من لم يجمعها (غـير المغضـوب عليهم ولا الضـالين) فلا يـدخل في الاسـتثناء ، فـإذا قلنا مثلا : لا تشـرب الحليب واللبن الـرائب (أي لا تجمعهمـا) أما إذا قلنا : لا تشـرب الحليب ولا تشـرب اللبن الـرائب كان النهي عن كليهما إن اجتمعا أو انفردا.

**فلمــاذا قــدم إذن المغضــوب عليهم على الضــالين**؟

المغضـوب عليهم : الـذين عرفـوا ربهم ثم انحرفـوا عن الحق وهم اشد بعـدا لان ليس من علم كمن جهل لـذا بـدأ بالمغضـوب عليهم وفي الحديث الصحيح أن المغضوب عليهم هم اليهود وأما النصـارى فهم الضالون. واليهـود أسـبق من النصـارى ولـذا بـدأ بهم واقتضى التقديم.

وصفة المغضوب عليهم هي أول معصـية ظهـرت في الوجـود وهي صفة إبليس عندما أمر بالسجود لآدم عليه السلام وهو يعرف الحق ومع ذلك عصى الله تعـالى وهي أول معصــية ظهـرت على الأرض أيضــاً عنــدما قتل ابن آدم أخــاه فهي إذن أول معصــية في الملأ الأعلى وعلى الأرض **(ومن يقتل مؤمنا متعمــــدا فجـــزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه)** (النساء آية 93) ولذا بـدأ بها.

أما جعل المغضــوب عليهم بجــانب المنعم عليهم فلأن المغضــوب عليهم مناقض للمنعم عليهم والغضب مناقض للنعم.
خاتمة سورة الفاتحة هي مناسبة لكل ما ورد في السورة من أولها إلى آخرها فمن لم يحمد الله تعالى فهو مغضوب عليه وضـال ومن لم يـؤمن بيـوم الـدين وأن الله سـبحانه وتعـالى مالك يـوم الـدين وملكه ومن لم يخص الله تعـالى بالعبـادة والاسـتعانة ومن لم يهتد إلى الصراط المستقيم فهم جميعاً مغضوب عليهم وضالون.
ولقد تضمنت السورة الإيمان والعمل الصالح، الإيمــان بالله (الحمد لله رب العـــالمين) واليـــوم الآخر (مالك يـــوم الـــدين) والملائكة والرسل والكتب (اهدنا الصراط المستقيم) لما تقتضيه من إرســال الرسل والكتب. وقد جمعت هـــذه الســـورة توحيد الربوبية (رب العالمين) وتوحيد الإلوهية (إياك نعبد وإياك نستعين) ولذا فهي حقـاً أم الكتاب.

# لمسات بيانية في آية الكرسي

**( اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَـوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْـفَعُ عِنْـدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِـهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُـونَ بِشَـيْءٍ مِّنْ عِلْمِـهِ إِلاَّ بِمَا شَـاء وَسِـعَ كُرْسِـيُّهُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَـؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُـوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ )**
آية الكرسي هي سـيّدة آي القـرآن الكـريم. بـدأت الآية بالتوحيد ونفي الشـرك وهو المطلب الأول للعقيـدة عن طريق الإخبـار عن اللـه. بـدأ الإخبـار عن الـذات الإلهية ونلاحظ أن كل جملة في هـذه الآية تصح أن تكـون خـبراً للمبتـدأ (اللـه) لآن كل جملة فيها ضـمير يعود إلى الله سبحانه وتعالى: **الله** لا تأخذه سـنة ولا نـوم، **الله** له ما في السموات وما في الأرض، **الله** من ذا الذي يشـفع عنـده إلا بإذنه، **الله** يعلم مابين أيديهم وما خلفهم، **الله** لا يحيطون بعلمه إلا

بما شـــاء، **الله** وسع كرســـيّه الســـموات والأرض، **الله** لا يـــؤده حفظهما وهو العلي العظيم.
- قوله ( **اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ) :
الحيّ معرّفة والقيُّـوم معرّفـة. والحيّ هو الكامل الإتصـاف بالحيـاة ولم يقل حيّ لأنها تفيد أنه من جملة الأحياء. فـالتعريف بـــ(ال) هي دلالة على الكمـال والقصر لأن ما سـواه يصـيبه المـوت. والتعريف قد يأتي بالكمال والقصـر، فالله له الكمـال في الحيـاة وقصـراً كل من عداه يجوز عليه المـوت وكل ما عـداه يجـوز عليه المـوت وهو الـذي يفيض على الخلق بالحيـاة. فالله هو الحيّ لا حيّ سـواه على الحقيقة لآن من سواه يجوز عليه الموت.
القيّــوم: من صـــيغ المبالغة (على وزن فيعـــال وفيعـــول من صـــيغ المبالغة وهي ليست من الأوزان المشهورة) هي صيغة المبالغة من القيـــام ومن معانيها القـــائم في تـــدبير أمر خلقه في إنشـــائهم وتدبيرهم، ومن معانيها القائم على كل شيء ، ومن معانيها الذي لا ينعس ولا ينـــام لأنه إذا نعس أو نـــام لا يكـــون قيّومـــاً ومن معانيها القائم بذاته وهو القيّوم جاء بصيغة التعريف لأنه لا قيّوم سواه على الأرض حصراً.
- قوله ( **لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ** ) :
سنة هي النعاس الـذي يتقـدم النـوم ولهـذا جـاءت في تـرتيب الآية قبل النـوم وهـذا ما يعـرف بتقـديم السـبق، فهو سـبحانه لا يأخـذه نعاس أو ما يتقدم النوم من الفتور أو النـوم. المتعـارف عبيه يـأتي النعاس ثم ينام الإنسان. ولم يقل سبحانه لا (تأخذه سـنة ونـوم) أو (ســنة أو نــوم) ففي قوله ســنة ولا نــوم ينفيهما ســواءً اجتمعا أو افترقا لكن لو قـال سـبحانه سـنة ونـوم فإنه ينفي الجمع ولا ينفي الإفراد فقد تأخذه سنة دون النوم أو يأخذه النوم دون السنة.
- قوله ( **لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** )
دلالة (ما): ما تفيد ذوات غير العاقل وصـفات العقلاء، إذن لمّا قـال (له مــا) جمع العقلاء وغــيرهم ولو قــال (من) لخصّ العقلاء. (مــا) أشــمل وعلى ســبيل الإحاطــة. قــال (ما في الســموات وما في الأرض) أولاً بقصد الإحاطة والشمول، وثانياً قـدّم الجـار والمجـرور على المبتدأ (له ما في السموات) إفادة القصر أن ذلك له حصراً لا شريك له في الملك (ما في السموات والأرض ملكه حصراُ قصــراً فنفى الشرك). وجـاء تـرتيب (له ما في السـموات وما في الأرض) بعد (الحيّ القيّـوم) له دلالة خاصـة: يـدلّ على أنه قيـوم على ملكه الذي لا يشاركه فيه أحد غيره وهناك فرق بين من يقـوم على ملكه

ومن يقوم على ملك غيره فهذا الأخـير قد يغفل عن ملك غـيره أما الــذي يقــوم على ملكه لا يغفل ولا ينــام ولا تأخــذه سـنة ولا نــوم سـبحانه. فله كمـال القيوميـة. وفي قوله (له ما في السـموات وما في الأرض) تفيد التخصـــيص فهو لا يـــترك شـــيئاً في الســـموات والأرض إلا هو قائم عليه سبحانه.
- قوله ( **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** )
دلالة واضحة على تبيان ملكوت الله وكبريائه وأن أحــداً لا يملك أن يتكلم إلا بإذنه ولا يتقدم إلا بإذنه مصداقاً لقوله تعالى: (لا يتكلمـون إلا من أذن له الـرحمن وقـال صـوابا) هـذا الجـزء من الآية والجـزء الــذي قبلها (له ما في الســموات وما في الأرض) يــدل على ملكه وحكمه في الـدنيا والآخـرة لأنه لمّا قـال (له ما في السـموات وما في الأرض) يشــمل ما في الــدنيا وفي قوله (لمن ذا الــذي يشــفع عنـده إلا بإذنـه) هـذا في الآخـرة فـدلّ هـذا على ملكوته في الـدنيا والآخرة وأخرجه مخـرج الإسـتفهام الإنكـاري لأنه أقـوى من النفي. فدلّ هذا على أنه حيّ قيّـوم كيـف؟ لأن الـذي يَستشـفع عنـده حيّ والــذي لا يســتطيع أحد أن يتقــدم إلا بإذنه يجعله قــائم بــأمر خلقه وكلها تؤكد معنى أنه الحيّ القيّوم.
**<u>من ذا</u>**: فيها احتمالين كما يذكر أهل النحو: فقد تكون كلمة واحــدة بمعنى (من) استفهامية لكن (من ذا) أقوى من (من) لزيــادة مبناها (يقال في النحو: زيادة المبـنى زيـادة في المعـنى)ز فقد نقـول من حضر ، ومن ذا حضر؟
لمـاذا الإختلاف في التعبـير في قصة إبـراهيم في سـورة الصـافات <u>(مــاذا</u> تعبــدون) وفي ســورة الشــعراء (<u>ما</u> تعبــدون)؟ في الأولى استعمال (مـاذا) أقـوى لأن إبـراهيم لم يكن ينتظر جوابـاً من قومه فجـاءت الآية بعـدها (فما ظنكم بـرب العـالمين)، أما في الشـعراء فالسياق سياق حوار فجـاء الـرد (قـالوا نعبد أصـناماً). إذن (من ذا) و(ماذا) أقوى من (من) و(ما).
(من ذا) قد تكون كلمتان (من) مع اسم الإشارة ذا (من هذا) يقــال : من ذا الواقف؟ من الواقف؟ ومن هذا الواقف؟ فـ (من ذا الذي) تأتي بالمعنيين (من الذي) و(من هذا الـذي) باعتبـار ذا اسم إشـارة فجمع المعنيين معاً.
في سورة الملك قوله: (أمّن هذا الذي هو جند لكم) هذا مكون من (هـ) للتنبيه والتوكيد و(ذا) اسم الإشارة وكـذلك (هـؤلاء) هي عبـارة عن (هــ) و(أولاء) . فالهــاء تفيد التنبيه والتوكيد فــإذا كــان الأمر لا يدعو إليها لا يـأتي بها فلنسـتعرض سـياق الآيـات في سـورة الملك

مقابل آية الكرسي: آيـات سـورة الملك في مقـام تحـدّي فهو أشد وأقوى من سياق آية الكرسي لأن آية سورة الملك هي في خطـاب الكــافرين أما آية الكرسي فهي في ســياق المؤمــنين ومقامها في الشــفاعة والشــفيع هو طــالب حاجة يرجو قضــاءها ويعلم أن الأمر ليس بيده وإنما بيد من هو أعلى منه. أما آية سورة الملك فهي في مقام الندّ وليس مقام شفاعة ولذلك جاء بـ(هـ) التنبيه للإســتخفاف بالشخص الذي ينصر من دون الرحمن (من هو الذي ينصر من دون الرحمن) وهذا ليس مقام آية الكرسي. والأمر الآخر أن التعبـير في آية الكرسي اكتسب معنــيين: قــوة الإســتفهام والإشــارة بينما آية الملك دلت على الإشــارة فقط ولو قــال من الــذي لفــاتت قــوة الإشــارة. ولا يوجد تعبــير آخر أقــوى من (من ذا) لكسب المعنــيين قوة الإستفهام والإشارة معاً بمعنى (من الذي يشفع ومن هذا الذي يشفع).

- قوله ( **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** )

يعلم ما أمــــــامهم مســــــتقبلاً وما وراءهم والمقصود إحاطة علمه بأمورهم الماضية والمستقبلية ويعلم أحـوال الشـافع الـذي يشـفع ودافعه ولمــاذا طلب الشــفاعة ويعلم المشــفوع له وهل يســتحق استجابة الطلب هذا عام فهذه الدلالة الأولية.

في ســورة مــريم قــال تعــالى: (له ما بين أيـدينا وما خلفنا وما بين ذلك) **فما الحكمة أنها لم تـرد على هـذا الأسـلوب في آية الكرسي**؟ في سورة مريم سـياق الآيـات عن الملك (ولهم رزقهم فيهــا، تلك الجنة الـتي نـورث من عبادنـا، رب السـموات والأرض..) الــذي يــرزق هو الــذي يــورّث فهو مالك وقوله رب الســموات فهو مــالكهم) أما في ســورة آية الكرسي فالســياق عن العلم (يعلم ما بين أيــدينا) وبعد هــذه الجملة يــأتي قوله (ولا يحيطــون بلمه إلا بما شاء) أي أن السياق في العم لذا كان أنسب أن تــأتي (يعلم ما بين أيــدينا وما خلفنــا) وهــذه الجملة هي كما ســبق توطئة لما ســيأتي بعدها.

- قوله ( **وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء** )

**ما هي فائدة (مــا)؟** هي تحتمل معنــيين في اللغة هنا تحتمل أن تكون مصــدرية بمعــنى (لا يحيطــون بشــيء من علمه إلا بمشــيئته) وتحتمل أن تكون اسماً موصولاً بمعـنى (إلا بالـذي شـاء) وهنا جمع المعنيين أي لا يحيطون بعلمه إلا بمشيئته وبالذي يشاؤه أي بــالعلم الذي يريد وبالمقدار الذي يريد. المقدار الذي يشـاؤه نوعــاً وقـدراً. فمن ســواه لا يعلم شــيئاً إلا إذا ما أراده الله بمشــيئته وبما أراده

وبالقدر الذي يشاؤه والبشر لا يعلمون البديهيات ول أنفسهم ولا علّموا أنفسهم، فهو الذي شاء أن يعلّم الناس أنفسهم ووجودهم والبديهيات التي هي أساس كل علم. من سواه ما كان ليعلم شيئاً لولا أن أراد الله تماماً كما في قوله في سورة طه: (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) أي بذاته في المعنى. إذن لماذا ذكر نفي الإحاطة بالذات في سورة طه ونفي الإحاطة بالعلم في آية الكرسي؟ في سورة طه جاءت الآية تعقيباً على عبادة بني إسرائيل للعجل وقد صنعوه بأيديهم وأحاطوا به علماً والله لا يحاط به، لقد عبدوا إلهاً وأحاطوا به علما فناسب أن لا يقول العلم وإنما قال (ولا يحيطون به علما) أما في آية الكرسي فالسياق جاء في العلم لذا قال تعالى (لا يحيطون بشيء من علمه) .
- قوله ( **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** )
دلّ أولاً على أنه من ملكه (السموات والأرض من ملكه) وقبل هذه الجملة قال تعالى (له ما في السموات وما في الأرض) فدلّ على أن الذي فيهما هو ملكه أيضاً لأن المالك قد يملك الشيء لكن لا يملك ما فيه وقد يكون العكس. فبدأ أولاً ( له ما في السموات وما في الأرض) أي أن ما فيهما ملكه لم يذكر أن السموات والأرض ملكه وهنا ذكر أن السموات والأرض وما فيهما هو ملكه. وإن الكرسي وسع السموات والأرض كما ورد في الحديث القدسي (السموات والأرض كحلقة في فلاة في العرش، والكرسي كحلقة في فلاة في العرش)
**فما الحكمة من استخدام صيغة الماضي في فعل (وسع)؟** الحكمة أن صيغة الماضي تدلّ على أنه وسعهما فعلاً فلو قال يسع لكان فقط إخبار عن مقدار السعة فعندما نقول تسع داري ألف شخص فليس بالضرورة أن يكون فيها ألف شخص ولكن عندما نقول وسعت داري ألف شخص فهذا حصل فعلاً .تسع : تعني إخبار ليس بالضرورة حصل، لكن وسع بمعنى حصل فعلاً وهذا أمر حاصل فعلاً.
- قوله ( **وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** )
أي لا يثقله ولا يجهده وجاء بـ (لا) للدلالة على الإطلاق لا تدل على الزمن المطلق وإن كان كثير من النحاة يجعلونها للمستقبل لكن الأرجح أنها تفيد الإطلاق (لا يمكن أن يحصل) . والعليّ من العلو والقهر والتسلط والغلبة والملك والسلطان والعلو عن النظير والمثيل. والعظيم من العظمة وقد عرّفهما ـ (أل التعريف) لأنه لا عليّ ولا عظيم على الحقيقة سواه فهو العليّ العظيم حصراً.

وهذين الوصفين وردا مـرتين في ملك السـموات والأرض في آية الكرسي في ســورة البقــرة، وفي ســورة الشــورى (له ما في الســموات وما في الأرض وهو العلي العظيم) والأمــرين في ملك السموات والأرض بما يدلّ على العلو والعظمة حصراً له سبحانه.

الملاحظ في آية الكرسي أنها ذكرت في بدايتها صفتين من صفات الله تعـالى (الحيّ القيّـوم) وانتهت بصـفتين (العليّ العظيم) وكل حملة في الآية تـدل على أنه الحيّ القيّـوم والعليّ العظيم سـبحانه تقدست صـفاته. فالـذي لا إله إلا هو ؛ هو الحي القيـوم ؛ والـذي لا تأخذه سنة ولا نـوم هو حيّ وقيّـوم والـذي له ما في السـموات وما في الأرض أي المالك والذي يدبر أمر ملكه هو الحيّ القيوم والـذي لا يشفع عنده هو الحي القيوم ولا يشفع إلا بإذنه والذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحاط بشيء من علمه هو الحيّ القيّوم القيّم على الآخــرين والــذي وسع كرســيه الســموات والأرض هو الحيّ القيّوم والذي لا يؤده حفظهما هو الحيّ القيّوم لأن الــذي يحفظ هو الحي القيوم وهو العلي العظيم.

والحي القيوم هو العلي العظيم والذي لا تأخذه سنة ولا نوم والـذي له ما في السموات والأرض والـذي لا يشـفع عنـده إلا بإذنه والـذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والذي لا يحاط بعلمه إلا بما شـاء هو العليّ العظيم فكل جملة في آية الكرسي المباركة تـــدلّ على أنه الحيّ القيّوم والعلي العظيم.

**الخطوط التعبيرية في الآية**: الملاحظ في الآية أنها تــذكر من كل الأشياء اثنين اثنين، بدأها بصفتين من صفات الله تعـالى (الحي القيوم) وذكر اثنين من النم(سنة ونوم) وكرّر (لا) مـرتين (لا تأخـذه سنة ولا نوم) وذكر اثنين في الملكية(السموات والأرض) وكرر (ما) مـرتين وذكر اثـنين من علمه في (يعلم ما بين أيـديهم وما خلفهم) وذكر اثنين مما وسـعه الكرسي (وسع كرسـيه السـموات والأرض) وختم الآية باثنين من صفاته (العليّ العظيم).

وقد ورد اسمين من أسـماء الله الحسـنى مـرتين في القـرآن: في سورة البقرة (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ومرة في ســورة (آل عمـــران) في الآية الثانية (الله لا إله إلا هو الحي القيـــوم) (لاحظ الــرقم 2). والعلي العظيم وردت في القــرآن مــرتين في القــرآن أيضـاً مـرة في سـورة البقـرة ومـرة (له ما في السـموات وما في الأرض وهو العلي العظيم) في ســورة الشــورى في الآية الرابعة (أربع أسماء في الآية الرابعة).

**الدلالة**: القرآن هو تعبير فني مقصود كل لفظة وكل عبـارة وردت فيه لعظة على حروفها وهو مقصود قصداً.

# لمسات بيانية في الإسراء والمعراج

**أولاً : الإسراء:**

**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** سورة الإسراء آية 1

حُفّت السورة كلها بالتسـبيح والتحميد قبلها وبعـدها ولعـلّ في هـذا إشـارة إلى أنه  سـيُنقل إلى مكـان وعـالَم كله تسـبيح: سـورتي النحل (**أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**) وسورة الكهف (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا** )، وآياتها حُفّت بالتسـبيح والتحميد في بدايتها بالآية 1 وفي آخرها (**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا** ) آية 111. وقد سُـبقت السـورة بالمعيّة في أواخر سـورة النحل (**إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ) آية 128 ومن أعلى أنـواع المعيّة أن يُعـرج به  إلى حيث من يُحبه بعدما لاقى من الأذى ما لاقاه من قومه وهـذه أعلى معيّة للرسـول  وكأنه هو أعلى من الـذين اتقـوا والـذين هم محسنون.

بداية السـورة: **سـبحان:** كما هو معـروف لغويـاً سـبحان هي إما اسم مصـدر أو عَلَمٌ على التسـبيح. ولقد ورد التسـبيح في القـرآن الكـريم في سـور شـتّى فـورد بصـيغة الفعل الماضي (سـبّح لله ) وفعل مضـارع (يُسـبح للـه) أو فعل أمر (فسـبّح باسم ربـك) وورد بتعدية الفعل نفسه (سـبّح اسم ربك الأعلى) (وتسـبّحوه بكـرة وأصـيلا) وبالبـاء (فسـبّح باسم ربـك) وورد بلفظ تسـبيح وتسـبيح اسمه (سـبّح اسم ربـك) فنحن نسـبّحه ونسـبّح له ونسـبّح باسـمه ونسبّح بحمده (فسبّح بحمد ربك واستغفره) وباللام.

**سبحان الذي أسرى:** المجيء بالمصـدر يفيد الإطلاق بـدون تقيّد بـزمن أو بفعل أو بفاعل تسـبيح مطلق قبل تسـبيح أحد لا بفاعل معين ولا بـزمن معين قبل خَلق المسـبّحين أصـلاً. والإفتتـاح بـ "سـبحان " طبع السـورة بجو التسـبيح وشـاع فيه ذكر التسـبيح (سـبحانه وتعـالى عمّا يقولـون علـواً كبـيرا) (تسـبح له السـموات

الســبع والأرض) (وإن من شــيء إلا يســبح بحمــده) وهي أوسع وأشمل توسيع على الإطلاق.
الفعل عادة مقيّد بزمن ومقيّد بفاعل فعندما قـال تعـالى (سـبحان الـذي أسـرى) كـان مطلقـاً قبل وبعد تسـبيح المسـبّحين لا بفاعل معين وزمن معيّن إنما له التســــــــبيح المطلق قبل أن يخلق المسبحين أصلاً. فالإطلاق في التسـبيح في السـورة متناسب جـداً مع ما جاء في أول السورة (سبحان الـذي) وهو التسـبيح المطلـق. وليس هناك في القرآن كله سورة شاع فيها التسبيح كما شــاع في سورة الإسراء ولا توجد سورة تضـاهيها في التسـبيح ولعلها إشـارة إلى أن الرسول  سـينتقل إلى عـالم وجو مليء بالتسـبيح (الـذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون) فالسورة إذن مشحونة بالتسـبيح. وأســـرى تفيد المشي ليلاً وقد يكـــون من معانيها التســـرية عن الرسول  بعدما لاقـاه في عـام الحـزن وما حصل له في الطـائف فـأراد الله تعـالى أن يُسـرّي عن رسـوله ويريه كيف تكـون حفاوته في السماء بعد أن هـان على الكفّـار في قـريش والطـائف فـآذوه ولم ينصروه هذا والله أعلم.
**بعبده:** لم يقل برسوله ولا بمحمد وإنما قال بعبده. الإختيـار لكلمة (بعبده) له جملة معـاني أولهـا: أن الإنسـان مهما عظُم لا يعـدو أن يكون عبداً لله تعالى لا ينبغي لأحد أن يـدّعي مقامـاً ليس للآخـرين وحـــتى لا يًعظّم أكـــثر مما ينبغي (كما فعل النصـــارى بعيسى ) فاختيار كلمة عبد حتى لا يُدعى له مقام غير مقام العبودية. فمقـام العبودية لله هو أعلى مقام للخلق وأعلى وسام يُنعم الله تعـالى به على عبـاده الصـالحين تمامـاً كما وصـفت الآيـات نـوح  (إنه كـان عبـداً شـكورا) وأيـوب (نعم العبد إنه أوّاب) والرسـول  (وإنه لمّا قام عبد الله يدعوه). والعبودية نوعان: قسرية واختيارية، فالعبودية القسرية تتحقق شاء أم أبى (إن كل من في السـموات والأرض إلا آتي الرحمن عبـدا) سـورة مـريم أما العبودية الإختيارية فهي أعلى مقـام العبودية ولمّا ذُكر موسى  ذكـره الله تعـالى باسـمه وأعلى مقـام لموسى كـان في المناجـاة (ولما جـاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) إلى قوله (خرّ موسى صعقا) لم يكن ليقل خرّ عبدنا موسى أو جاء عبدنا موسى فلا يجوز أن ينسب العبودية له ثم يخرّ صعقاً هـذا لا يحدث ولا يجوز أصلاً، أما الرسول  عنـدما ذكر بصـورة العبودية أعقبها أنه عُــرِج به إلى الســماء وإلى ســدرة المنتهى وخاطبه ربه بمقام لم يصل إليه أحد إلاّ هو  فلذا كان اسـتعمال كلمة (بعبـده)

دلالة على زيادة التشريف له  والباء أيضاً إضافة تشريف وهي تدلّ على الرعاية والحفظ مثل قوله تعالى (فأوحى إلى عبده).
**ليلاً:** كلمة أسرى معناها ليلاً لأن الإسراء لا يكون إلا ليلاً (ظرف مركّب) حتى نفهم أن الرحلة الطويلة من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى والعروج إلى السماء كانت كلها في جزء من الليل وقد جاءت كلمة (ليلاً) بدل الليل لأن الليل تدل على الليل كله أما الإسراء فقد تم في جزء من الليل فقط وليس الليل كله.
**من المسجد الحرام:** أي من عين المكان ويكفي تسمية المسجد الحرام يعني أن لا يحدث فيه سوء. أكثر العلماء يقولون أن الإسراء لم يتم من المسجد الحرام وإنما من بيت أم هانئ وفي هذا التفاتة إلى أن مكة كلها حرم.
**المسجد الأقصى:** لم يكن آنذاك مسجداً لكن هذا إشارة إلى أنه سيكون مسجداً.
**باركنا حوله:** أسند تعالى المباركة لنفسه للدلالة على التعظيم ولم يقل بورك حوله والنون للعظمة لم يقل باركناه بل قال باركنا حوله لأنه لو قال باركناه لانحصرت المباركة بالمسجد فقط أما باركنا حوله فهو يشمل كل ما حوله وهو تعظيم للمسجد نفسه ولكنه إشارة أن المباركة حول المسجد أيضاً. ولم يقل باركنا ما حوله لأنها عندئذ تعني الأشياء فإذا زادت الأشياء زادت المباركة وإذا ذهبت ذهبت المباركة لكن المباركة كانت مطلقة تشمل أشياء معنوية وماديّة وروحانية بما أودع الله تعالى من رزق وخير وإرسال الرسل ولا تختص المباركة بشيء معين واحد وإنما تشمل كل هذه الأشياء.
**لنريه:** إلتفات لأسلوب المتكلم بعد أن ابتدأ بالغائب (سبحان الذي أسرى) إلتفت سبحانه للمتكلم ليدلّ على أن المتكلّم هو الله تعالى وليس شخصاً يُخبر عنه إنما كان من الله تعالى مباشرة. وكلمة (لنُريه) تدلّ على أن أفعاله سبحانه معلّلة ولغرض معيّن ولحكمة قد يذكرها وقد يخفيها عنّا سبحانه وكأن هذه الرحلة معدّ لها.
**من آياتنا:** أي مقرر ومُعدّ أن يرى بعض الآيات وليس كلها ولنريه: إسناد الفعل لله تعالى وشدة احتفائه برسوله  ولم يقل ليرى أو ليُرى إنما جاءت (لنُريه) وهذا إكرام وتشريف آخر من الله تعالى لرسوله  في هذا الرحلة. وإضافة الآيات إلى نفسه تعالى تأتي من باب الإحتفاء بالرسول  .
**إنه هو السميع البصير:** عودة إلى الإفراد والوحدانية. ضمير التعظيم يأتي بعد أو قبل ضمير الوحدة في القرآن الكريم وهذا

حتى لا يلتبس على السامع ويُشرك مع الله أحدا والأمثلة على ذاك كثيرة في القرآن الكريم تماما كما في سورة الكـوثر (إنا أعطينـاك الكوثر* فصلّ لربك وانحر) إنا تفيد التعظيم والكـاف تفيد الوحدانية لأن الــربّ واحد لا شــريك لــه. وهي تــدل على أنه ســبحانه في الحقيقة هو المتفرّد بهذه الصفات ولقصر الصفات له سـبحانه جـاء بالضمير (هو) .

**لمـاذا خُتمت الآية بـــ (الســميع البصــير)؟** ما دلالة الســمع والبصر هنا؟ سياق الآيات تقتضي ذكر قدرة الله تعـالى الحقيقة أنه لو قال إنه هو القدير أو إنه على كل شيء قـدير لا يزيد شـيئاً على معنى الآية لأن ما في الآيات إثبـات لقـدرة الله تعـالى والرسـول  أسري به ليسمع ويـرى أشـياء لم يسـمعها ولم يرها من قبل لـذلك ناسب سـياق الآيـات أنه ما يـراه الرسـول  يـراه ربّه وما يسـمعه يسمعه ربّه لذلك إنه هو السميع البصير.

فلمـاذا لم تـأتي الآيـات (السـميع العليم) مثلاً كما وردت في آيـات أخرى في القرآن؟ الذي يسـمع ويـرى هو عليم ولكن إذا قيل عليم قد يكون غـائب عنك فـالعليم ليس فيه حضـور أما السـميع البصـير ففيه حضــور. ولقد وردت (الســميع العليم) في آيــات أخــرى لأن المقام في تلك الآيات اقتضى ذلك (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) سورة الأعـراف آية 200 عنـدما ذكر نزغات الشيطان، والشيطان لا يُرى ووساوسه لا تُرى كـذلك لـذلك جـاءت الآية (سـميع عليم). أما عند ذكر البشر في آية أخـرى تـأتي ختام الآية بـــ (السـميع البصـير) (**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَـاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَـاهُمْ إِن فِي صُـدُورِهِمْ إِلَّا كِبْـرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِـيرُ**) سـورة غـافر آية 56.

**لماذا قدم السمع على البصر؟**

1. لأن من يسمعك أقرب ممن يراك فالشـخص الـذي تسـمعه أنت أقرب إليك من الذي تراه وهـذا يُشـعر بالطمأنينة والأمن والقرب.
2. الســمع هو أهمّ من البصر في مجــال الــدعوة فاقد البصر يمكن أن يبلّغ في مجــال الــدعوة أما فاقد الســمع فيصــعب تبليغه.
3. الإسراء في الليل والليل آيته السمع. وفي القرآن عندما يأتي ذكر الليل تأتي الآيات بـ (أفلا يسمعون) وعند ذكر النهـار تـأتي

(أفلا تبصـرون) فكـلّ آية تناسب وقتها فالليل للسـمع والنهـار للإبصار.

4. قُدّم السمع على البصر في القرآن إلا في مواطن قليلة منها في سورة الكهف (أبصر به وأسمع) لأن السياق يقتضي ذلـك، فقد خرج أهل الكهف فارّين حتى لا يراهم أحد لكن الله تعالى يـــــــراهم في ظلمة الكهف وفي تقلبهم ذات اليمين وذات الشـمال. وفي سـورة السـجدة (ربنا أبصـرنا وسـمعنا) قـدّم البصر هنا لأنهم كانوا يسمعون في الدنيا ويكـذبون في الآخـرة وأبصروا العذاب والحقيقة وقولهم يعني أنهم موقنـون واليقين لا يتـأتى إلا بالإبصـار وليس بالسـمع (عين اليقين) لأنهم رأوا العذاب عين اليقين.

**<u>لغتة:</u>** وردت كلمة سـميع والسـميع في القـرآن الكـريم 46 مـرة ووردت كذلك كلمة بصير والبصير 46 مرة.

**<u>خلاصة:</u>**

1. أن الحياة والقـدرة والسـمع والبصر والحكمة وصـفة الخلق كلها صـفات وردت في هـذه الآية ثم ذكر الكمـال في هـذه الصفات بكلمة واحدة هي (سبحانك) فالفرد قد يكون سـميعا وبصـيرا وذا قـدرة ولكن قد يكـون أحمقا أما كلمة سـبحانك فجاءت نفياً وتنزيهاً لله تعالى عمّا يصفه أهل الجاهلية.
2. ارتبـاط أوّل السـورة بآخرها فقد بـدأت بالتسـبيح وختمت بالتحميـد. نعمة الإسـراء نعمة عظيمة جليلة فجـاء في ختـام السـورة قوله تعـالى (وقل الحمد للـه) حمـداً لله على نعمة الإسراء.
3. ختمت السورة بالباقيات الصالحات (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) (**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِـذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْـكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا** ) وبعد هذه الآية تبدأ سورة الكهف استجابة لهـذا القـول (قل الحمد لله فـافتتحت سـورة الكهف بالآية (**الْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنـزَلَ عَلَى عَبْـدِهِ الْكِتَـابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**) وفي قوله في ســــــورة الكهف في آية 4 (**وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَـذَ اللَّهُ وَلَـدًا**) رد على آخر سـورة الإسراء أنه سبحانه ليس له شريك في الملك.

# المعراج : (سورة النجم من الآية 1 إلى الآية 18)

**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ***

**القسم : والنجم إذا هوى:** في بداية السورة وعلاقته بما قبله (سورة الطور): سبقت سورة النجم التسبيح في خواتيم سورة الطور (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ) فجاء ذكر النجوم والقسم هو بالنجم في هذه السورة. هوى: معناه غرَب ومعناه سقط فإذا كان المعنى الأول في خواتيم سورة الطور (إدبار النجوم) أي غروبها فهي إذن مرتبطة بالتسبيح ومرتبطة بإدبار النجوم فأصبح هناك تناسق بين إدبار النجوم والنجم إذا هوى. ثم ناسب افتتاح السورة خاتمتها (فاسجدوا لله واعبدوا) أولاً لأن السجود هو أهم ركن من أركان الصلاة والصلاة فُرِضت في

المعراج وهذه السورة بداية رحلة المعراج وختم السوء بما فُرِض في المعراج. ومن ناحية أخرى إذا كان هوى بمعنى سقط والسقوط هوي إلى الأرض فهي مناسبة للحركة لأن السجود هوي إلى الأرض وكأنما النجم هوى ليسجد لله تعالى والسجود أقرب ما يكون إلى الله تعالى لذا اختار سبحانه أقرب حالة إليه في أقرب معيّة وهي العروج بالرسول  إلى سدرة المنتهى (أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد) أقرب حالة من الله لأقرب رحلة إلى الله تعالى.

**ما ضلّ صاحبكم وما غوى**: نفي شيئين الضلالة والغواية. وهناك فرق بين الضلالة والغواية فالضلالة قد تكون عن قصد أو عن غير قصد (فأضلّه الله على علم) (الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) سورة الكهف، أما الغواية فهي عن قصد وهو الإمعان في الضلال. والضلال عام نقول ضلّت الدابة ولا نقول غوت الدابّة والغواية هي للمكلّف. والضلال نقيض الهدى والغواية نقيض الرشد (يُضلّ من يشاء ويهدي من يشاء) (وأضلّ فرعون قومه وما هدى) سورة طه، (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلا) (قد تبيّن الرشد من الغيّ) سورة البقرة.

ما ضل صاحبكم وما غوى: نفى الله تعالى عن رسوله  الأمرين الضلالة والغواية وقد ذكر كلمة(صاحبكم) ولم يقل اسمه وقد وردت صاحبكم في ثلاث مواضع في القرآن الكريم: إما لنفي الضلال وإما لنفي الجنون (ما بصاحبكم من جِنّة، وما صاحبكم بمجنون، ما ضل صاحبكم ) وهذا لأن فيها معنى الصحبة فقد لبث الرسول  فيهم عمراً طويلاً وخالطهم وعاشرهم وعرفوا صدقه وأمانته ولا يكذّبونه فهو صاحبهم فكيف يمكن لهم أن يتهموه بالضلال؟ وقد وردت كلمة صاحبكم دائماً لنفي الجنون والغواية وهذا فيه معنى الصحبة أيضاً

ولو لاحظنا القسم في بداية السورة هو دلالة على الهوي والسقوط ، والضلال والغيّ هما سقوط في السلوك ودائماً يأتي في القرآن الضلال مع الحرف (في) (في ضلال مبين) وهذا دليل على السقوط أما عند ذكر الهداية فيأتي بالحرف (على) لأن الهدى تفيد الإستعلاء وهو  متمكن من وقع قدمه وقادر أن يرى حتى الهمزة تفيد السقوط تأتي مع (في) الظرفية دلالة على السقوط (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) والنجم إذا ضلّ مساره سقط.

تكرار ما في قوله تعالى (ما ضلّ صاحبكم وما غوى): وهذا حـتى لا يُتصوّر أنه نفى الجمع بينهما فقط وإنما نفى الجمع بينهما والإفـراد. ما ضلّ صاحبكم وما غـوى تعـني نفي الضـلالة والغواية معـاً أو كل منهما على حدة. أما القول ما ضلّ صاحبكم وغوى فهي تفيد النفي بالجمع بين الصفتين. وهـذا من بـاب الإحتيـاط للمعـنى نفاهما على سبيل الجمع والإفراد ومعنـاه أنه  اهتـدى ورشد فهو مهتد رشـيد. إذن لمـاذا لم يقل (هـدى ورشـد) بـدل ما ضـلّ وما غـوى؟ لو قـال اهتـدى قد يكـون في وقت من الماضي أو لفـترة زمنية محـددة قد تفيد أنه قد يكون قبل الهداية ضالاً لكنه  مهتد رشيد لم يسـبق له ضلالة (ما ضلّ صاحبكم وما غوى) تفيد أنه مهتد رشيد لم يسبق له ضلالة في أي وقت وزمن كان.

**وما ينطق عن الهوى:** أولاً نفى الفعلين السابقين بالماضي (ما ضـلّ وما غـوى) وهنا نفي بالمضـارع يفيد الإسـتمرار والحاضر فلو قال (ما نطق عن الهـوى) لاحتمل المعـنى أنه نفى عنه الهـوى في الماضي فقط ولم ينفه عنه فيما يسـتقبل من نُطقـه. فقد نفى تعـالى عن رسـوله  الضـلال والغواية في الماضي كله ونفى عنه الهـوى في النطق في الحاضر والمسـتقبل فهو إذن  منفيّ عنه الضلال والغواية في السلوك وفيما مضى وفي المستقبل.

ما دلالة الحـرف عن في قوله (وما ينطق عن الهـوى)؟ فـالنطق عادة يكون بالباء (كتابنا ينطق بالحقّ) أما هنا فجاءت (عن) ومعناها ما ينطق صـادراً عن هـوى يعـني إن الـدافع للنطق ليس من هـوى وهو بمنزلة تزكية للنفس القائلة لأن الإنسان قد ينطق بـالحق لكن عن هوى (حق أريد به باطل) يعني الدافع هوى (نـاطق عن هـوى). وهكذا زكّى الله تعـالى رسـوله  بتزكية الـدافع للقـول فالـدافع له زكي صادق ونطقه صـادق أيضـاً وعليه جـاءت الآية (وما ينطق عن الهوى).

**إن هو إلا وحي يوحى:** (إن) هي أقوى ما في النفي وأقوى من ذلك أن تأتي (إن) و (إلاّ) معاً. مسألة الوحي هي المسألة الأساسية التي بين الإيمـان والكفر فجـاء سـبحانه بـأقوى حـالات الإثبـات لأن الـوحي كـان سـبب المسـألة الخلافية بين الكفّـار والرسـول . والإنسـان قد ينطق غـير صـادق عن هـوى لكن ليس بالضـرورة أن يكـون كلامه كله حقـاً وصـدقاً حـتى ولو كـان دافعه دافع إخلاص . فبعد أن زكّى سـبحانه الـدافع (ما ينطق عن الهـوى) ثبّته أنه وحي (إن هو إلا وحي يوحى). واستخدام الضمير (هـو) يعـود على النطق معناه ما نُطقه إلا وحي يوحى.

**علّمه شديد القـوى * ذو مِـرّة فاسـتوى:** الـوحي بالعربية قد يكـون إلهامـاً مثل الـوحي لأم موسى بإلقـاءه في اليم، والـوحي للنحل، ولشياطين الإنس والجنّ) فأراد سبحانه أن يقطع أي فكـرة فقال (علّمه شديد القوى) بمعنى أنه ليس إلهاماً ولكنه وحي علّمه إياه شديد القوى (وعلّمك ما لم تعلم) نسب العلم إلى الله سبحانه أنه هو المُعلّم. وفي ذكر الـوحي يجب ذكر المسـؤول عن إيصـال الـوحي وهو جبريل عليه السـلام ، فالله تعـالى هو المُعلّم الأول عنـدما ذكر أن كلامه وحي كـان من الـداعي أن يـذكر من علّمه وأوصل العلم إليـه. وفعل علّمه تفيد المداومة والتكثـير على خلاف أعلّمـه. كل الآيـات السـابقة مبنية على عـدم ذكر اسم الفاعل (ما ضل صاحبكم، ما ينطق، علمه شديد القوى) وذكر وصـفين (شـديد القوى وذو مِرّة) والمِرّة قد تأتي بمعنى العقل والإحكـام والحصـانة والإستحكام وتأتي بمعنى القوة أيضـاً فلمـاذا اختـار سـبحانه هـذين الوصفين (شديد القوى وذو مِرّة)؟ هاتان الصفتان فيهما إشـارة أن الخروج إلى أقطار السـموات يحتـاج إلى أمـرين هما القـوة والعلم والرسول  في رحلته في أقطار السموات يحتاج إلى قوة شـديدة وإلى إحكـــام وعقل وهنا أشـــارة إلى تمكّن جبريل  من حفظ الرسول  في رحلته فكان قوياً في حفظ الرسول  ومحكمـاً في حفظ الـوحي وكل حفظ يحتـاج إلى قـوة وعقل وإحكـام. وهـذه الرحلة (المعـراج) في أقطـار السـموات والأرض أما في سـورة الـرحمن (إن اسـتطعتم أن تنفـذوا من أقطـار السـموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسـلطان) لأن الخـروج من أقطـار السـموات والأرض فيها تحدّي وتحتاج إلى سلطان القوة والعلم.

**ذو مرة فاسـتوى * وهو بـالأفق الأعلى * ثم دنا فتـدلّى:** تحديد مكان الإستواء. أولا : استوى تعني اعتل واستقام وتهيّأ. ينزل جبريل  إلى الرسول  يتدلّى إليه ويصـحبه بعد أن تهيّأ لـذلك من الأفق الأعلى (وليس العالي) وهذا حتى يليق بمقام النبوة وهذا فيه ثنـاء على جبريل  أنه اسـتعدّ للأمر قبل أن يـأتي ويقـوم بمهمته وفيه تكريم للرسول  لأن مقام الشخصية يسـتدعي زيـادة التهيئة والإستعداد وحسنه واستعد لـذلك من الأفق الأعلى (اسـتعد جبريل  للأمر قبل أن يـنزل وفيه إشـارة إلى عِظم المهمة وعِظم الزائر وهو الرسول ).

هـذه الآية في سـورة النجم ذكـرت (الأفق الأعلى) وفي آية سـورة التكوير ذكر (الأفق المبين) فما الفرق بينهما؟

في آية سورة النجم يُراد بالآيات والرحلة العـروج إلى الأفق الأعلى وهو المكــان الــذي ســيعرُج إليه الرســول . أما في آية ســورة التكوير (ولقد رآه بـالأفق المـبين) فـالأفق المـبين تـدل على الإبانة الواضــحة وهي مناســبة لما تبعها في قوله تعــالى (وما هو على الغيب بضنين) على أنه  ليس بضنين ولا بخيل فالرسـول  مـبين ليس بضنين والأفق مبين أيضاً.

**ثم دنا فتدلّى * فكان قاب قوسـين أو أدنى:** ثم دنا فتـدلّى فيها تكريم للرسول  لأن الدنو غير التـدلي فالـدنو هو القـرب من أســفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أســفل وغــيره أما التــدلّي فلا يكون إلا من أعلى لأسـفل. ومعـنى أن جبريل  تـدلّى للرسـول  فهذا في غاية التكريم لـه. العـرب تقـول في القـرُب أشـياء كثـيرة كناية عن القرب فلماذا اختار سبحانه قاب قوسين أو أدنى؟ اختيـار قاب قوسين تـدل على القـرب والقـوس هي في حد ذاتها لا بد أن تكون قوية شديدة والوتر لا بد أن يكون قوياً شديداً والرامي ينبغي أن يكـون قويـاً مُسـدداً فـالقوس يحتـاج إلى إحكـام في التسـديد والإنطلاق وهذه كلها عناصر الرحلة وقد سـبق قوله تعـالى (شـديد القوى * ذو مِرّة فاستوى) والقـوس شـديد ويسـتعمله قـوي شـديد والرحلة وهي الإنطلاق لذا جاء استعمال قاب قوسين أو أدنى.

**فأوحى إلى عبده ما أوحى:** نفس الكلام الذي ورد في أسـرى بعبـده ينطبق على ورود كلمة عبـده هنا في هـذه الآيـة. تسـتخدم كلمة (عبــد) على مجمــوع الجسد والــروح وهنا إثبــات على أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد وإلا فأين المعجزة! ولو كـان بـالروح فقط لما كذّبه الكفـار فهم عرفـوا وتأكـدوا أن الرحلة تمّت بالروح والجسد معاً.

**ما كــذب الفــؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يــرى:** ما اللمسة البيانية في اختيار كلمة (المراء) ؟ ورد قبل هـذه الآية قوله تعالى (ما كـذب الفـؤاد ما رأى) اختيـار لفظ الفـؤاد هو من التفـؤد والتوقّد (يقال فأد اللحم بمعـنى شـواه) اختـار الفـؤاد لأن فـؤاده  متوقّد لـيرى كل ما حولـه. أما في قوله (ما كـذب الفـؤاد ما رأى) وهو القلب المتوقّد الحار لم يقل لبصره أنه واهم فيما يرى، فـؤاده  صـدّق بصـره يعـني ما رأيته ببصـرك لم يشـكك به الفـؤاد على توقّده فقد صدق الفؤاد البصر وما يراه البصر هو حق صادق.

**المرية:** فيها شك. لم يقل سـبحانه أفتجادلونه إنما قـال أفتمارونه لأن المِرية تختلف عن الجدال، فالكفار كـانوا يشـككون في الرواية وليس في الأفكـار كما في قوله (إن الـذين يمارونك في السـاعة)

(يمارون في الساعة) أي يجادلون في الساعة لأن لا أحد رآهـا، أما الرؤية فهي ليست موضوع نقاش في هذه السورة (أفتمارونه على ما يـرى) أي لا يُمـارى على رؤيته  والملاحظ هنا اسـتخدام حـرف (على) أما في الآية السابقة استخدم الحرف (في).

**ولقد رآه نزلة أخـرى * عند سـدرة المنتهى * عنـدها جنّة المـأوى:** اســتخدم كلمة نزلة وليس كلمة (مــرّة) لأن النزلة من النزول فقال ولقد رآه نزلة أخرى أي عند نزوله  رأى جبريل وهذا دليل على أنه  صـعد إلى مكـان أعلى من الـذي وصل إليه جبريل وفي رحلة عودته  رأى جبريل عند نزوله وهذا مصداق الحديث أن جبريل  قال للرسول  تقدم وقال لو تقدمتُ لاحترقت.

اختيار سـدرة المنتهى: المنتهى هي آخر شـيء وآخر نقطة ومكانها عند جنّة المأوى.

**إذ يغشى السـدرة ما يغشـى:** وفي هـذه الآية أمـور لا نعرفها نحن فالله أعلم بمجريات هـذه الرحلة وما فيها وما رآه الرسـول  فيها وما في السدرة وما يغشاها.

**ما زاغ البصر وما طغى:** زاغ من الزيغــان وهو الــذهاب يمينــاً وشمالاً أما الطغيان فهو مجاوزة الحدّ والقدر والتطلع إلى ما ليس له. بمعنى أنه  في رحلته ما مال بصـره ولا جـاوز قـدره بل وقف في المكـان الـذي خُصص له وفي هـذا مـدح للرسـول  فقد وقف بصـره في المكـان المحـدد له مع أن المكـان يسـتدعي أخذ البصر والإلتفـات. وقد سـبق أن نفى الله تعـالى عن رسـوله  الضـلال والغواية في الأرض وكـذلك نفى عنه أن يكـون زاغ بصـره أو طغى في السموات فهو لم يتجاوز لا في الأرض ولا في السماء فسبحان الله تعالى وصلى الله وسـلم على سـيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين.

**لقد رأى من آيات ربه الكـبرى:** (مِن) يقـال لها التبعيضـيّة. لم يرى كل شيء لكن الرحلة كان لها منهجاً معيناً وجـاء بـالكبرى فيه تكريم آخر للرسول  أنه رأى بعض الآيات الكـبرى. والسـورة كلها فيها تكريم للرسـول  وهـذه الآية مبنية على الإبهـام وهـذا الإبهـام للتعظيم. وأورد ما فسّــره الشــيخ الشـعراوي رحمه الله فهو في خواطره يـرى أن الرسـول  رأى من آيـات ربه الآية الكـبرى والله أعلم بها هذا.

# بعض اللمسات البيانية في سورة الكهف

**سؤال 1:في سورة الكهف قال الله تعالى (ماكثين فيه أبدا) آية 3 فلماذا لم تستخدم كلمة (خالدين)؟**

**المكث** في اللغة : هو الأناة واللبث والإنتظار وليس بمعنى الخلـود أصل المكث. الله تعـالى يقصد الجنّة (ان لهم أجـراً حسـنا) والأجر الذي يُدفع مقابل العمل وننظر ماذا يحصل بعد الأجر. والجنّة تكـون بعد أن يوفّى النـاس أجـورهم وفي الآية قـال تعـالى (أجـراً حسـناً) فالمقام هنا إذن مقام انتظار وليس مقـام خلـود بعد وعلى قـدر ما تأخذ من الأجر يكون الخلـود فيما بعد الأجر وهو الخلـود في الجنّـة. ومن حيث الدلالة اللغوية الأجر ليس هو الجنّة لــذا ناسب أن يــأتي بالمكث وليس الخلود للدلالة على الترقّب لما بعد الأجر.

**ســـؤال 2:ما اللمسة البيانية في اســـتخدام (فـــأردت) (فأردنا) (فأراد ربك) في سورة الكهف في قصة موسى والخضر؟**

الملاحظ في القرآن كله أن الله تعالى لا ينسب السوء إلى نفسه ؛ أما الخير والنِعم فكلها منسوبة إليه تعالى كما في قوله (وإذا أنعمنا على الإنسـان أعـرض ونئا بجانبه وإذا مسّـه الشر كـان يؤوسـا) ولا نجد في القرآن فهل زيّن لهم سوء أعمالهم أبدا إنما نجد (زُيّن لهم سوء أعمالهم) وكذلك في قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام (الـذي يميتـني ثم يحـيين) وقوله (وإذا مرضت هو يشـفين) ولم يقل يمرضــني تأدبـاً مع الله تعـالى.(**أَمَّا السَّـفِينَةُ فَكَـانَتْ لِمَسَـاكِينَ يَعْمَلُـونَ فِي الْبَحْـرِ فَـأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَـانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُـلَّ سَـفِينَةٍ غَصْـباً** {79}) في هـذه الآية الله تعـالى لا ينسب العيب إلى نفسه أبـداً فكـان الخضر هو الـذي عاب السفينة فجاء الفعل مفرداً.

(**فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْـرَبَ رُحْمـاً** {81}) في هـذه الآية فيها اشـتراك في العمل قتل الغلام والإبـدال

بخير منه حسن فجاء بالضمير الـدالّ على الإشـتراك. في الآية إذن جانب قتل وجانب إبدال فجاء جانب القتل من الخضر وجاء الإبـدال من الله تعالى لذا جاء الفعل مثنّى.
(**وَأَمَّا الْجِـدَارُ فَكَـانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَـةِ وَكَـانَ تَحْتَـهُ كَـنزٌ لَّهُمَا وَكَـانَ أَبُوهُمَا صَـالِحاً فَـأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَـبْراً** {82}) في هـذه الآية الجدار كلّه خير فنسب الفعل لله وحده وأنه يدلّ على أن الله تعالى هو علاّم الغيـوب وسـبق في علمه أن هـذا الجـدار تحته كـنز لهما وأنه لو سـقط سـيأخذ أهل القرية المـال من الأولاد اليتـامى وهـذا ظلم لهم والله تعـالى ينسب الخـير لنفسه عـزّ وجـلّ.وهـذا الفعل في الآية ليس فيه اشـــتراك وإنما هو خـــير محض للغلامين وأبوهما الصالح والله تعالى هو الـذي يسـوق الخـير المحض. وجـاء بكلمة رب في الآيات بدل لفظ الجلالة (الله) للدلالة على أن الرب هو المــربي والمعلّم والــراعي والــرازق والآيــات كلها في معــنى الرعاية والتعهد والتربية لــذا ناسب بين الأمر المطلــوب واســمه الكريم سبحانه.

**سؤال 3: ما الفرق بين كلمة (قرية) وكلمة (مدينــة) في القرآن الكريم كما وردتا في سورة يس وسورة الكهف؟**

في اللغة : إذا اتّسـعت القرية تُسـمى مدينة ، والقرية قد تكــون صــغيرة وقد تكــون كبــيرة. وفي ســورة يس وردت الكلمتــان (**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ** {13}) **و (وَجَـاء مِنْ أَقْصَـى الْمَدِينَـةِ رَجُـلٌ يَسْـعَى قَـالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ** {20}) أي أن أصـحاب القرية جـدّوا في التبليغ حـــتى وصل إلى أبعد نقطة في المدينة مع بُعـــدها. وقوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) أي أن هذا الرجل جاء يحمل همّ الـــدعوة والتبليـــغ. ووصل التبليغ إلى أقصى نقطة في المدينة مع أنها متّسـعة وهـذا فيه دليل على جهـدهم لنشر الـدعوة والذي جاء حمل همّ الدعوة من أقصى المدينة.

وفي ســـورة الكهف (**فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْـــلَ قَرْيَـــةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَـأَبَوْا أَن يُضَـيِّفُوهُمَا فَوَجَـدَا فِيهَا جِـدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْـراً** {77}) و(**وَأَمَّا الْجِـدَارُ فَكَـانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَـةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَـنزٌ لَّهُمَا وَكَـانَ أَبُوهُمَا صَـالِحاً فَـأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُـــدَّهُمَا وَيَسْـــتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَـــةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا**

**فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً** {82}) استطعم موسى والخضر أهل القرية على سعتها أي أنهما جالا فيها كلها وبلغ بهم الجوع كثيراً حتى استطعموا أهلها.

**سؤال 4: في سورة الكهف ما دلالة حرف العطف واو في قوله (سبعة وثامنهم كلبهم) مع أنها لم ترد فيما قبلها (ثلاثة رابعهم كلبهم وخمسة سادسهم كلبهم)؟**

الواو تفيد التوكيد والتحقيق كما صرّح المفسرون أي كأنها تدل على أن الذين قالوا أن أصحاب الكهف كانوا سبعة وثامنهم كلبهم هم الذين قالوا القول الصحيح الصواب ومنهم الزمخشري. الواو إذن هي واو الحال ولكنها أفادت التوكيد والتحقيق بأن هذا القول صحيح لأن الواو يؤتى بها إذا تباعد معنى الصفات للدلالة على التحقيق والإهتمام (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) وإذا اقترب معنى الصفات لا يؤتى بالواو (همّاز مشّاء بنميم) هنا الصفات متقاربة فلم يؤتى بالواو.

وفي قوله تعالى في سورة التوبة (**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** {112}) نلاحظ أن الواو ذكرت مع الصفة الأخيرة وهي الأشد على النفس والآخرين وباقي الصفات الأولى كلها متقاربة لكن النهي عن المنكر يكون أشدّ على الإنسان وقد يؤدي إلى الإهانة والقتل أحياناً.

**سؤال 5: ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى في سورة الكهف (فأتبع سببا) وقوله (ثم أتبع سببا)؟**

الحكم العام في النحو: الفاء تفيد الترتيب والتعقيب. وثمّ تفيد الترتيب والتراخي أي تكون المدة أطول.

وفي سورة الكهف الكلام عن ذي القرنين ففي الآية الأولي (فأتبع سببا) لم يذكر قبل هذه الآية أن ذي القرنين كان في حملة أو في مهمة معينة وإنما جاء قبلها الآية (وآتيناه من كل شيء سببا) هذا في الجملة الأولى لم يكن قبلها شيء وإنما حصل هذا الشيء بعد التمكين لذي القرنين مباشرة، أما في الجملة الثانية (ثم أتبع سببا) فهذه حصلت بعد الحالة الأولى بمدة ساق ذو القرنين حملة إلى مغرب الشمس وحملة أخرى إلى مطلع الشمس وحملة أخرى إلى بين السدين وهذه الحملات كلها تأتي الواحدة بعد الأخرى بمدة وزمن ولهذا جاء استعمال ثم التي تفيد الترتيب والتراخي في الزمن.

ما دلالة قوله تعالى (ولا تقولنّ لشـيء إني فاعل ذلك غـداً) ولمـاذا استخدام اللام في (لشيء) ولم يقل (عن شيء)؟
ورود اللام بعد القول له أكثر من دلالة وهو ليس دائماً للتبليغ وإنما تأتي لبيان العِلّة إما بمعنى عن أو بسبب أمر ما (قال له). وقد جـاء في سورة الكهف في قصة الخضر مع موسى قوله تعالى: ألم أقل لك أنك لن تسـتطيع معي صـبرا)، ويقـال في اللغـة: قلت له كـذا وكذا. وقد تأتي اللام مع القـول لغـير التبليغ وتـأتي بمعـنى عن كما جـاء في قـول الشـاعر (كضـرائر الحسـناء قلن لوجهها إنه لـدميم) قلن لوجهها بمعنى عن وجهها. وقد تأتي اللام بعد فعل قال للتعليل بمعنى لأجل ذلك أو بسبب ذلك

**سؤال 6: ما إعراب كلمة (كلمة) في قوله تعالى (كـبرت كلمة تخرج من أفواههم) سورة الكهف؟**

كلمة هي تميـيز، الفاعل ضـمير مسـتتر ويـأتي التميـيز ليفسـرها وتسمى في النحو: الفاعل المفسّر بالتمييز.

**ما إعـراب (أيّ) في الآية (لنعلم أي الحـزبين أحصى لما لبثوا أبدا) في سورة الكهف؟**

أي: هي مبتـدأ. وهي من أسـماء الإسـتفهام وكل الأسـماء الـتي لها صدر الكلام لا يعمل بها ما قبلها إلا حروف الجرّ ولكن يعمل فيها ما بعدها (**ولتعلمنّ أيّنا أشدّ عذاباً وأبقى**).

**ما السبب في تنكير الغلام وتعريف السـفينة في سـورة الكهف في قوله تعـالى (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامـاً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَـدْ جِئْتَ شَـيْئاً نُّكْـراً {74}) و (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّـفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَـيْئاً إِمْـراً {71})؟**

حسب التفاسير أن الخضر وموسى  لم يجدا سفينة لما جـاءا إلى الساحل ثم جـاءت سـفينة مـارّة فنادوهما فعرفا الخضر فحملوهما بدون أجر ولهذا جاءت السفينة معرّفة لأنها لم تكن أية سـفينة. أما الغلام فهما لقياه في طريقهم وليس غلاماً محدداً معرّفاً.

**سؤال 7: ما اللمسة البيانية في إختيـار كلمة الأخسـرين في قوله تعـالى في سـورة الكهف (قُـلْ هَـلْ نُنَبِّئُكُمْ**

**بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً {103})؟ وما الفرق بين الخاسرون والأخسرون؟**
ورد في القرآن الكريم استخدام كلمتي الخاسرون كما جاء في سورة النحل (**لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ** {109}) والأخسرون كما جاء في سورة هود (**لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ** {22})، وفي سورة النمل (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ** {5}) وآية سورة الكهف أيضاً (**(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً)** . وفي اللغة الأخسر هو أكثر خسراناً من الخاسر ، ندرس أولاً **ما السبب في إختيار كلمة الأخسرون في سورة هود؟** إذا لاحظنا سياق الآيات في سورة هود نجد أنها تتحدث عن الذين صدوا عن سبيل الله وصدّوا غيرهم أيضاً ، إنما السياق في سورة النحل فهو فيمن صدّ عن سبيل الله وحده ولم يصُدّ أحداً غيره فمن المؤكّد إذن أن الذي يصدّ نفسه وغيره عن سبيل الله أخسر من الذي صدّ نفسه عن سبيل الله لوحده فقط (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** {107}).
وإذا قارنّا بين آية سورة هود وآية سورة النمل (**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ** {4} **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ** {5}) نجد أنه في سورة هود جاء التوكيد بـ (لا جرم) وهي عند النحاة تعني القسم أو بمعنى حقاً أو حقَّ وكلها تدل على التوكيد وإذا لاحظنا سياق الآيات في سورة هود الآيات (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** {18}ـ **الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ** {19} **أُولَـئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ** {20} **أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ** {21}). أما في سورة النمل فسياق الآيات يدل على أنهم لا يؤمنون بالآخرة فقط أما في سورة هود فقد زاد على ذلك أنهم يصدون عن سبيل الله وأنهم يفترون على الله الكذب وفيها خمسة أشياء إضافية عن آية سورة النمل لذا كان ضرورياً أن يؤتى بالتوكيد في سورة هود

باستخدام (لا جرم) والتوكيد بـ (إنهم) ولم يـأتي التوكيد في سـورة النمل.

ونعـود إلى آية سـورة الكهف (**قُـلْ هَـلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَـرِينَ أَعْمَالاً {103} الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الـدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً** {104}). نلاحظ استخدام كلمة (ضــلّ) مع كلمة (ســعيهم) ولم يقل ضل عملهم لأن الســعي هو العدو أو المشي الشـديد دون العـدو ، وقـال في الحيـاة الـدنيا وهو يحسب أنه يُحسن صـــنعا ، والإحســـان هو الإتقـــان وليس العمل العـادي ، في اللغة لـدينا: فعل وعمل وصـنع. أما الفعل فقد تقـال للجماد (نقول هذا فعل الريـاح) والعمل ليس بالضـرورة صـنعاً فقد يعمل الإنسان بدون صنع، أما الصـنع فهو أدقّ وهو من الصَّـنعة كما في قوله تعـالى (**صُنع الله الـذي أتقن كل شـيء**) والصـنع لا تستعمل إلا للعاقل الذي يقصد العمل بإتقان.

إذن آية سورة الكهف جاء فيها ضلال وسعي وصُنع لذا استوجب أن يؤتى بكلمة الأخسرين أعمالاً ومن الملاحظ أنه في القـرآن كله لم يُنسب جهة الخُسران للعمل إلا في هـذه الآيـة. ولأن هـذه الآية هي الوحيـدة الـتي وقعت في سـياق الأعمـال من أولها إلى آخرها (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات).

**والأخسرين** : اسم تفضـيل أي أنه هنـاك اشـتراك في الخُسـران، يوجد خاســـرون كُثُر والأخســـرين بعضـــهم أخسر من بعض أي التفضيل فيما بين الخاسرين أنفسهم.

**ســـؤال 8: ما الفـــــرق من الناحية البيانية بين فعل استطاعوا واسطاعوا وفعل تسطع وتستطع في سـورة الكهف؟**

قال تعالى: (**فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَـرُوهُ وَمَا اسْـتَطَاعُوا لَـهُ نَقْباً** {97}). زيـادة التـاء في فعل اسـتطاع تجعل الفعل مناسـباً للحث وزيادة المبـنى في اللغة تفيد زيـادة المعـنى. والصـعود على السدّ أهون من إحداث نقب فيه لأن السدّ قد صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحـاس المـذاب لـذا اسـتخدم اسـطاعوا مع الصـعود على السد واسـتطاعوا مع النقب. فحـذف مع الحـدث الخفيف أي الصعود على السد ولم يحذف مع الحدث الشاق الطويل بل أعطاه أطول صيغة له، وكذلك فإن الصعود على السدّ يتطلّب زمنـاً أقصر من إحداث النقب فيه فحذف من الفعل وقصّر منه ليجانس النطق الزمني الذي يتطلبه كل حدث.

أما عدم الحذف في قوله تعالى (**قَالَ هَـذَا فِـرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِـكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْـهِ صَـبْراً** {78}) وحـذف التاء في الآية (**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْـهِ صَـبْراً** {82}) لأن المقام في الآية الأولى مقام شرح وإيضـاح وتبـيين فلم يحـذف من الفعل أما في الآية الثانية فهي في مقـــــام مفارقة ولم يتكلم بعـدها الخضر بكلمة وفـارق موسى عليه السـلام فاقتضى الحـذف من الفعل.

**سـؤال 9: لمـاذا قـدّم البصر على السـمع في آية سـورة الكهف و سورة السجدة؟**

قال تعالى في سورة الكهف (**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَـهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْـمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِـهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْـرِكُ فِي حُكْمِـهِ أَحَـداً** {26}) وقـال في سـورة السـجدة (**وَلَـوْ تَـرَى إِذِ الْمُجْرِمُـونَ نَاكِسُـو رُؤُوسِـهِمْ عِنـدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَـــرْنَا وَسَـــمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَــلْ صَـــالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ** {12}) والمعلـوم أن الأكـثر في القـرآن تقـديم السـمع على البصر لأن الســــمع أهم من البصر في التكليف والتبليغ لأن فاقد البصر الذي يسمع يمكن تبليغه أما فاقد السمع فيصعب تبليغه ثم إن مدى السمع أقل من مـدى البصر فمن نسـمعه يكـون عـادة أقرب ممن نـراه ، بالإضـافة إلى أن السـمع ينشأ في الإنسـان قبل البصر في التكـوين ؛ **أما لماذا قـدّم البصر على السـمع في الآيـتين المـذكورتين** ؟ فالسـبب يعـود إلى أنه في آية سـورة الكهف الكلام عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لئلا يراهم أحد ولجـــأوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يـــراهم أحد لكن الله تعـــالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف وكـذلك طلبـوا من صـاحبهم أن يتلطف حـتى لا يـراه القـوم إذن مسـألة البصر هنا أهم من السـمع فاقتضى تقديم البصر على السمع في الآية.

وكذلك في آية سورة السـجدة، الكلام عن المجرمـون الـذين كـانوا في الـــدنيا يســـمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصـــرون لكن ما يسمعوه كان يـدخل في مجـال الشك والظنّ ولو تيقنـوا لآمنـوا أما في الآخـرة فقد أبصـروا ما كـانوا يسـمعون عنه لأنهم أصـبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر (عين اليقين) والآخرة ميـدان الرؤية وليس ميدان السمع وكما يقال ليس الخـبر كالمعاينـة. فعنـدما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعونه ويشكون فيه تغير الحال ولـذا اقتضى تقديم البصر على السمع.

**سـؤال 10: ما دلالة كلمة (لنعلم) في آية سـورة الكهف (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِـزْبَيْنِ أَحْصَـى لِمَا لَبِثُـوا أَمَـداً {12})؟**

قال تعالى في سورة الكهف (**ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً** {12}) والعلم قسمان قسم يتعلق بالجزاء وقسم يعلمه الله ابتداء لا يتعلق بالجزاء. ما يفعله الإنسان هو من علم الله لكن حتى ما نفعله يتعلق بالجزاء وهناك علم آخر وهو العلم الذي قضاه الله تعالى وما يفعله الإنسان هو تصديق لعلم الله هذا. وقوله تعالى لنعلم أي الحزبين يعني لنعلم أي منهم يعلم الحقيقة لأن كل قسم قال شيئاً فمن الذي يعلم الحقيقة؟ الله تعالى. هناك علمان علم سابق الذي سجّل فيه الله تعالى القدر وعلم لاحق يحقق هذا العلم وهو الذي يتعلق بالجزاء.

**سـؤال 11: مـاذا عن ربط المسـتقبل بــ(غـد) فقط في قوله تعالى : (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) الكهف) ؟**

سبب نزول الآية هو الذي يحدد. سُئل رسول الله  عن ثلاثة أسئلة من قبل الكفار منها عن أهل الكهف فقـال الرسـول  : سـأجيبكم غداً لأنه لم يكن لديه علم وجاء غد ولم يُجِب الرسـول  ولم يـنزل عليه الـوحي مـدة خمس عشـرة ليلة فحصل إرجـاف لأن الـوحي يتنزّل بحكمة الله تعالى ثم نـزلت الآية (**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَـيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَـدًا** (23)) فهي مناسـبة لأصل سـبب الـنزول وهـذا ينسحب لأنه أحياناً سـبب الـنزول لا يتقيّد بشـيء. مثلاً في مسـألة (**وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَـاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّـنًا لِتَبْتَغُـوا عَـرَضَ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَمَنْ يُكْـرِهْهُنَّ فَـإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْـدِ إِكْـرَاهِهِنَّ غَفُـورٌ رَحِيمٌ** (33) النـور) مـاذا إذا لم يـردن تعففـاً؟ الحادثة التي حصـلت أن عبد الله بن أبيّ أراد إكـراههن وهن يـردن التحصّن فـذكر المسـألة كما هي واقعة ثم تـأتي أمـور أخـرى تـبيّن المسألة.

غداً في الآية موضع السؤال لا تعني بالضرورة الغد أي اليـوم الـذي يلي وإنما (قد) تفيد المستقبل وهي مناسبة لما وقع وما سيقع.

**سؤال 12 - ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى (شيئاً إمرا) و(شيئاً نُكرا) في سورة الكهف؟**

قال تعالى على لسان موسى للرجل الصالح عنـدما خـرق السـفينة (**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْـرًا** (71)) وقـال تعـالى عنـدما

قتل الرجل الصـــــــــالح الغلام (**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَـدْ جِئْتَ شَـيْئًا نُكْرًا** (74)).
فوصف خرق السفينة بأنه شيء إمر ووصف قتل الغلام بأنه شــيء نُكر وذلك أن خرق السفينة ونـزع لـوح خشب منها دون قتل الغلام شناعة فإنه إنما خرق السفينة لتبقى لمالكيها وهذا لا يبلغ مبلغ قتل الغلام بغـير سـبب ظـاهر. والإمر دون النُكر فوضع التعبـير في كل موضع بما يناسب كل فعل. وعن قتادة: النُكر أشدّ من الإمر. فجـاء كل على ما يلائم ولم يكن ليحسن مجيء أحد الوصـفين في موضع الآخر.
وهذا الاختلاف يدخل في فواصل الآي في القرآن الكريم.

# لمسات بيانية في سورتي النمل والقصص

## قصة موسى عليه السلام في سورتي النمل والقصص

### أهداف ذكر سورة موسى عليه السلام

قال لي أحدهم مرة لو كتبت في قصة موسى في سورتي النمل والقصص، فإن بينهما تشابها كبيرا ولا يتبين سر الاختلاف في التعبير بينهما من نحو قوله تعالى: "فلما جاءها نودي" و "فلما أتاها نودي" ، وقوله: "وأدخل يدك في جيبك" و "اسلك يدك في جيبك" وما إلى ذلك.
فأنهدني قوله إلى أن أكتب في ذلك، وطلبت من الله أن يعينني على ما عزمتُ عليه، وأن يبصرني بمرامي التعبير في كتابه الحكيم، وأن يفتح عليّ من كنوز علمه الواسع الذي لا يحد فتحا مباركا، إنه سميع مجيب.

### من سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم
وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ {6} إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ {7} فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {8} يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {9} وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ {10} إِلَّا مَن

ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ {11} وَأَدْخِلْ يَدَكَ
فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ {12} فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً
قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ {13} وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً
وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ {14}

## من سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا
قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ
النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ
فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ (30) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا
وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) اسْلُكْ
يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ
الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ (32) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (
33)

من هذين النصين تتبين طائفة من الاختلافات في التعبير أدوّن أظهرها:

| النمل | القصص |
|---|---|
| إني آنست نارا | آنس من جانب الطور نارا |
| ـــــ | امكثوا |
| سآتيكم منها بخبر | لعلي آتيكم منها بخبر |
| أو آتيكم بشهاب قبس | أو جذوة من النار |
| فلما جاءها | فلما أتاها |
| نودي أن بورك | نودي من شاطئ الواد الأيمن |
| وسبحان الله رب العالمين | ـ |
| يا موسى | أن يا موسى |
| إنه أنا الله العزيز الحكيم | إني أنا الله رب العالمين |
| وألق عصاك | وأن ألق عصاك |
| يا موسى لا تخف | يا موسى أقبل ولا تخف |
| إني لا يخاف لدي | إنك من الآمنين |

| | |
|---|---|
| المرسلون | |
| إلا من ظلم | ــــ |
| وأدخل يدك في جيبك | اسلك يدك |
| في تسعِ آيات | فذانك برهانان |
| - | واضمم إليك جناحك ممن الرّهْب |
| إلى فرعون وقومه | إلى فرعون وملئه |

إن الذي أوردته من سورة النمل، هو كل ما ورد عن قصة موسى في السورة. وأما ما ذكرته من سورة القصص فهو جزء يسير من القصة، فقد وردت القصة مفصلة ابتداء من قبل أن يأتي موسى إلى الدنيا إلى ولادته، وإلقائه في اليم والتقاطه من آل فرعون، وإرضاعه ونشأته وقتله المصري وهربه من مصر إلى مدين، وزواجه وعودته بعد عشر سنين وإبلاغه بالرسالة من الله رب العالمين، وتأييده بالآيات، ودعوته فرعون إلى عبادة الله إلى غرق فرعون في اليم، وذلك من الآية الثانية إلى الآية الثالثة والأربعين.

فالقصة في سورة القصص إذن مفصلة مطولة، وفي سورة النمل موجزة مجملة. وهذا الأمر ظاهر في صياغة القصتين، واختيار التعبير لكل منهما.

هذا أمر، والأمر الثاني أن المقام في سورة النمل، مقامُ تكريم لموسى أوضح مما هو في القصص، ذلك أنه في سورة القصص، كان جو القصة مطبوعا بطابع الخوف الذي يسيطر على موسى عليه السلام، بل إن جو الخوف كان مقترنا بولادة موسى عليه السلام، فقد خافت أمه فرعونَ عليه، فقد قال تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي" القصص: 7،ويستبد بها الخوف أكثر حتى يصفها رب العزة بقوله: "وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا" القصص:10

ثم ينتقل الخوف إلى موسى عليه السلام، ويساوره وذلك بعد قتله المصري: "فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ 18". فنصحه أحدُ الناصحين بالهرب من مصر لأنه مهدد بالقتل: "فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ 21" ، وطلب من ربه أن ينجيه من بطش الظالمين: "قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ 21" . فهرب إلى مدين وهناك

اتصل برجل صالح فيها، وقص عليه القصص فطمأنه قائلا: " لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ 25"
وهذا الطابع ـ أعني طابع الخوف ـ يبقى ملازما للقصة إلى أواخرها، بل حتى إنه لما كلفه ربه بالذهاب إلى فرعون راجعه وقال له: إنه خائف على نفسه من القتل: "قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ 33"، وطلب أخاه ظهيرا له يعينه ويصدقه لأنه يخاف أن يكذبوه: "وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ 34"
في حين ليس الأمر كذلك في قصة النمل، فإنها ليس فيها ذكر للخوف إلا في مقام إلقاء العصا.
فاقتضى أن يكون التعبير مناسبا للمقام الذي ورد فيه. وإليك إيضاح ذلك:

- قال تعالى في سورة النمل: " إِنِّي آنَسْتُ نَاراً " وقال في سورة القصص: "آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً"

فزاد : " مِنْ جَانِبِ الطُّورِ" وذلك لمقام التفصيل الذي بنيت عليه القصة في سورة القصص.

- قال في سورة النمل: "إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً" وقال في سورة القصص: " قَالَ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً" بزيادة "امْكُثُوا". وهذه الزيادة نظيرة ما ذكرناه آنفا، أعني مناسبة لمقام التفصيل الذي بنيت عليه القصة بخلاف القصة في النمل المبنية على الإيجاز.
- قال في النمل: " سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ". وقال في القصص: " لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ". فبنى الكلام في النمل على القطع "سَآتيكُم" وفي القصص على الترجي "لعَلّي آتيكُمْ". وذلك أن مقام الخوف في القصص لم يدعه يقطع بالأمر فإن الخائف لا يستطيع القطع بما سيفعل بخلاف الآمن. ولما لم يذكر الخوف في سورة النمل بناه على الوثوق والقطع بالأمر.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن ما ذكره في النمل هو المناسب لمقام التكريم لموسى بخلاف ما في القصص.
ومن ناحية ثالثة، ؟إن كل تعبير مناسبٌ لجو السورة الذي وردت فيه القصة، ذلك أن الترجي من سمات سورة القصص، والقطع من سمات سورة النمل. فقد جاء في سورة القصص قوله تعالى: "عَسى أن ينْفَعَنا أوْ نَتّخِذَهُ وَلَدا" وهو ترَجٍّ. وقال:""عَسَى رَبّي أن يَهْدِيَني سَوَاءَ السّبيلِ" وهو ترجٍّ أيضا. وقال: " لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ" وقال "لَعَلّكُم تَصْطَلونَ"، وقال: "لَعَلّي أَطّلِعُ إلى إلَهِ

موسَى"، وقال: "لَعَلّهُمْ يَتَذكّرونَ " ثلاث مرات في الآيات 43، 46، 51، وقال: "فَعَسَى أَنْ يَكونَ مِنَ المُفْلِحينَ"، وقال: "ولَعَلّكُم تَشكُرونَ 73"وهذا كله ترجّ. وذلك في عشرة مواطن في حين لم يرد الترجي في سورة النمل، إلا في موطنين وهما قوله: "لَعَلّكُمْ تَصْطَلونَ"، وقوله: "لَعَلّكُمْ تُرْحَمونَ"

وقد تردد القطع واليقين في سورة النمل، من ذلك قوله تعالى على لسان الهدهد: "أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ"النمل:22 ، وقوله على لسان العفريت لسيدنا سليمان: "أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ" النمل: 39 وقوله على لسان الذي عنده علم من الكتاب: "أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ " النمل:40

فانظر كيف ناسب الترجي ما ورد في القصص، وناسب القطع واليقين ما ورد في النمل.

ثم انظر بعد ذلك قوله تعالى في القصة: "سَآتيكُمْ مِنْها بِخَبَر" ومناسبته لقوله تعالى في آخر السورة: "الْحَمْدُ لِلَّه سَيُريكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفوَها 93" وانظر مناسبة "سَآتيكُمْ" لـ "سَيُرِيَكُمْ".

وبعد كل ذلك، انظر كيف تم وضع كل تعبير في موطنه اللائق به.

- كرّر فعل الإتيان في النمل، فقال: "سَآتيكُمْ مِنها بِخَبَرِ أوْ آتيكُمْ بِشِهابٍ"، ولم يكرره في القصص، بل قال: "لَعَلّي آتيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أوْ جَذْوَةٍ"

فأكد الإتيان في سورة النمل لقوة يقينه وثقته بنفسه، والتوكيد يدل على القوة، في حين لم يكرر فعل الإتيان في القصص مناسبة لجو الخوف.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن فعل (الإتيان) تكرر في النمل اثنتي عشرة مرة. (انظر الآيات: 7 مرتين، 18، 21، 28، 37، 38، 39، 40، 54، 55، 87)

وتكرر في القصص ست مرات (انظر الآيات 29، 30، 46، 49، 71، 72) فناسب تكرار (آتيكم) في النمل من كل وجه.

- وقال في سورة النمل: " أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ" وقال في القصص: " نَاراً لَعَلّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلّكُمْ تَصْطَلُونَ"

فذكر في سورة النمل أنه يأتيهم بشهاب قبس، والشهاب: هو شعلة من النار ساطعة. (انظر لسان العرب (شهب) 1 / 491 ، القاموس المحيط (شهب) 1 / 91)

ومعنى (القَبَس) شعلة نار تقتبس من معظم النار كالمقباس يقال: قبس يقبس منه نارا، أي: أخذ منه نارا، وقبس العلمَ استفاده (انظر القاموس المحيط (قبس) 2 / 238 )
وأما (الجذوة) فهي الجمرة أو القبسة من النار (انظر القاموس المحيط (جذا) 4 / 311) وقيل: هي ما يبقى من الحطب بعد الالتهاب، وفي معناه ما قيل: هي عود فيه نار بلا لهب. (انظر روح المعاني 20 / 72)
والمجيء بالشهاب أحسن من المجيء بالجمرة، لأن الشهاب يدفئ أكثر من الجمرة لما فيه من اللهب الساطع، كما أنه ينفع في الاستنارة أيضا. فهو أحسن من الجذوة في الاستضاءة والدفء.
هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ذكر أنه سيأتي بالشهاب مقبوساً من النار ، وليس مختَلَسا أو محمولا منها، لأن الشهاب يكون مقبوساً وغير مقبوس (انظر البحر المحيط 7 / 55) ، وهذا أدل على القوة وثبات الجنان، لأن معناه أنه سيذهب إلى النار، ويقبس منها شعلة نار ساطعة.
أما في القصص فقد ذكر أنه ربما أتى بجمرة من النار، ولم يقل إنه سيقبسها منها.
والجذوة قد تكون قبسا وغير قبس، ولا شك أن الحالة الأولى أكمل وأتم لما فيها من زيادة نفع الشهاب على الجذوة، ولما فيها من الدلالة على الثبات وقوة الجنان.
وقد وضع كل تعبير في موطنه اللائق به، ففي موطن الخوف ذكر الجمرة ، وفي غير موطن الخوف ذكر الشهاب والقبس.

- قال في سورة النمل: "فَلَمّا جاءَهَا نُودِيَ" وقال في سورة القصص: "فَلَمّا أَتاها نُودِيَ"

فما الفرق بينهما؟
قال الراغب الأصفهاني مفرقا بين الإتيان والمجيء: الإتيان مجيءٌ بسهولة، ومنه قيل للسيلِ المارّ على وجهه أتي" (المفردات في غريب القرآن 6). وقال: "المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولة" (المفردات 102)
ولم يذكر أهل المعجمات ما ذكره الراغب، وإنما هم يفسرون واحدا بالآخر، فيفسرون جاء بأتى، وأتى بجاء، غير أنهم يذكرون في بعض تصريفات (أتى) ما يدل على السهولة، فيقولون مثلا في تفسير الطريق الميتاء من (أتى) "طريق مسلوك يسلكه كل أحد" وذلك لسهولته ويسره. ويقولون : "كل سيل سهلته الماء أتيّ" و "أتّوا جداولها: سهلوا طرق المياه إليها" يقال: (أتّيت الماء) إذا

أصلحت مجراه حتى يجري إلى مقارّه .. ويقال: أتّيت للسيل، فأنا أؤتّيه إذا سهلت سبيله من موضع إلى موضع ليخرج إليه .. وأتّيت الماء تأتيةً وتأتياً، أي: سهلت سبيله ليخرج إلى موضع"( لسان العرب (أتى) 18 / 14)

والذي استبان لي أن القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة، أو لما هو أصعب وأشق مما تستعمل له (أتى) فهو يقول مثلا: "فَإذا جَاءَ أَمْرُنا وَفارَ التّنّورُ 27 " المؤمنون، وذلك لأن هذا المجيء فيه مشقة وشدة. وقال: "وجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالحَقّ 19" ق. وقال: "لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا إمْرَا 71" الكهف. وقال: "لقَدْ جِئْتَ شِيْئا نُكْرا 74" الكهف.

وقال: "قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً 27" مريم. وقال: "وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً" مريم .

وقال: "وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً" الإسراء :81.

وقال: "فَإذا جاءَت الصّاخّة. يَوْمَ يَفِرّ المَرْءُ من أخيهِ" عبس. وقال: "فإذا جاءَت الطّامّةُ الكُبْرَى" النازعات.

وهذا كله مما فيه صعوبة ومشقة.

وقد تقول: وقد قال أيضا: "هَلْ أَتاكَ حَديثُ الغَاشِيَة" والجواب: أن الذي جاء هنا هو الحديث وليس الغاشية في حين ن الذي جاء هناك هو الطامة والصاخة ونحوهما مما ذكر

ويتضح الاختلاف بينهما في الآيات المتشابهة التي يختلف فيها الفعلان، وذلك نحو قوله تعالى: "أَتَى أَمْرُ الله" النحل، وقوله: "فَإذا جاءَ أَمْرُ اللهِ" غافر، ونحو قوله: "جاءَهُمْ نَصْرُنا" يوسف، و"أَتاهُمْ نَصْرُنا" الأنعام، ونحو قوله: "لجاءَهُمُ العَذابُ" العنكبوت، و"وأَتاهُمُ العَذابُ" النحل، وما إلى ذلك.

فإنه يتضح الفرق في اختيار أحدهما على الآخر، وإليك إيضاح ذلك: قال تعالى: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ 1"النحل. وقال: "فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ 78" غافر. فقد قال في النحل: "أَتَى أَمْرُ اللهِ"، وقال في غافر: "جاءَ أَمْرُ اللهِ"، وبأدنى نظر يتضح الفرق بين التعبيرين، فإن المجيء الثاني أشق وأصعب لما فيه من قضاء وخسران، في حين لم يزد في الآية الأولى على الإتيان. فاختار لما هو أصعب وأشق (جاء) ولما هو أيسر (أتى).

ونحو ذلك قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ110" يوسف
وقوله: "وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ34" الأنعام
فقال في آية يوسف "جاءَهُمْ نَصْرُنا" وفي آية الأنعام: "أتاهُمْ نَصْرُنا" ومن الواضح أن الحالة الأولى أشق وأصعب، وذلك أن الرسل بلغوا درجة الاستيئاس وهي أبعد وأبلغ، وذهب به الظن إلى أنهم كُذبوا، أي: أن الله سبحانه وتعالى كذبهم ولم يصدقهم فيما وعدهم به، وهذا أبلغ درجات اليأس وأبعدها، وعند ذاك جاءهم نصره سبحانه فنجّي من شاء وعوقب المجرمون.
في يحن ذكر في الآية الأخرى أنهم كُذّبوا، أي: كذّبهم الكافرون، وأوذوا فصبروا. وفرق بعيد بين الحالتين، فلقد يُكذّب الرسل وأتباعهم ويُؤذَون، ولكن الوصول إلى درجة اليأس والظن بالله الظنون البعيدة أمرٌ كبير.
ثم انظر إلى خاتمة الآيتين تر الفرق واضحا، فما ذكره من نجاة المؤمنين ونزول اليأس على الكافرين في آية يوسف مما لا تجده في آ]ة الأنعام يدلك على الفرق بينهما.
ومن ذلك قوله تعالى: "كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ . فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" الزمر:25 ـ 26
وقوله: "قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ. ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ. النحل 26 ـ27
فقال في الآيتين: "وأتاهُمُ العَذابُ" في حين قال: "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمّىً لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ. يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ. يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" العنكبوت:53 ـ 54 ـ55
فقال: "فَجاءَهُمُ العَذابُ" وذلك أن الآيتين الأوليين في عذاب الدنيا بدليل قوله في آية النحل: "ثُمّ يَوْمَ القِيامَةِ يُخزيهم.." وقوله في آية الزمر: " فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ

أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" في حين أن آية العنكبوت في عذاب الآخرة، وحتى لو كانت في عذاب الدنيا فإن ما ذُكر فيها من العذاب أشق وأشد مما في الآيتين الأخريين بدليل قوله: "وإنَّ جَهَنّم لَمُحيطَةٌ بالكافِرينَ" وقوله: "يَوْمَ يَغشاهُمُ العَذابُ مِنْ فَوْقِهِم ومِنْ تَحْتِ أرْجُلِهِم.." فجاء لما هو أشق وأشد بالفعل (جاء) ولما هو أيسر بـ (أتى).

وقد تقول: ولكنه قال: "ولَيَأتِيَنّهُم بَغْتةً" فاستعمل مضارع (أتى).

والجواب: أن القرآن لم يستعمل مضارعا للفعل (جاء) .. ولذلك كل ما كان من هذا المعنى مضارعا، استعمل له مضارع (أتى) فلا يدخل المضارع في الموازنة، وسيأتي بيان ذلك.

ومن ذلك قوله تعالى: "أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" التوبة: 70 ـ 71

فقال: " أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ" وهو الموطن الوحيد الذي جاء فيه نحو هذا التعبير في القرآن الكريم في حين قال في المواطن الأخرى كلها: "جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ"

ولو نظرت في هذه التعبيرات، ودققت فيها لوجدت أن كل التعبيرات التي جاءت بالفعل (جاء) أشق وأصعب مما جاء بـ (أتى)، وإليك بيان ذلك.

قال تعالى: " تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ. وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ. ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآياتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" الأعراف: 101 ـ 102 ـ 103

فانظر كيف قال في آية التوبة: "أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ." ولم يذكر أنهم كفروا أو عوقبوا، في حين قال في آيات الأعراف: "فَما كانُ,ا لِيؤْمِنوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ" فذكر عدم إيمانهم، وأنهم طُبع على قلوبهم: " كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ"، وذكر أنه وجد أكثرهم

فاسقين، وأنه لم يجد لأكثرهم عهدا، وذكر بعد ذلك ظلم فرعون وقومه لموسى وتكذيبهم بآيات الله وعاقبتهم.
فانظر موقف الأمم من الرسل في الحالتين وانظر استعمال كل من الفعلين جاء وأتى، يتبين لك الفرق واضحا بينهما.
ومنه قوله تعالى: " وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ 13" يونس
فقال: "وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالبَيّنات" وذلك أنه ذكر إهلاك القرون لظلمهم وذكر تكذيبهم وعدم إيمانهم وذكر جزاء المجرمين.
وقال: "أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ 9" إبراهيم ، إلى أن يقول: "وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ. وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ. "إبراهيم : 12 ـ 13
ويمضي في وصف عذاب الكفرة عذابا غليظا: "مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ. يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ" إبراهيم: 17
فقال أيضا: "وَجاءَتْهُمْ رُسُلهمْ بالبينات"، وأنا في غنى عن أبين موقف الأمم من رسلهم، وكفرهم بما أرسلوا به، وتهديدهم لهم بإخراجهم من الأرض، وعن ذكر عذاب الكافرين في الدنيا بإهلاكهم وفي الآخرة بما وصفه أفظع الوصف.
فانظر إتيانه بالفعل (جاء) وقارنه بالفعل (أتى) في آية التوبة يتضح الفرق بين استعمال الفعلين.
ومن ذلك قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ9 ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ" الروم:10
فذكر عاقبة الذين أساؤوا، وأنها السوأى تأنيث الأسوأ، أي: أسوأ الحالات على الإطلاق، وذكر تكذيب الأمم لرسلهم واستهزاءهم بهم، في حين لم يصرح في آية التوبة بتكذيب ولا استهزاء، ولم يذكر لهم عاقبة ما.

ومن ذلك قوله تعالى: "وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ25 ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ 26" فاطر
فذكر تكذيب الأمم السابقة لرسلهم بعد أن جاؤوهم بكل ما يدعو إلى الإيمان من البينات والزبر والكتاب المنير، وذكر أخذَه لهم وعلّق على ذلك بقوله: "فَكَيْفَ كان نَكيرِ"
ومن ذلك قوله تعالى: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ"غافر:82 إلى 85
فقال: "جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيّناتِ" ثم ذكر أن أممهم استهزؤوا برسلهم وبقوا على شركهم حتى رأوا بأس الله ينزل بهم. فلم ينفعهم إيمانهم بعد فوات الأوان.
قارن هذه الآيات التي وردت بالفعل (جاء) بالآية التي وردت بالفعل (أتى) وهي آية التوبة، يتبين الفرق بين استعمال الفعلين: جاء وأتى.
وقد تقول: ولكن ورد في القرآن (أتتكم الساعة) و (جاءتهم الساعة) والساعة واحدة فما الفرق؟
وأقول ابتداء أنه لا يصح اقتطاع جزء من الآية للاستدلال، بل ينبغي النظرُ في الآية كلها وفي السياق أيضا ليصحّ الاستدلالُ والحكم.
وإليك الآيتين اللتين فيهما ذِكرُ الساعة:
قال تعالى: " قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ 31" الأنعام
وقال: "قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ 40 بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ 41" الأنعام
فقال في الآية الأولى: "جاءَتْهُم السّاعَةُ" وقال في الثانية: "أَتَتْكُم السّاعَةُ"
وبأدنى تأمل يتضح الفرق بين المقامين. فإن الأولى في الآخرة وفي الذين كذبوا باليوم الآخر، وهم نادمون متحسرون على ما فرطوا في الدنيا، وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم. وتوضحه

الآية قبلها وهي قوله تعالى: " وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ30 قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا.. "الأنعام ، في حين أن الثانية في الدنيا بدليل قوله: "أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" وقوله: "بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ " فذكر أنه يكشف ما يدعون إليه إن شاء، وهذا في الدنيا، وإلا فإن الله لا يكشف عن المشركين شيئا في الآخرة ولا يستجيب لهم البتة.
فالموقف الأول أشق وأشد مما في الثانية، فجاء بالفعل (جاء) دون (أتى) بخلاف الآية الثانية.
فاتضح أن القرآن إنما يستعمل (جاء) لما هو أصعب وأشق.
ويستعمل (أتى) لما هو أخف وأيسر.
ولعل من أسباب ذلك أن الفعل (جاء) أثقل من (أتى) في اللفظ بدليل أنه لم يرد في القرآن فعل مضارع لـ (جاء) ولا أمر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول، ولم يرد إلا الماضي وحده بخلاف (أتى) الذي وردت كل تصريفاته، فقد ورد منه الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول. فناسب بين ثقل اللفظ وثقل الموقف في (جاء)، وخفة اللفظ وخفة الموقف في (أتى) والله أعلم.
ونعود إلى ما نحن فيه من قصة موسى عليه السلام، فقد قال في سورة النمل: "فلما جاءها" وقال في سورة القصص: "فَلَمّا أتاها" ذلك أن ما قطعه موسى على نفسه في النمل أصعب مما في القصص، فقد قطع في النمل على نفسه أن يأتيهم بخبر أو شهاب قبس، في حين ترجى ذلك في القصص. والقطع أشق وأصعب من الترجي. وأنه قطع في النمل، أن يأتيهم بشهاب قبس ، أي: بشعلة من النار ساطعة مقبوسة من النار التي رآها في حين أنه ترجّى في القصص أن يأتيهم بجمرة من النار، والأولى أصعب. ثم إن المهمة التي ستوكل إليه في النمل أصعب وأشق مما في القصص، فإنه طلب إليه في القصص أن يبلغ فرعون وملأه. وتبليغ القوم أوسع وأصعب من تبليغ الملأ، ذلك أن دائرة الملأ ضيقة، وهم المحيطون بفرعون في حين أن دائرة القوم واسعة، لأنهم منتشرون في المدن والقرى، وأن التعامل مع هذه الدائرة الواسعة من الناس صعب شاق، فإنهم مختلفون في الأمزجة والاستجابة والتصرف، فما في النمل أشق وأصعب، فجاء بالفعل (جاء) دون (أتى) الذي هو أخف. ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة طه:

"فلما أتاها نُودِيِ يا موسى" ذلك لأنه أمره بالذهاب إلى فرعون ولم يذكر معه أحدا آخر: "اذهب إلى فرعون إنه طغى 24 قال رب اشرَحْ لي صَدْري 25 ويسّر لي أمري 26"

فانظر كيف لما أرسله إلى فرعون قال: "أتاها"، ولما أرسله إلى فرعون وملئه قال (أتاها) أيضا في حين لما أرسله إلى فرعون وقومه قال: "جاءها" وأنت ترى الفرق بين الموطنين ظاهرا.

- ذكر في القصص جهة النداء فقال: "فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ " ولم يذكر الجهة في النمل، وذلك لأن موطن القصص موطن تفصيل، وموطن النمل موطن إيجاز كما ذكرت.
- قال في النمل: " نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ولم يذكر مثل ذلك في القصص، بل ذكر جهة النداء فقط، وذلك لأن الموقف في النمل موقف تعظيم كما أسلفنا وهذا القول تعظيم لله رب العالمين.
- قال في النمل "يا موسَى" وقال في القصص: "أَنْ يا موسَى" فجاء بـ (أن) المفسرة في القصص، ولم يأت بها في النمل، وذلك لأكثر من سبب:

منها أن المقام في النمل مقام تعظيم لله سبحانه، وتكريم لموسى كما ذكرنا فشرفه بالنداء المباشر في حين ليس المقام كذلك في القصص، فجاء بما يفسر الكلام، أي: ناديناه بنحو هذا، أو بما هذا معناه، فهناك فرق بين قولك: (أشرت إليه أن اذهب) و (قلت له اذهب) فالأول معناه: أشرت إليه بالذهاب، بأيّ لفظ أو دلالة تدل على هذا المعنى. وأما الثاني فقد قلت له هذا القول نصا، ومثله قوله تعالى: "وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ104 قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ 105"الصافات

أي: بما هذا تفسيره أو بما هذا معناه بخلاف قوله: "قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ" هود

ومنها أن المقام في سورة القصص مقام تبسّط وتفصيل فجاء بـ (أن) زيادة في التبسط.

ومنها أن ثقل التكليف في النمل يستدعي المباشرة في النداء، ذلك أن الموقف يختلف بحسب المهمة وقوة التكليف كما هو معلوم.

- قال في النمل: "إنّهُ أنا اللهُ العَزيزُ الحَكيمُ"، وقال في سورة القصص: "إِنّي أنا اللهُ رَبُّ العالَمينَ"

فجاء بضمير الشأن الدال على التعظيم في آية النمل: "إِنّه أنا" ولم يأت به في القصص، ثم جاء باسميه الكريمين "العَزيزُ الحَكيم" في النمل زيادة في التعظيم.
ثم انظر إلى اختيار هذين الاسمين وتناسبهما مع مقام ثقل التكليف، فإن فرعون حاكم متجبر يرتدي رداء العزّة، ألا ترى كيف أقسم السحرة بعزته قائلين: "بِعِزّةِ فِرعَوْنَ إنّا لَنَحْنُ الغَالِبونَ 44" الشعراء. فاختار من بين أسمائه (العزيز) معرفا بالألف واللام للدلالة على أنه هو العزيز ولا عزيز سواه، و(الحكيم) للدلالة على أنه لا حاكم ولا ذا حكمة سواه، فهو المتصف بهذين الوصفين على جهة الكمال حصرا. وفي تعريف هذين الاسمين بالألف واللام من الدلالة على الكمال والحصر ما لا يخفى ما لو قال (عزيز حكيم) فإنه قد يشاركه فيهما آخرون.
ثم انظر من ناحية أخرى كيف أنه لما قال: "أَنا اللهُ العَزيزُ الحَكيمُ" لم يذكر أن موسى سأل ربه أن يعزّزه ويقويه بأخيه، ولما لم يقل ذلك ذكر أنه سأل ربه أن يكون له ردءا، يصدقه ويقويه وهو أخوه هارون.
وقد تقول: ولكنه قال في القصص "إنّي أنا اللهُ ربّ العالمينَ" وفي ذلك من التعظيم ما لا يخفى
ونقول: وقد قال ذلك أيضا في النمل، فقد قال: "وسبحان الله ربّ العالمين" وزاد عليه: "إنّهُ أنا الله العَزيزُ الحَكيمُ" فاتضح الفرق بين المقامين.
وقد تقول: ولم قال في سورة طه: "إنّي أَنا ربّك فاخلعْ نَعلَيْكُ" بذكر ربوبيته له خصوصا، ولم يقل كما قال في سورتي النمل والقصص "ربّ العالمين"؟
والجواب: أنه في سورة طه كان الخطاب والتوجيه لموسى عليه السلام أولا فعلمه وأرشده فقال له: " إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي 14 إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى 15" طـه، فطلب منه العبادة وإقامة الصلاة .
وقال بعد ذلك: "لِنُرِيَكَ مِنْ آياتِنا الكُبْرى 23" طه، ثم ذكر منته عليه مرة أخرى فقال: "وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى37 إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى 38" طـه .
ويمضي في ذكر منته عليه ولم يرد مثل ذلك في النمل، ولا في القصص. فإنه لم يذكر توجيها له أو إرشادا لعبادته في النمل، ولا في القصص فلم يأمره بعبادة أو صلاة أو تكليف خاص بشأنه. ثم

إنه في سورة القصص وإن كان قد فصّل في ذكر ولادته ونشأته وما إلى ذلك فقد ذكرها في حالة الغيبة لا في حالة الخطاب:
"وأوحينا إلى أمّ موسَى أَنْ أَرْضِعيهِ" "إنْ كادَتْ لَتُبدي به .. فرددناه إلى أمه .. ولمّا بلَغَ أشُدّه .. ودَخَل المَدينةَ .. "
في حين كان الكلام في سورة طه بصورة الخطاب. فناسب أن يقول له في طه: "أنا ربّك" بخلاف ما في النمل والقصص، والله أعلم.

- ❖ قال في النمل: "وَأَلْقِ عَصاكَ" وقال في القصص: "وأنْ أَلْقِ عَصاكَ"

فجاء بـ (أن) المفسرة أو المصدرية. ونظيره ما مر في قوله: (يا موسى) و (أن يا موسى)
فقوله: "وأَلْقِ عَصاك" قول مباشر من رب العزة، وهو دال على التكريم.
وأما قوله: "وأنْ ألْقِ عَصاك" فإنه معناه أنه ناداه بما تفسيره هذا أو بما معناه هذا. فأنت إذا قلت: (ناديته أن اذهب) كان المعنى ناديته بالذهاب. فقد يكون النداء بها اللفظ أو بغيره بخلاف قولك: (ناديته اذهب)، أي: قلت له اذهب.
وهو نحو ما ذكرناه في قوله: (يا موسى) و (أن يا موسى) من أسباب ودواعٍ فلا داعي لتكرارها.

- ❖ قال في النمل: "يا موسَى لا تَخَفْ" وقال في القصص: "يا موسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ"

بزيادة (أقبل) على ما في النمل، وذلك له أ:ثر من سبب.
منها : أن مقام الإيجاز في النمل يستدعي عدم الإطالة بخلاف مقام التفصيل في القصص.
ومنها أن شيوع جو الخوف في القصص يدل على إيغال موسى في الهرب، فدعاه إلى الإقبال وعدم الخوف.
فوضع كل تعبير في مكانه الذي هو أليق به.

- ❖ قال في النمل: "إنّي لا يَخافُ لَدَيّ المُرْسَلونَ" وقال في القصص: "إنّكَ مِنَ الآمِنينَ"

ذلك أن المقام في سورة القصص مقام الخوف، والخائف يحتاج إلى الأمن فأمنه قائلا: "إنّكَ مِنَ الآمِنينَ"
أما في سورة النمل فالمقام مقام التكريم والتشريف، فقال: "إنّي لا يَخافُ لَدَيّ المُرسَلونَ" فألمح بذلك إلى نه منهم، وهذا تكريم وتشريف. ثم انظر كيف قال (لَدَيّ) مشعرا بالقرب، وهو زيادة في التكريم والتشريف.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف أنه لما قال في سورة النمل: "لَدَيّ" المفيدة للقرب ناداه بما يفيد القرب فقال: "يا موسى" ولم يقل: "أنْ يا موسى" كما قال في القصص، ففصل بين المنادي والمنادَى بما يفيد البعد. وأمره أيضا بما يفيد القرب بلا فاصل بينهما فقال: "وألقِ عَصاكَ" ولم يقل: "وأنْ ألقِ عَصاكَ" للدلالة على قرب المأمور منه. فناداه من قرب وأمرَه من قرب، وذلك لأنه كان منه قريبا، فانظر علو هذا التعبير ورفعته.
ثم انظر من ناحية أخرى كيف قال: "إنّي لا يَخافُ لَديّ المُرسَلونَ" ولم يقل: (إني لا يخاف مني المرسلون) لأن المرسلين لا يخافون بحضرته، ولكنهم يخشونه ويخافونه كل الخوف، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (أنا أخشاكم لله) فهو أخوف الناس منه، وأخشاهم له.

- قال في النمل: "إلّا منْ ظَلَمَ ثمّ بَدّلَ حُسنا بَعدَ سوء فإنّي غَفورٌ رحيمٌ" ولم يقل مثل ذلك في القصص، لأنه لا يحسن أن يقال: (إنك من الآمنين إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء) ولو قال هذا لم يكن كلاما.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ناسب ذلك قول ملكة سبأ: "ربّ إني ظلَمْتُ نَفسي وأسْلَمْتُ مَع سُلَيمانَ لله ربّ العَالمينَ" النمل، فإنها ظلمت نفسها بكفرها وسجودها للشمس منجون الله، ثم بدلت حسنا بعد سوء، فأسلمت لله رب العالمين فلاءم هذا التعبير موطنه من كل ناحية.
وقد تقول: لقد ورد مثل هذا التعبير في سورة القصص أيضا وهو قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ 16" القصص
والحق أن المقامين مختلفان، فإن القول في سورة القصص هو قول موسى عليه السلام حين قتل المصري، وموسى لم يكن كافرا بالله، بل هو مؤمن بالله تعالى، ألا ترى إلى قوله منيبا إلى ربه بعدما فعل فعلته: "قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي" وقوله حين فر من مصر: "رَبّ نَجِّني مِنَ القَوْمِ الظالِمينَ" وقوله: "قال عَسى ربي أن يَهْدِيَني سَواء السّبيل"
فإن موسى لم يبدل حسنا بعد سوء، ذلك انه عليه السلام لم يكن سيئا بخلاف ملكة سبأ، فإنها كانت مشركة، وقد بدلت حسنا بعد سوء. فما جاء من قوله: "إلّا من ظَلَمَ ثُمّ بَدّل حُسنا بَعدَ سوء.. " أكثر ملاءمة للموضع الذي ورد فيه من كل ناحية.

- قال في النمل: "وَأدخِلْ يَدَكَ في جَيْبِك" وقال في القصص: "اسْلُك يَدَكَ في جَيْبِك"

لقد استعمل في سورة القصص أمر الفعل (سلك) الذي يستعمل كثيرا في سلوك السبل فيقال: سلك الطريق والمكان سلكا، قال تعالى: "والله جَعَلَ لَكُم الأرْضَ بِساطا 19 لتَسْلُكوا مِنها سُبُلا فِجاجا 20" نوح، ذلك لأنه تردد سلوك الأمكنة والسبل في قصة موسى في القصص، بخلاف ما ورد في النمل. فقد ورد فيها، أي: في سورة القصص سلوك الصندوق بموسى وهو ملقى في اليم إلى قصر فرعون، وسلوك أخته وهي تقص أثره. وسلوك موسى الطريق إلى مدين بعد فراره من مصر، وسلوكه السبيل إلى العبد الصالح في مدي، وسير موسى بأهله وسلوكه الطريقَ إلى مصر، حتى إنه لم يذكر في النمل سيرَه بأهله بعد قضاء الأجل بل إنه طوى كل ذكر للسير والسلوك في القصة فقال مبتدئا: "إذْ قالَ موسَى لأهْلِهِ إنّي آنَسْتُ نارا سآتيكُمْ مِنها بِخَبر" بخلاف ما ورد في القصص، فإنه قال: "فلمّا قَّضى موسى الأجَلَ وسارَ بأهلِهِ آنَسَ منْ جانِبِ الطورِ نارا" فحسن ذكر السلوك في القصص دون النمل.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن الفعل (دخل) ومشتقاته تكرر خمس مرات ( انظر الآيات 12، 18، 19، 34، 44 ) في النمل في حين لم يرد هذا الفعل ولا شيء من مشتقاته في القصص، فناسب ذكره في النمل دون القصص.

ومن ناحية أخرى إن الإدخال أخص من السَّلك أو السلوك اللذين هما مصدر الفعل سلك، لأن السَّلك أو السلوك قد يكون إدخالا وغير إدخال، تقول: سلكت الطريق وسلكت المكان، أي: سرت فيه، وتقول: سلكت الخيط في المخيط، أي: أدخلته فيه. فالإدخال أخص وأشق من السلك والسلوك. فإن السَّلك قد يكون سهلا ميسورا، قال تعالى في النحل: "فاسْلُكي سُبُلَ رَبّكِ ذُلُلاً 69" فانظر كيف قال (ذللا) ليدلل على سهولته ويسره، وقال: "ألمْ تَرَ أنّ الله أنْزَلَ مِن السّماءِ ماء فَسَلَكَهُ ينابِيعَ في الأرْضِ 21" الزمر. وهل هناك أيسر من سلوك الماء في الأرض وغوره فيها؟

فناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليسر، ووضع الإدخال في موطن المشقة والتكليف الصعب. لقد ناسب الإدخال أن يوضع مع قوله: "سآتيكُمْ مِنها بِخَبَرٍ" وقوله: "فَلَمّا جاءَها" ومهمة التبليغ إلى فرعون وقومه.

وناسب أن يوضع السلوك في مقام الخوف، وأن يوضع لإدخال في مقام الأمن والثقة.

وناسب أن يوضع الإدخال وهو أخص من السلوك مع (الشهاب القبس) الذي هو أخص من الجذوة، وأن يوضع السلوك وهو أعم

من الإدخال مع الجذوة من النار التي هي أعم من الشهاب القبس. فكل لفظة وضعت في مكانها الملائم لها تماما

- قال في القصص: "واضْمُم إلَيْكَ جَناحَكَ مِن الرّهْب" ولم يذكر مثل ذلك في النمل. و(الرهب) هو الخوف ، وهو مناسب لجو الخوف الذي تردد في القصة، ومناسب لجو التفصيل فيها بخلاف ما في النمل.
- قال في النمل: "في تِسْعِ آياتٍ" وقال في القصص: "فَذانِكَ بُرهانانِ"

فقد أعطاه في النمل تسع آيات إلى فرعون، وذكر في القصص برهانين، وذلك لما كان المقام في النمل مقامَ ثقة وقوة وسّع المهمة، فجعلهما إلى فرعون وقومه، ووسّع الآيات فجعلها تسعا، ولما كان المقام مقام خوف في القصص، ضيّق المهمة وقلل من ذكر الآيات. وكل تعبير وضع في مكانه المناسب.

ثم إن استعمال كلمة (الآيات) في النمل مناسب لما تردد من ذكر للآيات والآية في السورة فقد تردد ذكرُهما فيها عشر مرات، في حين تردد في القصص ست مرات. فناسب وضع (الآيات) في النمل ووضع البرهان في القصص الذي تردد فيها مرتين، في حين ورد في النمل مرة واحدة، فناسب كل تعبير مكانه.

- قال في النمل: "إلَى فِرْعَوْنَ وَقوْمِهِ" وقال في القصص: "إلى فِرْعَوْنَ ومَلئِهِ"

فوسع دائرة التبليغ في النمل كما ذكرنا، وذلك مناسب لجو التكريم في القصة، ومناسب لثقة موسى بنفسه التي أوضحتها القصة.

ولما وسّع دائرة التبليغ وسّع الآيات التي أعطيها، بخلاف ما ورد في القصص

- قال في النمل: "فلَمّا جاءَتْهُم آياتُنا مُبْصِرَةً قالوا هذا سِحْرٌ مُبينٌ"

ومعنى ذلك أن موسى قبل المهمة ونفذها من دون ذكر لتردد أو مراجعة، وهو المناسب لمقام القوة والثقة والتكريم، في حين قال في القصص: "قال ربّ إني قتلت منهم نفسا فأخافُ أن يَقتُلونِ"، فذكر مراجعته لربه وخوفه على نفسه من القتل، وهو المناسب لجو الخوف في السورة ولجو التبسط والتفصيل في الكلام. وكل تعبير مناسب لموطنه الذي ورد فيه كما هو ظاهر. والله أعلم

# لمسات في وصية لقمان لابنه

## لمحات قرآنية تربوية (نظرات بيانية في وصية لقمان لابنه)

تبدأ الوصية من قوله تعالى: "**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(16) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**( 19))

تلك هي الوصية وقد بدأت بذكر إتيان لقمان الحكمة
"**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**" 12
**الحكمة**
والحكمة هي وضع الشـــيء في محله قـــولا وعملا، أو هي توفيق العلم بالعمل، فلا بد من الأمرين معا: القـول والعمـل، فمن أحسن القـــــول ولم يحسن العمل فليس بحكيم، ومن أحسن العمل ولم يحسن القـــول فليس بحكيم.فالحكمة لها جانبـــان: جـــانب يتعلق بـالقول، وجـانب يتعلق بالعمـل. والحكمة خـير كثـير كما قـال الله تعالى: "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" البقرة 269
الله تعـالى مـؤتي الحكمة ولـذلك نلاحظ أنه تعـالى قـال: " **وَلَقَـدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**"
قـال (آتينـا) بإسـناد الفعل إلى نفسـه، ولم يقـل: لقد أوتي لقمـان الحكمة، بل نسب الإتيان لنفسـه. والله تعـالى في القـرآن الكـريم يسـند الأمـور إلى ذاته العلية في الأمـور المهمة وأمـور الخـير، ولا ينسب الشر والسوء إلى نفسه ألبتة. قـال تعـالى: "**وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَـرٌّ أُرِيـدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَـداً**10" الجـن
فعندما ذكر الشر بناه للمجهول، وعندما ذكر الخـير ذكر الله تعـالى نفسه.وهذا مطـرد في القـرآن الكـريم، ونجـده في نحـو: "آتينـاهم الكتاب" و "أوتوا الكتاب" فيقول الأولى في مقام الخير، وإن قـال الثانية فهو في مقـام السـوء والـذم. وقـال تعـالى: " **وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَـأَى بِجَانِبِـهِ وَإِذَا مَسَّـهُ الشَّـرُّ كَـانَ يَؤُوسـاً** 83" الإسـراء فعنـدما ذكر النعمة قـال: (أنعمنـا) بإسـناد النعمة إلى نفسه تعالى. وعندما ذكر الشر قال: "وإذا مسه الشـر" ولم يقل: إذا مسسناه بالشر.ولم ترد في القـرآن مطلقـا: زينا لهم سوء أعمالهم، وقد نجد: زينا لهم أعمـالهم، بـدون السـوء، لأن الله تعالى لا ينسب السـوء إلى نفسـه، ولما كـانت الحكمة خـيرا محضا نسبها إلى نفسه
ـ إن قيل: فقد قال في موضع: "ومن يـؤت الحكمة فقد أوتي خـيرا كثيرا" البقرة 269
فالرد أنه عز وجل قد قال قبلها: "**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُـؤْتَ الْحِكْمَـةَ فَقَـدْ أُوتِيَ خَيْـراً كَثِـيراً وَمَا يَـذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**" فنسب إتيـان الحكمة إلى نفسـه، ثم أعادها عامة بالفعل المبني للمجهول

**مقام الشكر**

- ( **أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ** ) لها دلالتان:

**الأولى** : أن الحكمة لما كـــانت تفضلا ونعمة فعليه أن يشـــكر النعم، كما تقـول: لقد آتـاك الله نعمة فاشـكره عليهـا. والله آتـاه الحكمة فعليه أن يشكره لأن النعم ينبغي أن تقابل بالشكر لموليها. (آتاك نعمة الحكمة فاشكره عليها)

**الثانية** : أن من الحكمة أن تشـكر ربـك، فـإذا شـكرت ربك زادك من نعمه "**وَإِذْ تَـأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيـدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** 7)" إبـراهيم ولو قـال غـير هـذا ، مثلا (فاشكر لله) لكان فيه ضعف، ولم يـؤد هـذين المعنـيين. وضعف المعنى يكون لأن الله تعالى آتاه النعمة "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَـةَ" فـإن قـال بعـدها: (فاشـكر لله ) فهـذا أمر موجه لشـخص آخر وهو الرسول، فيصـير المعـنى : آتى الله لقمـان الحكمة فاشـكر أنت!! كيف يكـون؟ المفـروض أن من أوتي الحكمة يشـكر ولـذلك قـال: "أن اشكر لله" فجاء بأن التفسيرية ولو قـال أي تعبـير آخر لم يـؤد هذا المعنى.

**الشكر والكفر**

( **وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** 12)

"يشـكر" قـال الشـكر بلفظ المضـارع ، والكفـران قاله بالفعل الماضي "ومن كفـر" من الناحية النحوية الشـرط يجعل الماضي اسـتقبالا ، مثـال (إذا جـاء نصر اللـه)، فكلاهما اسـتقبال. ويبقى السـؤال : لمـاذا اختلف زمن الفعلين فكـان الشـكر بالمضـارع والكفر بالمشي على أن الدلالة هي للاستقبال؟

من تتبعنا للتعبير القرآني وجدنا أنه إذا جاء بعد أداة الشـرط بالفعل الماضي فذلك الفعل يُفعـل مـرة واحـدة أو قليلا، وما جـاء بالفعل المضارع يتكرر فعله

مثال: " وَمَنْ **قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَـأً فَتَحْرِيـرُ رَقَبَـةٍ مُؤْمِنَـةٍ وَدِيَـةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِـهِ إِلَّا أَنْ يَصَّـدَّقُوا**92" النسـاء وبعـدها قـال: "**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِـداً فِيهَا** 93" النساء فعنـدما ذكر القتل الخطأ جـاء بالفعل الماضي لأن هـذا خطأ غير متعمد، إذن هو لا يتكرر وعنـدما جـاء بالقتل العمد جـاء بالفعل المضارع (ومن يقتل) لأنه ما دام يتعمد قتل المؤمن فكلما سـنحت له الفرصة فعل. فجاء بالفعل المضارع الذي يدل على التكرار.

مثال آخر: "**وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً** 19" الإسراء ، فذكر الآخرة وجاء بالفعل الماضي لأن الآخرة واحدة وهي تراد. لكن عندما تحدث عن الدنيا قال: "**وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ** 145" آل عمران ، لأن إرادة الثواب تتكرر دائما.

كل عمل تفعله تريد الثواب، فهو إذن يتكرر والشيء المتكرر جاء به بالمضارع يشكر، فالشكر يتكرر لأن النعم لا تنتهي " **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْأِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** 34" إبراهيم .

فالشكر يتكرر، كلما أحدث لك نعمة وجب عليك أن تحدث له شكرا أما الكفر فهو أمر واحد حتى إن لم يتكرر، فإن كفر الإنسان بأمر ما فقد كفر، إن كفر بما يعتقد من الدين بالضرورة فقد كفر، لا ينبغي أن يكرر هذا الأمر لأنه إن أنكر شيئا من الدين بالضرورة واعتقد ذلك فقد كفر وانتهى ولا يحتاج إلى تكرار، أما الشكر فيحتاج إلى تكرار لأن النعم لا تنتهي. وفيه إشارة إلى أن الشكر ينبغي أن يتكرر وأن الكفر ينبغي أن يقطع، فخالف بينهما في التعبير فجاء بأحدهما في الزمن الحاضر الدال على التجدد والاستمرار وجاء بالآخر في الزمن الماضي الذي ينبغي أن ينتهي.

**<u>الله غني حميد</u>**

( **فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** 12 )

جاء بإنما التي تفيد الحصر، أي الشكر لا يفيد إلا صاحبه ولا ينفع الله ولا يفيد إلا صاحبه حصرا أما الله فلا ينفعه شكر ولا تضره معصية

( يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر )

لذلك قال فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

جمع بين هاتين الصفتين الجليلتين الحميد أي المحمود على وجه الدوام والثبوت وهو تعالى غني محمود في غناه

- قد يكون الشخص غنيا غير محمود .
- أو محمودا غير غني .

- أو محمودا وهو ليس غنيا بعـد، فـإن اغتـنى انقلب لأن المـال قد يغير الأشخاص وقد يغير النفوس كما أن الفقر قد يغير النفوس .
- وقد يكـون الشـخص غنيا وغـير محمـود لأنه لا ينفع في غنـاه، ولا يـؤدي حق الله عليه ولا يفيد الآخـرين، بل قد يجر المصـالح لنفسه على غناه .
- وقد يكون محمودا غير غني، ولو كان غنيا لما كـان محمـودا، فـإن اجتمع الأمران فكان غنيا محمودا فذلك منتهى الكمال .
وفي آية أخرى في السورة نفسها قال: " **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** (26)
نقــول: فلان غــني أي هو من جملة الأغنيــاء، وقد يكــون ملكا معه أغنياء فإذا قلت هو الغني فكأن الآخرين ليسـوا شـيئا بالنسـبة إلى غناه وهو صاحب الغنى وحده.
فلماذا قال ها هنا فإن الله غني حميد وهناك في السورة نفســها هو الغني الحميد؟
نلاحظ أن في هذه الآية لم يـذكر له ملكا ولا شـيئا وهـذا حـتى في حياتنا اليومية نستعمله نقول أنا غني عنك كما قال الخليل:
أبلغ سليمان أني عنه في جو وفي غنى غير أني لست ذا مال
فقد تقول: أنا غني عنـك، ولكن ليس بالضـرورة أن تكـون ذا ثـروة ومال فهنا لم يـذكر الله سـبحانه لنفسه ملكا المعـنى أن الله غـني عن الشكر وعن الكفر لا ينفعه شكر ولا يضره كفر.
أما في الآية الأخــرى فقد ذكر له ملكا " **لِلَّهِ مَا فِي السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** (26)
فعنـدما ذكر له ملك السـموات والأرض المتسع ، فمن أغـنى منـه؟ فقال ( هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ) .

**<u>أهمية الحكمة في الوعظ</u>**
( **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُـهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْـرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** 13 )
من هنا بـدأت الوصـية، فلمـاذا صـدر بقولـه: "ولقد آتينـا.." وكـان يمكن مثلا أن يحذفها؟
الحكمة لها جانبــان : جـانب قــولي وجـانب عملي، وحكمة لقمــان ليست فيما ذكـره من أحـاديث وأقـوال وما قاله لابنه من الوصـية، وإنما أيضا في العمل الــذي فعله وهو تعهــده لابنه وعــدم تركه بلا

وعظ أو إرشــاد، وفي هــذا توجيه للآبــاء أن يتعهــدوا أبنــاءهم ولا يتركوهم لمعلمي سوء ولا للطرقات.
وصـــدّر بالحكمة وهي ذات جــانبين قـــولي وعملي لأمر آخر مهم، فعندما وصى ابنه فهل من الحكمة أن يوصي ابنه بشيء ويخالفــه؟ هـذا ليس من الحكمة ولو فعله فلن تنفع وصـيته، لو خـالف الوعظ عمل الواعظ والموجه لم تنفع الوصـية بل لا بد أن يطبق ذلك على نفسه، فعنـدما قـال آتينا لقمـان الحكمـة علمنا من هـذا أن كل ما قاله لقمان لابنه فقد طبقه على نفسه أولا حتى يكون كلامه مـؤثرا لذلك كان لهذا التصدير دور مهم في التربية والتوجيه.
ففي هذا القول ولقد آتينا لقمان الحكمة عدة دروس مهمة:
- الأول فيما قاله من الحكمة،
- الثـاني في تعهـده لابنه وتربيته وتعليمه وعــدم تركه لأهل السوء والجهالة يفعلون في نفسه وعقله ما يشاء،
- الثالث قبل أن يعظ ابنه طبق ذلك على نفسه فـرأى الابن في أبيه كل ما يقوله وينصـحه به من خـير ، لـذلك كـان لهـذا التصـدير ملمح تربــوي مهم وهو توجيه الوعــاظ والمرشــدين والناصـحين والآبـاء أن يبـدؤوا بأنفسـهم فـإن ذلك من الحكمة وإلا سقطت جميع أقوالهم

**التعهد بالنصح مع حسن اختيار الوقت**

( وَهُوَ يَعِظُهُ )
نحن نعـــرف أنه يعظه ويتضح أنه وعظ من خلال الآيـــات والأوامر وسياق الكلام، فلماذا قال وَهُوَ يَعِظُهُ
فيها دلالتان
1. **من حيث اللغة**: الحال والاستئناس للدلالة على الاستمرار. وهو يعظه اختــار الــوقت المناسب للوعظ ، ليس كلاما طارئا يفعله هكـــذا، أو في وقت لا يكـــون الابن فيه مهيأ للتلقي، ولا يلقيه بغير اهتمـام فلا تبلغ الوصـية عند ذلك مبلغا لكنه جـاء به في وقت مناسب للوعظ فيلقي ونفسه مهيـــأة لقبـــول الكلام فهو إذن اختار الوقت المناسب للوعظ والتوجيه
2. والأمر الثاني (**وَهُوَ يَعِظُهُ**) . فهذا من شـأن لقمـان أن يعظ ابنه، هو لا يتركه، وليست هذه هي المرة الأولى، هو من شأنه ألا يترك ابنه بل يتعاهده دائما، وهكذا ينبغي أن يكون المربي.

فكل كلمة فيها توجيه تربـــوي للمـــربين والـــواعظين والناصـــحين والآباء.

**الرفق في الموعظة**

(يا بني)
كلمة تصـغير للتحـبيب، أي ابـدأ بـالكلام اللين اللطيف الهين للابن وليس بـالتعنيف والزجـر. بل بحنـان ورِقّة لأن الكلمة الطيبة الهينة اللينة تفتح القلـوب المقفلة وتلين النفـوس العصـية، عكس الكلمة الشديدة المنفرة التي تقفل النفوس . لـذلك قـال ربنا لموسى عن فرعون: "**فَقُولا لَهُ قَـوْلاً لَيِّنـاً لَعَلَّهُ يَتَـذَكَّرُ أَوْ يَخْشَـى** 44" طـه .
وأنت أيها الأب إن أجلست ولـدك إلى جانبك ووضـعت يـدك على رأسه وكتفـه، وقلت له يا بـني ، فتأكد أن هـذه الكلمة بل هـذه الحركة من المسح تـؤثر أضـعاف الكلام الـذي تقوله ، وتـؤثر في نفسه أكثر بكثير من كل كلام تقوله وتزيل أي شـيء بينك وبينه من حجـاب وتفتح قلبه للقبـول. وعنـدها فهو إن أراد أن يخالفك فهو يخجل أن يخالفـك، بهـذه الكلمة اللطيفة الشـفيقة تزيل ما بينك وبينه من حجـاب، ويكـون لك كتابا مفتوحا أمامـك، وعنـدها سـيقبل كلامك والكلمة الطيبة صدقة
لـذلك بـدأ بهـذه الكلمة مع أنه من الممكن أن يبـدأ الأب بـالأمر مباشرة ولكن لها أثُرها الذي لا ينكر ولا يترك، فـأراد ربنا أن يوجهنا إلى الطريقة اللطيفة الصحيحة المنتجة في تربية الأبنـاء وتـوجيههم وإزالة الحجاب بيننا بينهم من دون تعنيف أو قسوة أو شدة، وبـذلك تـريح نفسه وتزيل كل حجـاب بينك وبينه ونحن في حياتنا اليومية نعلم أن كلمة واحـدة قد تـؤدي إلى أضـعاف ما فيها من السـوء، وكلمة أخرى تهون الأمور العظيمة وتجعلها يسيرة
ولقد تعلمت درسا في هـذه الحيـاة قلته لابـني مـرة وقد اشـتد في أمر من الأمـور في موقف مـا، وأنا أتجـاوز السـتين بكثـير، وكـان الموقف شـديدا جـدا، وقد فعل فعلته في جهة ما وخُبّـرت بـذلك فجئت به ووضـعته إلى جنـبي وقلت لـه: يا فلان تعلمت من الحيـاة درسا أحب أن تتعلمه وهو أنه بالكلمة الشـديدة النـاهرة ربما لا أسـتطيع أن أحصل على حقي ولكن تعلمت أنه بالكلمة الهينة اللينة آخذ أكثر من حقي .

**أس الوصية**

( **يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** 13 )
لم يبدأ بالعبادة ولم يقل له اعبد الله وإنما بدأ بـالنهي عن الشـرك، وذلك لما يلي:

- **أولا** : التوحيد أس الأمـور، ولا تقبل عبـادة مع الشـرك، فالتوحيد أهم شيء.

❖ **ثانيا**: العبـــادة تلي التوحيد وعـــدم الشـــرك فهي أخص منه. التوحيد تعلمه الصغير والكبـير، فالمعتقـدات تُتعلم في الصـغر وما تعلم في الصــــغر فمن الصـــــعب فيما بعد أن تجتثه من نفسه ، ولن يـترك ما تعلمه حـتى لو كـان أسـتاذا جامعيا في أرقى الجامعات، هـذا ما شـهدناه وعاينـاه بأنفسـنا فهـذا الأمر يكون للصـغير والكبـير ، تعلمه لابنك وهو صـغير، ويحتاجه وهو كبير، أما العبادة فتكون بعد التكليف.

❖ **ثالثا** : أمر آخر أنه أيسر، فالأمر بعدم الشـرك (أي بالتوحيـد) هو أيسر من التكليف بالعبادة، العبادة ثقيلة ولذلك نـرى كثـيرا من الناس موحدين ولكنهم يقصرون بالعبادة، فبدأ بما هو أعم وأيســر؛ أعم لأنه يشـــمل الصـــغير والكبـــير، وأيسر في الأداء والتكليف.

ثم قال ( **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**13 )

لماذا اختار الظلم؟ لماذا لم يختر : إثم عظيم، ولماذا لم يقل كبير؟ لو تقـدم شخصـان إلى وظيفة أحـدهما يعلم أمر الوظيفة ودقائقها وأمورها وحدودها، ويعبر عن ذلك بأسلوب واضح سهل بين، والثاني تقـدم معه ولكنه لا يعلم شـيئا ولا يحسـنها وهو فيه عبء، وعنـده قصور فهم وإدراك، فإن سوينا بينهما أفليس ذلك ظلما؟

ولو تقدم اثنان للدراسات العليا وأحدهما يعرف الأمور بدقة ويجيب على كل شيء، وله أسلوب فصـيح بليغ لطيـف، وآخر لا يعلم شـيئا ولا يفقه شيئا ولم يجب عن سـؤال ولا يحسن أن يـبين عن نفسـه، فإن سويت بينهما أفليس ذلك ظلما؟

والفرق بين الله وبين المعبود الآخر أكبر بكثير، ليست هنـاك نسـبة بين الخالق والمخلوق، بين مـولي النعمة ومن ليس له نعمـة، فـإن كــــان ذاك الظلم لا نرضى به في حياتنا اليومية فكيف نرضى فيما هو أعظم منه فهذا إذن ظلم، وهو ظلم عظيم

والإنسـان المشـرك يحط من قـدر نفسه لأن الآلهة الـتي يعبـدها تكون أحط منـه، وقصـارى الأمر أن تكـون مثلـه، فهو يعبد من هو أدنى منـه، أو بمنزلتـه، فهـذا حط وظلم للنفس بالحط من قـدرها، إنه ظلم لأنه يورد نفسه موارد التهلكة ويخلدها في النار وهـذا ظلم عظيم.

وأمر آخر أن الإنسان بطبيعته يكـره الظلم، قد يرتضـيه لنفسه لكن لا يرضى أن يقع عليه ظلم ، فاختار الأمر الذي تكرهه نفوس البشر (الظلم) وإن كان المرء بنفسه ظالما.

وفي هذا القـول تعليـل، فهو لم يقل لـه: لا تُشْـرِكْ بِاللَّهِ وسـكت، وإنما علل لــه، وهــذا توجيه للآبــاء أن يعللــوا لا أن يقتصــروا على الأوامر والنواهي بلا تعليل، لا بد من ذكر السبب حتى يفهم لماذا، لا بد أن يعــرف حــتى يقتنع فهو بهــذه النهاية ( **إِنَّ الشِّــرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**13) أفادنا أمـــــورا كثـــــيرة في التوجيه والنصح والتعليم والتربية.

**عظم حق الوالدين**

( **وَوَصَّـيْنَا الْإِنْسَـانَ بِوَالِدَيْـهِ حَمَلَتْـهُ أُمُّهُ وَهْنـاً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْـكُرْ لِي وَلِوَالِـدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِـيرُ** 14 )

(ووصـينا) من قائلهـا؟ هـذه ليست وصـية لقمـان، هـذا كلام الله ، لقمـان لم ينه وصـيته، هـذه مداخلـة، وستتواصل الوصـية فيما بعد .قبل أن يتم الوصية قال الله ( **وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ** ) ، ولم يــدع لقمــان يتم الوصــية، بل تــدخل ســبحانه بهــذا الكلام ، وذلك لأسباب:

- **أولا** : أمر الوالـدين أمر عظيم، والوصـية بهما كـذلك، فالله تعالى هو الذي تولى هـذا الأمـر، ولم يـترك لقمـان يوصي ابنه به، فلما كان شأن الوالـدين عظيما تـولى ربنا تعـالى أمرهمـا، لعظم منزلتهما عند الله تعالى.
- **ثانيا** : لو تـرك لقمـان يوصي ابنه يا بـني أطع والـديك لكـان الأمر مختلفــا. لأننا عــادة في النصح والتوجيه ننظر للشــخص الناصح هل له في هــذا النصح نفــع؟ فــإن نصــحك شــخص ما فــأنت تنظر هل في هـذا النصح نفع يعـود على الناصـح؟ فـإن كان فيه نفع يعود على الناصح فأنت تـتريث وتفكر وتقـول: قد يكــون نصــحني لأمر في نفســه، قد ينفعــه، لو لم ينفعه لم ينصحني هذه النصيحة. لو ترك الله تعـالى لقمـان يوصي ابنه لكـان ممكنا أن يظن الولد أن الوالد ينصـحه بهـذا لينتفع بــه، ولكن انتفت المنفعة هنا فالموصي هو الله وليست له فيه مصلحة.

وقال: ( ووصينا)، ولم يقل: وأوصينا

والله تعالى يقـول (وصّـى) بالتشـديد إذا كـان أمر الوصـية شـديداً ومهماً، لذلك يستعمل وصى في أمور الدين، وفي الأمور المعنوية: ("**وَوَصَّــى بِهَا إِبْــرَاهِيمُ بَنِيــهِ وَيَعْقُــوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الـدِّينَ فَلا تَمُـوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْـلِمُونَ** 132"

البقــرة ) ("**وَلَقَـدْ وَصَّــيْنَا الَّذِينَ أُوتُــوا الْكِتَــابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** 131" النساء)
أما (أوصى) فيستعملها الله تعالى في الأمــور المادية : "**يُوصِـيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**" النساء
لم تــرد في القــرآن أوصى في أمــور الــدين إلا في مكــان واحد اقــترنت بــالأمور المادية وهو قــول الســيد المســيح : "**وَجَعَلَنِي مُبَارَكـاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَـانِي بِالصَّـلاةِ وَالزَّكَـاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً** 31" مريم
في غــير هــذه الآية لم تــرد أوصى في أمــور الــدين، أما في هــذا الموضع الوحيد فقد اقترنت الصلاة بالأمور المادية وقد قالها السـيد المسيح في المهد وهو غير مكلف أصلا.
قال وصّى وأسند الوصية إلى ضمير التعظيم (ووصينا) والله تعــالى ينسب الأمور إلى نفسه في الأمور المهمة وأمور الخير
ولم يقل بأبويه بل اختار بوالديه
الوالدان مثنى الوالد والوالدة، وهو تغليب للمذكر كعادة العرب في التغليب إذ يغلبــون المــذكر كالشــمس والقمر يقولــون عنهما (القمران).
والأبوان هما الأب والأم ولكنه أيضا بتغليب المذكر ولو غلب الوالدة لقـال الوالـدتين، فسـواء قـال بأبويه أو بوالديه فهو تغليب للمـذكر، ولكن لماذا اختار الوالدين ولم يقل الأبوين؟
لو نظرنا إلى الآية لوجدناه يذكر الأم لا الأب: (**حَمَلَتْـهُ أُمُّهُ وَهْنـاً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ** )
فـذكر أولا الحمل والفطـام من الرضـاع (وفصـاله) ولم يـذكر الأب أصلا ذكر ما يتعلق بــالأم (الحمل والفصــال) وبينهما الــولادة والوالدان من الولادة، والولادة تقوم بها الأم.إذن:

- ❖ أولا (المناسـبة) فعنـدما ذكر الحمل والفصـال ناسب ذكر الولادة.
- ❖ ثانيا: ذكره بالولادة وهو عـاجز ضـعيف، ولـولا والـداه لهلك فذكره به.
- ❖ ثالثا إشارة إلى انه ينبغي الإحسان إلى الأم أكثر من الأب، ومصــاحبة الأم أكــثر من الأب، لأن الــولادة من شــأن الأم وليست من شأن الأب.

لذلك فعندما قال (بوالديـه) ذكر ما يتعلق في الأصل بـالأم، ولـذلك فهذه الناحية تقـول : ينبغي الإحسـان إلى الوالـدة قبل الأب وأكـثر

من الأب. ولــذلك لا تجد في القــرآن الكــريم الــبر أو الــدعاء أو التوصية إلا بذكر الوالدين لا الأبوين

**أمثلة :**

"**وَقَضَــى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُــدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِــدَيْنِ إِحْسَــاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْـدَكَ الْكِبَـرَ أَحَـدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُـلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً** 23" الإسراء

" **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِـهِ شَـيْئاً وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَـاناً** 36" النساء

" **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً** 151" الأنعام وكذلك البر والدعاء والإحسان .

"**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ يَـوْمَ يَقُـومُ الْحِسَـابُ** 41" إبراهيم

" **رَبِّ اغْفِــرْ لِي وَلِوَالِــدَيَّ وَلِمَنْ دَخَــلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنــاً وَلِلْمُــؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَــاتِ وَلا تَــزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَــارا** 28" نوح

"**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً** 8" العنكبوت .

" **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً** 15" الأحقاف .

لم يرد اسـتعمال (الأبـوين) إلا مـرة في المـواريث، حيث نصـيب الأب أكثر من نصـيب الأم، أو التسـاوي في الأنصـبة. لكن في الـبر والتوصية والدعاء لم يأت إلا بلفظ الوالـدين إلماحا إلى أن نصـيب الأم ينبغي أن يكون أكثر من نصيب الأب.

كما ان لفظ (الأبـوان) قد يـأتي للجـدين : "**وَيُتِمُّ نِعْمَتَـهُ عَلَيْـكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ** 6" يوسف

ويــأتي لآدم وحــواء: "**يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّـيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ** 27" الأعراف

فاختيار الوالدين له دلالات مهمة.

ثم هو هنا لم يأت بالأب أصلا بل قال ( حملته أمه وهنا ..) ولم يــرد ذكر للأب أبدا، لذلك كان اختيار الوالدين انسب من كل ناحية.

قد تقـول إن هـذا الأمر تخلف في قصة سـيدنا يوسف عنـدما قـال: "وَرَفَـعَ أَبَوَيْـهِ عَلَى الْعَـرْشِ وَخَـرُّوا لَـهُ سُـجَّداً100" يوسف فاختـار الأبوين. الجـواب: لم يتخلف هـذا الأمـر، فعنـدما قـال رفع أبويه لم يتخلف وإنما هو على الخط نفسه، وذلك لما يلي:

- **أولا** : في قصة يوسف لم يـرد ذكر لأم مطلقا ورد ذكر الأب فهو الحـزين وهو الـذي ذهب بصـره .. الخ ولم يـرد ذكر للام أصلا في قصة يوسف.
- **ثانيا** : في هـذا الاختيـار أيضا تكـريم للأم لأنه قـال: "**وَرَفَـعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَـرْشِ وَخَـرُّوا لَـهُ سُـجَّداً**100" فالعـادة أن يكـرم الابن أبويه ، ليس أن يكـرم الأبـوان الابن ولكن هنا هم خروا له سجدا فـالتكريم هنا حصل بـالعكس من الأبـوين للابن ولـذلك جـاء بلفظ الأبـوين لا الوالـدين إكراما للام فلم يقـل: ورفع والديه
- وفيها إلماح آخر أن العرش ينبغي أن يكون للرجال .

فلما قـال أبويه هنا ففيه تكـريم للأم، ويلمح أن لعـرش ينبغي أن يكـون للرجـال ، ويناسب ما ذكر عن الأب إذ القصة كلها مع الأب، فهو الأنسب من كل ناحية

وهنا قد يرد سؤال: إن الأم هي التي تتأثر وتتألم أكثر وتحزن فلماذا لم يرد ذكرها هنا؟ ألم تكن بمنزلة أبيه في اللوعة والحسرة؟

لا .. المسـألة أمر آخر ، أم يوسف ليست أم بقية الإخـوة ، هي أم يوسف وأخيه فقط ، ولـذلك فيكـون كلامها حساسا مع إخوته ، أما يعقوب عليه السلام فهو أبـوهم جميعا ، فـإذا عـاتبهم أو كلمهم فهو أبوهم ، أما الأم فليست أمهم ، فـإذا تكلمت ففي الأمر حساسـية ، وهـذا من حسن تقـديرها للأمـور فكتمت ما في نفسـها وأخفت لوعتها حتى لا تثـير هـذه الحساسـية في نفوسـهم وهـذا من حسن التقـدير والأدب، فلننظر كيف يختـار القـرآن التعبـيرات في مكانها ويعلمنا كيف نربي ونتكلم مع أبنائنا.

# لمسات بيانية من سورة القمر

قال الله تعالى : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ {54} فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) [القمر].

سأل سائل: لم وحد تعالى: (النهر) في هذه الآية ولم يجمعه مع أن الجنات قبله جمع بخلاف المواضع الأخرى من القرآن الكريم، فإنه إذا جمع الجنة، جمع النهر أيضاً فيقول: (جنات تجري من تحتها الأنهار)

والجواب: أنه جمع في لفظ (النهر) عدة معان وأعطى أكثر من فائدة لا يفيدها فيما لو قال: (أنهار) ذلك أنه علاوة على أن فواصل الآيات، تقتضي (النهر) لا (الأنهار) لأن آيات السورة على هذا الوزن فقد جاء قبلها: (وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر) وجاء بعدها: (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) فإن المعنى أيضاً ذلك من جهات أخرى منها:

أنة النهر اسم جنس بمعنى الأنهار، وهو بمعنى الجمع[1] والكثرة، ومنه قوله r: "أهلك الناس الدينار والدرهم" والمراد بالدينار والدرهم الجنس لا الواحد.

وجاء في (معاني القرآن): "ونهر معناه أنهار وهو في مذهبه كقوله: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) [2] وزعم الكسائي أنه سمع العرب يقولون: أتينا فلاناً فكنا في لحمة ونبيذة فوحد ومعناه الكثير"[3] .

ومنها: أن معاني (النهر) أيضاً السعة[4] والسعة ههنا عامة تشمل سعة المنازل وسعة الرزق والمعيشة، وكل ما يقتضي تمام السعادة السعة فيه. جاء في (البحر المحيط): "ونهر: وسعة في الأرزاق والمنازل"[5] . وجاء في (روح المعاني): "وعن ابن عباس تفسيره بالسعة والمراد بالسعة سعة المنازل على ما هو الظاهر، وقيل: سعة الرزق والمعيشة، وقيل: ما يعمهما"[6].

ومنها: أن من معاني (النهر) أيضاً الضياء[7] .

جاء في (لسان العرب): "وأما قوله ـ عز وجل ـ(إن المتقين في جنات ونهر) فقد يجوز أن يعني به السعة والضياء

، وأن يعني به النهر الذي هو مجرى الماء، على وضع الواحد موضع الجميع... وقيل في قوله: (جنات ونهر) أي: في ضياء وسعة، لأن الجنة ليس فيها ليل، إنما هو نور يتلألأ"[8] .
وجاء في (معاني القرآن) لفراء: "ويقال: (إن المتقين في جنات ونهر) في ضياء وسعة"[9] .
وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فإن المتقين في جنات وأنهار كثيرة جارية، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السعة، وفي ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة.
فانظر كيف جمعت هذه الكلمة هذه المعاني كلها، إضافة إلى ما تقتضيه موسيقى فواصل الآيات بخلاف ما لو قال (أنهار)، فإنها لا تعني إلا شيئاً واحداً.
ثم انظر كيف أنـهه لما كان المذكورون هم من خواص المؤمنين، وهم المتقون وليسوا عموم المؤمنين أعلى أجرهم ودرجتهم، فقال: (ونهر) ولم يقل: (وأنهار) ولما أعلى أجرهم ودرجتهم وبالغ في إنعامهم وإكرامهم جاء بالصفة والموصوف بما يدل على المبالغة فقال: (عند ملك مقتدر) ولم يقل: (ملك قادر) فإن (مليك) أبلغ من (ملك) و(مقتدر) أبلغ من (قادر) فإن كلمة (مليك) على صيغة (فعيل) وهي أبلغ واثبت من صيغة (فعل)[10].
جاء في (روح المعاني): "عند مليك، أي: ملك عظيم الملك، وهو صيغة مبالغة، وليست الياء من الإشباع"[11] .
ولما جاء بالصيغة الدالة على الثبوت، قال: (في مقعد صدق) "ذلك لأن هذا المقعد ثابت لا يزول، فهو وحده مقعد الصدق، وكل المقاعد الأخرى كاذبة، لأنها تزول إما بزوال الملك صاحبه، وإما بزوال القعيد، وإما بطرده، وهذا المقعد وحده الذي لا يزول، وقد يفيد أيضاً أنه المقعد الذي صدقوا في الخبر به"[12].
هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إن معنى الصدق ههنا يفيد معنى الخير أيضاً والجودة والصلاح[13] فجمعت كلمة (الصدق) ههنا معنيي الخير والصدق معاً، كما جمع (النهر) أكثر من معنى ثم انظر كيف أنهم لما صدقوا في إيمانهم وعملهم، كان لهم مقعد الصدق.
و(المقتدر) أبلغ أيضاً من (القادر) ذلك أن (المقتدر) اسم فاعل من (اقتدر) وهذا أبلغ من (قدر) فإن صيغة (افتعل) قد تفيد المبالغة والتصرف والاجتهاد والطلب في تحصيل الفعل بخلاف فعل[14] ومنه اكتسب واصطبر واجتهد قال تعالى: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) [البقرة].

جاء في (الكشاف) في هذه الآية: "فإن قلت: لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟
قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس، وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال"[15].
وجاء في (البحر المحيط): "والذي يظهر لي أن الحسنات، هي مما تكتسب دون تكلف والسيئات ببناء المبالغة"[16] .
وقال سيبويه: "كسب: أصاب، واكتسب: تتصرف واجتهد"[17] .
فجاء ههنا، أي: في قوله: (مقتدر) بالصيغة الدالة على القدرة البالغة مع الملك الواسع الثابت.
فانظر كيف بالغ وأعظم في الأجر، وبالغ وأعظم في الملك، وبالغ وأعظم في القدرة لمن بالغ وجد في عمله وصدق فيه وهم المتقون.
ونريد أن نشير إلى أمر، وهو إطلاق وصف (المبالغة) على صفات الله نحو علام، وعليم، وغفور، وما إلى ذلك فقد توهم بعضهم أنه ينبغي أن لا يطلق على صفات الله وصف المبالغة، لأنها صفات الله وصف المبالغة، لأنها صفات حقيقية وليست مبالغاً فيها. وقد اعترض علي معترض ذات مرة بنحو هذا. مع أنهه من الواضح أن ليس المقصود كما ظن الظان أو توهم فالمقصود أن هذا البناء يفيد كثرة وقوع الفعل، وليس المقصود أن الأمر مبالغ فيه. فـ (عليم) أبلغ من (عالم) و(صبور) أبلغ من (صابر) ذلك أن الموصوف بعليم معناه أنه موصوف بكثرة العلم، وليس المقصود أن صاحبه وصف بهذا الوصف وهو لا يستحق أن يوصف به فكان الوصف به مبالغة.
ولا نريد أنم نطيل في كشف هذه الشبهة، فإنها فيما أحسب لا تستحق أكثر من هذا.

---

[1] الكشاف 3/186، والبحر المحيط 8/184، روح المعاني 27/958
[2] سورة القمر 45
[3] معاني القرآن 3/111
[4] لسان العرب (نهر 7/96، القاموس المحيط (نهر 2/150، تاج العروس 3/591، الكشاف 3/186[5] البحر المحيط 8/184
[6] روح المعاني 27/95
[7] لسان العرب (نهر 7/96، تاج العروس (نهر 3/591، الكشاف 3/186

[8]  لسان العرب 7/96
[9]  معاني القرآن 3/111 وانظر الكشاف 3/186
[10]  انظر كتاب (معاني الأبنية بابي صيغ المبالغة والصفة المشبهة.
[11]  روح المعاني 27/96
[12]  البحر المحيط 8/184
[13]  البحر المحيط 8/184
[14] انظر كتاب سيبويه 2/241 شرح الشافيه للرضي 1/110، البحر المحيط 2/366
[15] الكشاف 1/308
[16]  البحر المحيط 2/366
[17]  كتاب سيبويه 2/241، وانظر لسان العرب(كسب 2/211) .

# لمسة بيانية من سورتي الطور والقلم

قال تعالى في سورة الطور:( فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (29)).
وقال في سورة القلم :( مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2)).
فزاد قوله :(بكاهن) على ما في سورة القلم ، فما سبب ذاك ؟
والجواب : أن هناك أكثر من سبب دعا إلى هذه الزيادة.
1- منها أنه فصل في سورة الطور في ذكر أقوال الكفرة في الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكروا أنه كاهن ، وذكروا أنه مجنون ، وذكروا أنه شاعر . ( أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون). وقالوا إنه كاذب :(أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون).
في حين لم يذكر غير قولهم إنه مجنون في سورة القلم :(ويقولون إنه لمجنون) فناسب ذكر هذه الزيادة في سورة الطور.
2- ومنها أنه ذكر في سورة الطور قوله :(أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين) والاستماع مما تدعيه الكهنة لتابعيهم من الجنِّ ، فناسب ذلك ذكر الكهنة فيها.
3- ومنها أنه ذكر السحر في سورة الطور فقال :(أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ). فناسب ذكر السحر ذكرَ الكهنة.
4- ومما حسن ذلك أيضاً أنه توسع في القَسَم في أول سورة الطور بخلاف سورة القلم ، فقد قال :(والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور * والبيت المعمور * والسقف المرفوع* والبحر المسجور).
في حين لم يقسم في سورة القلم إلا بالقلم وما يسطرون.
فناسب التوسع في الطور هذه الزيادة.

5- ذكر في سورة القلم في آخر السورة قول الكفرة ، إنه لمجنون ولم يزد على هذا القول ، فقال :(وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون) فرد عليهم في أول السورة بنفي الجنون عنه فقال:(ما أنت بنعمة ربك بمجنون). فناسب آخر السورة أولها.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف ناسب التأكيد بالباء الزائدة في النفي (بمجنون) التوكيد باللام في الإثبات (لمجنون) لأن الباء لتوكيد النفي واللام لتوكيد الإثبات. والله أعلم.

# لمسة بيانية من سورتي المعارج والقارعة

قال تعالى في سورة المعارج :( وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (9)).
وقال في سورة القارعة :( وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5)).
فزاد كلمة (المنفوش) في سورة القارعة على ما في المعارج ، فما سبب ذاك؟

والجواب - والله أعلم :

1- أنه لما ذكر القارعة في أول السورة ، والقارعة من (القَرْعِ) ، وهو الضرب بالعصا ، ناسب ذلك ذكر النفش ؛ لأن من طرائق نفش الصوف أن يُقرعَ بالمقرعة. كما ناسب ذلك من ناحية أخرى وهي أن الجبال تهشم بالمقراع - وهو من القَرْع – وهو فأس عظيم تحطم به الحجارة ، فناسب ذلك ذكر النفش أيضاً.

فلفظ القارعة أنسب شيء لهذا التعبير. كما ناسب ذكر القراعة ذكر (الفراش المبثوث) في قوله :(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) أيضاً ؛ لأنك إذا قرعت طار الفراش وانتشر. ولم يحسن ذكر (الفراش) وحده كما لم يحسن ذكر (العهن) وحده.

2- إن ما تقدم من ذكر اليوم الآخر في سورة القارعة ، أهول وأشد مما ذكر في سورة المعارج . فقد قال في سورة المعارج : (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة * فاصبر صبراً جميلاً * إنهم يرونه بعيداً* ونراه قريباً). وليس متفقاً على تفسير أن المراد بهذا اليوم ، هو اليوم الآخر. وإذا كان

المقصود به اليوم الآخر فإنه لم يذكر إلا طول ذلك اليوم ، وأنه تعرج الملائكة والروح فيه. في حين قال في سورة القارعة : (القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة) فكرر ذكرها وعَظَّمها وهوَّلها. فناسب هذا التعظيم والتهويل أن يذكر أن الجبال تكون فيه كالعهن المنفوش. وكونها كالعهن المنفوش أعظم وأهول من أن تكون كالعهن من غير نفش كما هو ظاهر.
3- ذكر في سورة المعارج أن العذاب (واقع) وأنه ليس له دافع (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) ووقوع الثقل على الصوف ، من غير دفع له لا ينفشه بخلاف ما في القارعة ، فإنه ذكر القرع وكرره ، والقرع ينفشه وخاصة إذا تكرر ، فناسب ذلك ذكر النفش فيها أيضاً.
4- التوسع والتفصيل في ذكر القارعة حسَّن ذكر الزيادة والتفصيل فيها ، بخلاف الإجمال في سورة المعارج ، فإنه لم يزد على أن يقول :(في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة).
5- إن الفواصل في السورتين تقتضي أن يكون كل تعبير في مكانه ، ففي سورة القارعة ، قال تعالى :(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش). فناسبت كلمة (المنفوش) كلمةَ (المبثوث).
وفي سورة المعارج ، قال :(يوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن*). فناسب (العهن) (المهل).
6- ناسب ذكر العهن المنفوش أيضاً قوله في آخر السورة :(نار حامية) لأن النار الحامية هي التي تذيب الجبال ، وتجعلها كالعهن المنفوش ، وذلك من شدة الحرارة ، في حين ذكر صفة النار في المعارج بقوله :(كلا إنها لظى * نزاعة للشوى) . والشوى هو جلد الإنسان. والحرارة التي تستدعي نزع جلد الإنسان أقل من التي تذيب الجبال ، وتجعلها كالعهن المنفوش ، فناسب زيادة (المنفوش) في القارعة من كل ناحية. والله أعلم.
7- كما أن ذكر النار الحامية مناسب للقارعة من ناحية أخرى ، ذلك أن (القَرَّاعة) – وهي من لفظ القارعة – هي القداحة التي تقدح بها النار.
فناسب ذكر القارعة ، ذكر الصوف المنفوش ، وذكر النار الحامية ، فناسب آخر السورة أولها.
وبهذا نرى أن ذكر القارعة حسَّنَ ذكر (المبثوث) مع الفراش ، وذكر (المنفوش) مع الصوف ، وذكر النار الحامية في آخر السورة. والله أعلم.

# لمسات بيانية من سورة المنافقون

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {9} وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ) [المنافقون]

في هاتين الآيتين ـ كما هو شأن الآيات القرآنية كلها ـ أسرار تعبيرية بديعة. والذي دعاني إلى الكتابة فيهما، أن سائلاً سألني مرة: لماذا قال تعالى: (فأصدق) بالنصب وعطف بالجزم، فقال: (وأكن) ولم يجعلهما على نسق واحد؟ فآثرت أن أكتب في هاتين الآيتين لارتباطهم.

(يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون).

لقد نهى الله في هذه عن الانشغال بأمر الأموال والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها، والانشغال بأمر الأولاد إلى حد الفعلة عن ذكر الله، وإيثار ذلك عليه ومن يفعل ذلك كان خاسراً خسارة عظيمة.

هذا معنى الآية على وجه الإجمال، إلا أن هناك أسراراً تعبيرية تدعو إلى التأمل منها:

1ـ إنه قال: (لا تلهكم أموالكم) ومعنى (لا تلهكم): لا تشغلكم [1]وقد تقول: لماذا لم يقل: (لا تشغلكم)؟

والجواب: أن من الشغل ما هو محمود فقد يكون شغلاً في حق كما جاء في الحديث: "إن الصلاة لشغلاً" وكما قال تعالى: (إِنَّ

أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ) [يس]أما الإلهاء فمما لا خير فيه وهو مذموم على وجه العموم، فاختار ما هو أحق بالنهي.
2ـ لقد أسند الإلهاء إلى الأموال والأولاد فقال: ( لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم) فقد نهى الأموال عن إلهاء المؤمن، والمراد في الحقيقة نهي المؤمن عن الالتهاء بما ذكر والمعنى لا تلتهوا بالمال والأولاد عن ذكر الله وهذا من باب النهي عن الشيء والمراد غيره، وهو كقوله تعالى: (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم الله الغرور) [لقمان] فقد نهى الحياة الدنيا عن غير المؤمن والمراد نهي المؤمن عن الاغترار بالدنيا
إن المنهي في اللغة: هو الفاعل نحو قولك: (لا يضرب محمود خالداً) فـ (محمود) هو المنهي عن أن يضرب خالداً، ونحو قولك: (لا يسافر إبراهيم اليوم) فإبراهيم منهي عنة السفر. ونحو قوله تعالى: (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن) [الحجرات] فالقوم هم المنهيون وكذلك النساء وكما تقول: (لا تضرب خالداً) و (لا تضربي هند) فالفاعل هو المنهي وليس المفعول به. والفاعل في الآية هو الأموال والأولاد أما المخاطبون فمفعول به فالمنهي إذن هي الأموال والأولاد، وهي منهية عن إلهاء المؤمن.
وقد تقول: ولم لم يعبر بالتعبير الطبيعي فيقول: لا تلتهوا بالأموال والأولاد، على أصل المعنى؟
والجواب: أن في هذا العدول عدة فوائد:
منها: أنه نهي الأموال عن التعرض للمؤمن وإلهائه عن ذكر الله فكأنه قال: أيها الأموال لا تهلي المؤمن عن ذكري. فكأن الله يريد حماية المؤمن وذلك بنهي السبب عن أن يتعرض له فكيف عن التعرض.
وفي هذا النهي مبالغة إذ المراد نهي المؤمن ولكنه بدأ بالأصل المسألة وهي الأموال والأولاد فنهاها هي عن التعرض للمؤمن بما يلهيه فقد جعل الله المؤمن كأنه مطلوب من قبل الأموال والأولاد تسعى لإلهائه وفتنته فنهاها عن السعي لهذا الأمر لينقطع سبب الإلتهاء ويقمعه.
ومنها: أن فيه إهابة للمؤمن ألا يقع في شرك الأموال والأولاد بحيث تلهيه وهو غافل مسلوب الإرادة، فنسب الإلهاء ليأخذ المؤمن حذره منها، فكأن الأموال والأولاد ينصبون الشرك ليلهوه عن ذ      كر الله، فعليه أن يحذر من أن يقع فيه كما تقول: (لا يخدعك فلان) فغن فيه إهابة لأخذ الحذر منه.

هذا بالإضافة إلى ما فيه منة التعبير المجازي اللطيف، وهو إسناد الإلهاء إلى الأموال فجعلها عاقلة مريدة تنصب الشرك لوقوع المؤمن في الفخ.
جاء في (روح المعاني): "والمراد بنهي الأموال وما بعدها نهي المخاطبين، وإنما وجه إليها للمبالغة لأنها لقوة تسببها للهو وشدة مدخليتها فيه، جعلت كأنها لاهية وقد نهيت عن اللهو، فالأصل لا تلهوا بأموالكم .. الخ. فالتجوز في الإسناد وقيل: إنه تجوز بالسبب عن المسبب كقوله: (فلا يكن في صدرك حرج) أي: لا تكونوا بحيث تلهيكم أموالكم"[2]
وجاء في (تفسير البيضاوي): "توجيه النهي إليها للمبالغة"[3] .
3ـ جاء بـ (لا) بعد حرف العطف فقال: (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم) ولم يقل: (أموالكم وأولادكم) ذلك أن كلاً من الأموال والأولاد داع من دواعي الإلهاء وكذلك الأولاد.
وق قال: (أموالكم وأولادكم) لاحتمل أن النهي عن الجمع بينهما، فلو لم يجمع بينهما جاز، فلو انشغل بالمال وحده جاز، أو انشغل بالأولاد وحدهم جاز، وهو غير مراد. إذ المراد عدم الانشغال بأي واحد منهما على سبيل الانفراد أو الاجتماع.
4ـ قدم الأموال على الأولاد لأن الأموال تلهي أكثر من الأولاد، فإن الانشغال فيها وفي تنميتها يستدعي وقتاً طويلاً وقد ينشغل المرء بها عن أهله، فلا يراهم إلا لماماً فقدم الأموال لذلك.
5ـ قدم المفضول على الفاضل، فالأولاد أفضل من الأولاد لأن المال، إنما يكون في خدمتهم ويترك لهم وذلك لأكثر من سبب.
منها: أن المقام مقام إلهاء كما ذكرنا فاستدعى تقديهما.
ومنها: أن المقام يقتضي ذلك من جهة أخرى، فغن هذا التقديم نظير التقديم في الآية اللاحقة من تقديم المفضول وهو قوله: (فأصدق وأكن من الصالحين) فقدم الصدقة على كونه من الصالحين.
ولما قدم النهي عن الإلتهاء بالمال قدم الصدقة. والصدقة إنما هي إخراج للمال من اليد والقلب، والالتهاء غنما هو انشغال به بالقلب والوقت والجارحة.
ولما قال: (عن ذكر الله) قال: (وأكن من الصالحين) لأن المنشغل عن الفرائض وذكر الله ليس من الصالحين. فهو تناظر جميل.
لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم ... فأصدق.
عن ذكر الله ..... وأكن منم الصالحين

والملاحظ أنه حيث اجتمع المال والولد في القرآن الكريم، قدم المال على الولد إلا في موطن واحد، وذلك نحو قوله تعالى: (شغلتنا أموالنا وأهلونا) [الفتح] وقوله: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) [الكهف] وقوله: (وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً) [المدثر]، ونحو ذلك، لأن المال في هذه المواطن أدعى إلى التقديم، إما لأن الانشغال به أكثر كما ذكرنا، أو لأنه أدعى إلى الزينة والتفاخر وما إلى ذلك من المواطن التي تقتضي تقديم الأموال.
أما المواطن الذي قدم فيه الولد على المال، فهو قوله تعالى: (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [التوبة] وذلك لأن المقام مقام حب. ولا شك أن المتقدمين من الأبناء والأزواج وغيرهم أحب إلى المرء من ألأموال لأنه إنما ينفق المال عليهم ويبقيه لهم بعد رحيله عن هذه الدار.
ثم لا تنس أنه قدم مجموع القرابات من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة، ولا شك أن هؤلاء بمجموعهم أحب إلى المرء من المال. فالأبناء وحدهم أثقل من ميزان الآباء من الأموال، فكيف إذا اجتمع معهم ما اجتمع ممن يحب؟
أما مسألة تقديم الأموال على وجه العموم، فلعل الله ييسر لنا البحث فيها.
6ـ قال: (ومن يفعل ذلك) ولم يقل: (ومن تلهه لك) فنسب الفعل إلى الشخص، لينال بذلك جزاءه ولئلا يفهم أنه ليس بمقدور الشخص الانصراف عن اللهو، وأنه غير مسؤول عن هذا الالتهاء. فقال: (ومن يفعل ذلك) للدلالة على أن ذلك بمقدور، وأن هذا من فعله وكسبه. فالالتهاء ليس أمراً سلبياً، بل هو فعل يقوم به الشخص وينال جزاءه عليه.
7ـ ثم انظر كيف جاء لذلك بالفعل المضارع فقال: (ومن يفعل) للدلالة على استمرار الحدث وتكرره ولم يقل: (ومن فعل) بالماضي، ذلك لن الالتهاء بالأموال والأولاد أمر يومي ومتكرر، ولذا عبر عنه الفعل المضارع الذي يدل على التكرار والتطاول.
هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أنه لو قال: (ومن فعل) لاحتمل أن ذلك الخسران الكبير، إنما يقع ولو فعله مرة واحدة وهو غير مراد. ثم ليتناسب الفعل والجزاء إذ ليس من المعقول والقصر إنما

الخسران الكبير الثابت المدلول عليه بالجملة الإسمية والقصر إنما يكون لما وقع مرة واحدة من الالتهاء، بل المناسب أن يكون ذلك لما تكرر حصوله وتطاول.
8ـ ثم قال بعد ذلك: (فأولئك هم الخاسرون) واختيار الخسران نهاية للآية أنسب شيء هاهنا فإنه المناسب للالتهاء بالأموال والانشغال بها.
فإن الذي ينشغل بالمال إنما يريد الربح، ويريد تنمية ماله فقال له: إن هذا خسران وليس ربحاً حيث باع "العظيم الباقي بالحقير الفاني"[4]
9ـ ثم إن الإتيان بضمير الفصل (هم) بين المبتدأ والخبر وتعريف (الخاسرون) بأل، إنما يفيدان القصر والتأكيد، أي أن هؤلاء لا غيرهم هم الخاسرون حقاً. وهم أولى من يسمون خاسرين فإنه لم يقل: (فأولئك خاسرون)، أو من الخاسرين ولو قال لأفاد أن خسارتهم قد تكون قليلة أو قد يشاركهم فيها غيرهم بل قال: (فأولئك هم الخاسرون) للدلالة على أنهم هم الخاسرون دون غيرهم وهم المتصفون بالخسارة إلى الحد الأقصى.
جاء في (روح المعاني): "وفي التعريف بالإشارة والحصر للخسران فيهم، وفي تكرير الإسناد وتوسيط ضمير الفصل ما لا يخفى من المبالغة"[5].
10ـ اختار الإلهاء عن ذكر الله دون غيره من العبادات فلم يقل مثلاً: لا تلهكم عن الصلاة أو عن الجهاد أو عن غير ذلك من العبادات، ذلك أن ذكر الله يشمل جميع الفرائض، فكل عمل تعلمه لا يكون لله إلا إذا كنت ذاكراً لله في نفسك أو على لسانك أو مستحضراً له في قلبك والذكر قد يكون في اللسان، قال تعالى: (وأذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة) [الأعراف] وقال: (وأقم الصلاة لذكرى) [طه] فذكر الله "عام في الصلاة والثناء على الله تعالى بالتسبيح والتحميد وغير ذلك والدعاء وقال الحسن: جميع الفرائض"[6].
ولذلك كان الخسران كبيراً فهو متناسب مع عظم المعصية، والله أعلم (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ).
1ـ تبدأ الآية بقوله: (وأنفقوا من ما رزقناكم) وهذا الأمر بالإنفاق مقابل النهي عن الإنفاق على أصحاب رسول الله من المنافقين فالمنافقون يقولون لأوليائهم: (لا تنفقوا على من عند رسول الله

حتى ينفضوا) [المنافقون] والله يقول لأوليائه: (وأنفقوا من ما رزقناكم) فانظر كيف قابل النهي بالأمر.
2ـ قال: (من ما رزقناكم) فجاء بـ (من) الدالة على التبعيض ولم يقل: (أنفقوا ما رزقناكم)، للدلالة على أن الإنفاق إنما يكون في قسم من المال ولا يشمل المال كله، فتستهل النفوس التخلي عن قسم من المال، استجابة لأمر ربها بخلاف ما إذا سألها المال كله، فإنها تستعظم ذلك وتبخل به، قال تعالى: (وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ {36} إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ) [محمد]
3ـ أسند الرزق إلى نفسه فقال: (من ما رزقناكم) للدلالة على أن هذا المال غنما هو من رزق الله سبحانه، ملكه عباده، فتطيب النفوس لإخراج بعض ما رزقه الله، استجابة لأمر الله الرازق.
وهذا التعبير اللطيف مدعاة إلى الخروج عن الشح والاستجابة لأمر الله.
4ـ ثم قال: (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) فجاء بـ (من) ولم يقل: (قبل أن يأتي أحدكم الموت) إشارة على قرب الموت من الإنسان، وأنه على الإنسان أن يسابق الموت ويبادر بالعمل الصالح فإن (من) هذه تفيد ابتداء الغاية الزمانية، ومعناه الزمن القريب من الموت بل المتصل به، وأن حذفها يفيد الوقت الذي هو قبل الموت سواء كان قريباً أم بعيداً [7] ويفيد إعطاء المهلة مع أن الأجل إذا جاء لا يمهل، فالمجيء بها يفيد طلب التعجيل بالتوبة والإنفاق إذ كل ساعة تمر بالإنسان، تحتمل أن تكون هي ساعة الموت، وهي التي ذكرها بقوله: (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) فانظر حسن التعبير ودقته.
5ـ قدم المفعول بعه على الفاعل، فقال: (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) ولم يقل: (يأتي الموت أحدكم) ذلك لأن المفعول به هو المهم هاهنا، إذ هو المعني بالتوبة والصلاح، وهو المدعو للإنفاق وهو المتحسر النادم إذا عاجله الموت.
فالعناية والاهتمام منصبان على المفعول الذي يأتيه الموت، وهو كل واحد منا.
6ـ جاء بالفاء في قوله: (فيقول رب) ولم يأت بـ ( ثم ) أو الواو، ذلك لأن الفاء تفيد معنيين السبب والعطف، في حين أن ثم أو الواو لا تفيد السبب، وبل تفيد العطف وحده ـ
ومن ناحية أخرى، إن الفاء تفيد التعقيب بلا مهلة في حين أن (ثم) تفيد التراخي، والواو تفيد مطلق الجمع.

فجاء بالفاء لجمع معنيي السبب والعطف، أي أن الموت سبب لهذا الندم وطلب التأخير لما ينكشف له من سوء المنقلب والعياذ بالله.
ثم إن طلب التأخير يأتي رأساً بلا مهلة، ففي ساعة الموت وعند حضوره يطلب التأخير ليسلك سبيل الصالحين، ولو جاء بـ (ثم) لما أفاد ذاك، بل يفيد أن طلب ذاك إنما يكون بعد مهلة وتراخ، وكذلك الواو لا تفيد ما أفادته الفاء.
7ـ ثم انظر كيف ناسب المجيء بالفاء الدالة على قصر الوقت حذف حرف النداء، فقال: (رب) ولم يقل: (يا رب) لأن الوقت لم يعد يحتمل التضييع في الكلام فيأتي بـ (يا) بل يريد أن يستعجل في طلبه، فيختصر من الكلام ما لا حاجة له به ليفرغ إلى مراده.
8ـ جاء بـ (لولا) فقال: (لولا أخرتني) ولم يقلك (لو أخرتني) لأن (لولا) أشد في الطلب من (لو) وقائلها أكثر إلحاحاً من قائل: (لو) فإن (لو) تكون للطلب برفق، وأما (لولا) فتكون للطلب بشدة وحث، ومعنى ذلك أن ما هو فيه يستدعي الإلحاح في الطلب، وأن يجأر به وأن يأتي بما هو من أشد أدوات الطلب قوة، كما أنها من أدوات التنديم وفيها تنديم للنفس على ما فرط، ولو جاء بـ (لو) لفاد العرض الخفيف.
هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إن (لو) قد تفيد التمني، والتمني قد يكون ميئوسا منه ليس لصاحبه فيه مطمع نحو (لو يعود الميت إلى الحياة، فيخبر الناس بما هو فيه) في حين أن هذا القائل ليس متمنياً، بل هو طالب للعودة، سائل لها فلو جاء بـ (لو) لأفاد أن هذا من باب التمني الذي يتمناه الإنسان، ولا يرجو وقوعه كقول القائل: (ألا ليت الشباب يعود يوماً) والتمني قد يكون فيحال العافية كما يكون في غيرها في حين أن هذا طالب للتأخير وليس متمنياً.
9ـ جاء بالفعل الماضي بعد (لولا) فقال: (لولا أخرتني) ولم يقل: (لولا تؤخرني) ذلك أن المحذور وقع في حين أن الفعل المضارع قد يفيد أن الأمر لم يقع بعد، وأن في الأمر سعة وذلك نحو قوله تعالى: (لو نشاء جعلناه أجاجاً فولا تشكرون) [الواقعة] وقوله: (قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [النمل].
هذا علاوة على ما يفيد دخول (لولا) على الماضي من قوة الطلب وشدته، وإن كان مستقبل المعنى.
10ـ ثم انظر كيف طلب مهلة قصيرة لإصلاح حاله، مع أنه كان يتقلب في الأرض من دون أدنى تفكير أو اهتمام بمآله في الآخرة

أو بالأوقات التي يضيعها هدراً من دون اكتراث. فقال: (إلى أجل قريب) ولم يقل: (إلى أجل) فيحتمل القريب والبعيد، فطلب مهلة قصيرة وأجلاً قريباً لتدارك ما فات.

فانظر كيف جاء بالفاء الدالة على قصر الزمن بين إتيان الموت وطلب التأخير، وحذف (يا) النداء اختصاراً للزمن ليفرغ إلى طلبه، وجاء ب، (لولا) الدالة على الإلحاح في الطب، كل ذلك ليحصل على مهلة قليلة ليصلح شأنه، فانظر أية إشارات هذه إلى هول ما هو فيه؟

وقد تقول: ولم قال هاهنا : (أخرتني) بالياء وقال في سورة الإسراء (أخرتني) فحذف الياء واجتزأ بالكسرة؟

والجواب: أن المقام يوضح ذلك.

فقد قال في سورة الإسراء على لسان إبليس: (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً) [الإسراء].

وقال ههنا: (لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) وهنا نسأل: أي الطلبين يريده المتكلم لنفسه على وجه الحقيقة، وأيهما يعود بالنفع عليها ودفع الضرر عنها أهو قوله: (لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ)أم قوله: (لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً).

والجواب ظاهر فإن طلب إبليس لا يريده من أجل نفسه، ولا لأنه محتاج إليه، وإنما يريده ليضل ذرية آدم. ثم إن هذا الطلب لا يعود عليه بنفع، ولا يدفع عنه ضراً وليست له مصلحة فيه، بل العكس هو الصحيح بخلاف الطلب الآخر، فإنه يريده لنفسه حقاً وإنه لا شيء ألزم منه لمصلحته هو ودفع الضرر عنه.

فلما كان طلب التأخير لمصلحة الطالب حقاً، وأنه ابتغاه لنفسه على وجه الحقيقة أظهر الضمير ولما كان طلب إبليس ليس من أجل نفسه ولا يعود عليها بالنفع حذف الضمير واجتزأ بالكسرة.

ثم في الحقيقة، إن كلام إبليس ليس طلباً، وإنما هو شرط دخل عليه القسم فقال: (لئن أخرتن) فهو من باب الطلب الضمني، وليس من باب الطلب الصريح وأما قوله: (لولا أخرتني) فهو طلب صريح ففرق تبعاً لذلك بين التعبيرين. فصرح بالضمير وأظهر نفسه في الطلب الصريح، وحذف الضمير واجتزأ بالإشارة إليه في الطلب غير الصريح. وهو تناظر جميل، ففي الطلب الصريح صرح بالضمير، وفي الطلب غير الصريح لم يصرح بالضمير.

11ـ وهنا نأتي إلى سؤال السائل وهو: لم عطف بالجزم على النصب، فقال: (فأصدق) بالنصب ثم قال (وأكن) بالجزم ولم يجعلها على نسق واحد؟

والجواب: أنة هذا مما يسميه النجاة (العطف على المعنى) وقد يسمى فير غير القرآن (العطف على التوهم). ذلك أن (أصدق) منصوب بعد فاء السببية، و(أكن) مجزوم على أنه جواب للطلب، والمعنى: إن أخرتني أكن من الصالحين ونحو ذلك أن تقول: (هلا تدلني على بيتك أزرك)، فـ : (أزرك) مجزوم بجواب الطلب والمعنى، إن تدلني على بيتك أزرك ولو جئت بفاء السبب لنصت، فقلت: (هلا تدلني على بيتك فأزورك)، وإن أسقطت الفاء وأردت معنى الشرط جزمت.

جاء في (البحر المحيط): "وقرأ جمهور السبعة (وأكن) مجزوماً قال الزمخشري: (وأكن) مجزوماً على محل (فأصدق) كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن وقال ابن عطية: عطفاً على الموضع لأن التقدير إن تؤخرني أصدق وأكن"[8]

ففي الآية الكريمة جاء بالمعطوف عليه على إرادة معنى السبب وجاء بالمعطوف على معنى الشرط فجمع بين معنيي السبب والشرط فالعطف إذن ليس على إرادة معنى الفاء بل على إرادة معنى جديد.

جاء في (معاني النحو): "عطف (أكن) المجزوم على (أصدق) المنصوب، وهو عطف على المعنى وذلك أن المعطوف عليه يراد به السبب والمعطوف لا يراد به السبب، فإن (أصدق) منصوب بعد فاء السبب وأما المعطوف فليس على تقدير الفاء ولو أراد السبب لنصب، ولكنه جزم لأنه جواب الطلب نظير قولنا: (هل تدلني على بيتك أزرك؟) كأنه قال: إن تدلني على بيتك أزرك فجمع بين معنيي التعليل والشرط، ومثل ذلك أن أقول لك: (احترم أخاك يحترمك) و(احترم أخاك فيحترمك) فالأول جواب الطلب والثاني سبب وتعليل وتقول في الجمع بين معنيين (أكرم صاحبك فيكرمك ويعرف لك فضلك) وهو عطف على المعنى"[9].

وقد تقول: ولماذا لم يسو بينهما، فيجعلهما نسقاً واحداً؟

والجواب أنهما ليسا بمرتبة واحدة في الأهمية، فالصلاح أهم من الصدقة ذلك أنم الذي ينجي من العذاب، هو كونه من الصالحين لا كونه متصدقاً فإن المؤمن قد لا يتصدق بصدقة أصلاً ومع ذلك يدخل الجنة بصلاحه فقد يكون ليس معه ما يتصدق به. فالذي ينجيه من العذاب، ويدخله الجنة، هو أن يكون من الصالحين،

والتصدق وإنما يكون من الصلاح. والذي يدلك على ذلك قوله تعالى في سورة (المؤمنون): (حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ {99} لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) فإنه ذكر الصلاح ولم يذكر الصدقة، لأن الآية لم تقع في سياق الكلام على الأموال وإنفاقها، وذلك يدل على أن الصلاح هو مناط النجاة وأنه هو الأهم فعبر عن كونه من الصالحين بأسلوب الشرط، لأنه أقوى في الدلالة على التعهد والتوثيق، فقد اشترط على نفسه أن يكون من الصالحين، وقطع عهداً على نفسه بذلك فأعطى الأهم والأولى أسلوب الشرط الدال على القوة في الأخذ على النفس والالتزام وأعطى ما هو دونه في الأهمية والأولوية، أسلوب التعليل ولم يجعلهما بمرتبة واحدة.

وقد تقول: إذا كان الأمر كذلك فلك قدم الصدقة على الصلاح؟

والجواب: أن السياق هو نفي إنفاق الأموال، فقد قال تعالى في هذه الآية: (وأنفقوا من ما رزقناكم ...) فدعا إلى الإنفاق، فكان تقديم الصدقة مناسباً للمقام. ثم إنه تردد في السورة ذكر الأموال والانشغال بها، وما إلى ذلك، فقد جاء قبل هذه الآية قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فنهى عن الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله، وجاء قبلها قوله في المنافقين: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

فأنت ترى أن تقديم الصدقة، والمناسب للسياق الذي وردت فيه الآية وللجو الذي تردد فيه ذكر الأموال والانشغال بها، والتوصية من المنافقين بعدم إنفاقها في سبيل الخير.

وقد يقول: ولم قال: (فأصدق) ولم يقلك (فأتصدق) الذي هو الأصل؟

والجواب: أن هناك أكثر من سبب يدعو إلى هذا الاختيار.

منها أن مقاطع (فأتصدق) أكثر من مقاطع (فأصدق) فإن مقاطع (فأتصدق) ستة ومقاطع (فأصدق) خمسة:

فَ + أَ + تَ +صد +دَ +قَ = ستة مقاطع.

فَ +أص +دَ +قَ = خمسة مقاطع.

وهو طلب التأخير إلى أجل قريب فاختار اللفظة التي هي أقصر لتناسب قصر المدة.

ثم إن في (فأصّدّق) تضعيفين أحدهما في الصاد، والآخر في الدال في حين أن في (فأتصدق) تضعيفاً واحداً موطنه الدال، والتضعيف مما يدل على المبالغة والتكثير، ولذا كان في قوله: (فأصدق) من المبالغة والتكثير في الصدقة ما ليس في (فأتصدق) فدل بذلك أنه أراد أجلاً قريباً ليكثر من الصدقة ويبالغ فيها.

فهذا البناء أفاد معنيين:

الأول: قصر المدة وذلك لأنه طلب التأخير مدة قصيرة.

والآخر: هو الإكثار من الصدقة في هذه المدة القصيرة فكان ذلك أنسب.

من هذا ترى أنه وضع كل تعبير في مكانه الذي هو أليق، وأعطى كلاً منهما حقه الذي هو له. فانظر كيف جمع بين معنيين التعليل والشرط.

وقدم الصدقة مناسبة للمقام وأعطى الصلاح أهمية تفوق الصدقة، وجاء لفظة تدل على قصر المدة والإكثار من الصدقة فجمعت معنيين مناسبة للمقام، كل ذلك بأوجز عبارة وأبلغها والله أعلم.

---

[1] الكشاف 3/235 [2] روح المعاني 28/117 [3] تفسير البيضاوي 738 [4] الكشاف 3/235

[5] روح المعاني 28/117[6] البحر المحيط 8/274[7] انظر معاني النحو 2/619 وما بعدها.

[8] البحر المحيط 8/275، وانظر الكشاف 3/236 فتح القدير 5/227 [9] معاني النحو 3/259 .

# لمسات بيانية في سورة الإنسان

**قوله : ( هَـلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَـانِ حِينٌ مِّنَ الـدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً {1} )**

لو نظرنا في سـياق السـورة نجد أن آيـات السـورة تـذكر الإنسـان قبل وجـوده وتـذكره وهو نطفة أمشـاج وتـذكره فيما بعد كإنسـان مكلّف وتـذكره بعد خروجه من الـدنيا إلى النعيم والمُلك الكبـير أو الأغلال والسعير، فالسورة كلها تذكّره في كل مراحل الإنسان فهي بحق سورة الإنسان ولذا ناسب تسميتها سورة الإنسان.

والسـورة تبـدأ بقوله تعـالى (هل أتى) .إن المفسـرين وأهل اللغة عموماً يقولـون هل هنا معناها (قـد) بمعـنى (قد أتى) لكن لا يُقصد بها الإخبـــار وإنما (قـــد) مســـبوقة باســـتفهام بمعـــنى (أقد أتى) فالإســـتفهام قـــائم والقصد منه التقرير وليس الإســـتفهام حقيقـــة. فالإســـتفهام حقيقة هو أن يســـأل الإنســـان (هل أتى) لا أن يُخـــبر الإنســـان (قد أتى) كما أننا لا نقــول لشــخص قد أنعمت عليك لكن تقول هل أنعمت عليه ليأتي الجـواب منه بنعم. فالله تعـالى يسـأل هل أتى على الإنسان فيجيب الإنسان نعم فجواب السؤال لكل من يسـأل هو نعم إذن من الـذي خلق الإنسـان بعد أن كـان عـدماً؟ إذا كان أتى على الإنسـان حين من الـدهر لم يكن شـيئاً مـذكورا فمن الذي خلقه؟ فالجواب (إنا خلقنا الإنسان) أياً كـان هـذا الإنسـان لم يكن شيئاً مذكوراً.

الآن نسأل من المقصود بهذا الإنسان الذي ذكـره تعـالى في مطلع السورة؟ هنا اختلف المفسرون فقسم قال أن المقصـود هو آدم  لم يكن شـيئاً مـذكوراً عنـدما خلقه الله تعـالى من الطين إلى قبل نفخ الـروح فيه كـان شـيئاً ولم يكن مـذكورا، وقسم آخر يقـول هو الإنسان بـدليل قوله تعـالى (لقد خلقنا الإنسـان من نطفة أمشـاج) يشـــمل ذرية آدم  وليس آدم لأن آدم من تـــراب فكل واحد من البشر كان شيئاً في الرحم لكنه لم يكن مذكورا. لكن الذي يــترجح والله أعلم أن الإنســـان في الآية يشـــمل آدم  ويشـــمل ذريته أي

جنس الإنسان عموماً. ويأتي سؤال هنا في الحقيقة ما المقصود بـــ (لم يكن شيئاً مذكورا)؟ هل المقصود أنه لم يكن شيئاً أصلاً كقوله تعــالى في ســورة مــريم(ولقد خلقتك من قبل ولم تك شــيئا) في خطابه لزكريا  أو قوله تعـالى (أولا يـذكر الإنســان أنا خلقنــاه من قبل ولم يك شيئا) أو المقصود أنه خلقه أي كان شـيئاً لكنه لم يكن مذكورا؟ **فما دلالة كلمة (مذكورا) هنا؟ وهل هي منفية أو مثبتة؟** مثل هـذا التعبـير في اللغة يحتمل معنـيين وهـذا من بـاب التوسع في المعـنى، فهو يحتمل نفي القيد أصـلاً (لم يكن شـيئاً) لا مذكوراً ولا غيره كما في قوله تعالى (لا يسألون إلحافـا( (يحسـبهم الجاهل أغنيـاء من التعفـف) بمعـنى أنهم لا يسـألون لا ملحفين ولا غير ملحفين فيتعففون ولا يسألون الناس. وكذلك يحتمل نفي القيد فقط بمعـنى كـان شـيئاً لكنه لم يكن مـذكورا كما في قوله تعـالى (وما خلقنا الســـموات والأرض وما بينهما لاعـــبين) لم ينفي خلق السموات والأرض لكنه نفى اللعب. وعليه فإن قوله تعالى (لم يكن شيئاً مذكورا) تحتمل أنه أتى على الإنسـان حين من الـدهر لم يكن شيئاً أصلاً مذكوراً أو غير مذكور وتحتمل أن يكون شـيئاً لكنه غــير مذكور.

يُبنى على هذا السؤال سؤال آخر: إذا كان المُراد المعنى الأول (أي النفي أصلاً) أي العموم فلِمَ ذكر كلمة مذكور ولم يقل كما جاء في سورة مريم (ولم تك شيئا) بدون ذكر كلمة مذكور؟ هناك أكـثر من سـبب لـذكر كلمة (مـذكور) أولاً هي إشـارة إلى تطـور على جميع مراحل الإنسان فقد خلق الإنسان من لا شيء وكان شيئاً ولم يكن مـذكورا ثم نطفة أمشـاج ولو لم يقل مـذكورا لأفـاد أنه قفز فـوق المرحلة الوسطى والسورة كما أسـلفنا تتحـدث عن تطـور مراحل الإنســان وجميع أطــواره قبل وجــوده ووجــوده وهو غــير مــذكور ووجوده وهو مذكور والنطفة وغيرهـا. إذن لمـاذا لم يسـتخدم كلمة مذكورا في سورة مريم؟ عدم ذكرها في سورة مريم هو المناسب لأن الآية في السورة خطاب لزكريا  عندما دعا ربه ليهب له غلاماً فقـال تعـالى (إنا نبشـرك بغلام اسـمه يحـيى) فيتعجب زكريا (أنّى يكـون لي غلام) فقـال تعـالى (ولقد خلقتك من قبل ولم تك شـيئا) بمعـنى أن الله تعـالى خلقه ولم يكن شـيئاً أصـلاً ولو قـال شـيئاً مذكورا لا تظهر قدرة الله تعالى لأنها ستفيد أنه كان شــيئاً لكنه لم يكن مذكورا. فالخلق من أبوين أيسر عند الله من الخلق من العدم لكن الله تعالى يريد أن يُظهر أنه خلق زكريا ولم يكن شيئاً مذكوراً أي خلقه من العدم وهذا أصعب من الخلق من أبوين وكله عند الله

تعـالى سـهل لكننا نتحـدث من منطق البشـر. والعمـوم يـدلُ على القدرة الأكبر ولو قال في آية سورة مريم (شيئاً مذكورا) لم تـؤدي المعنى المطلوب في الآية. وهذا أدلُ على القدرة، كـذلك في قوله تعالى (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شـيئا) لم يـأت بكلمة مذكورا هنا أيضاً لأن الخطـاب في الآية للـذين أنكـروا البعث فهم يستبعدون أن يعيدهم الله بعد موتهم فيخـبرهم الله تعـالى أن الإعادة أيسر من الإبتداء بالخلق من عدم ونفي الشيء هو أبلغ من الذكر.

ومن الملاحظ أيضاً في هذه الآية استخدام فعل أتى بدل فعل جـاء والسبب أن القرآن يسـتعمل أتى فيما هو أيسر أما جـاء فيسـتعمل فيما هو أشـقّ وأصـعب. وهنا قـال تعـالى (هل أتى على الإنسـان ) فالإنسـان ليس فيه مشـقة أو ثقل على إتيانه في مثل هـذه الحالة استعمل أتى دون جاء.

وكـذلك قـدّم الجـار والمجـرور (على الإنسـان) على الفاعل (حين) والأصل أو يتقدم الفاعل على الجار والمجـرور لكن الكلام في الآية هو على الإنسان وليس على الدهر فالدهر يمر والكلام في الإنسان فهو أهم من الدهر في السياق الذي وردت فيه الآية فاقتضى تأخير الفاعل وتقديم الجار والمجرور.

**ِ◌- قوله ( إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَـانَ مِن نُّطْفَـةٍ أَمْشَـاجٍ نَّبْتَلِيـهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ){2}**

بعد أن أثار تعـالى السـؤال في الآية الأولى (هل أتى على الإنسـان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا) فـإن السـامع سـيقول قطعـاً نعم أتى عليه هـذا الحين، فيُطـرح سـؤال آخر إذن: من خلق هـذا الإنسـان وأوجـده؟ فيجيب الله تعـالى (إنا خلقنا الإنسـان من نطفة أمشـاج) والإجابة جـاءت بضـمير التعظيم وبالتوكيد (إنّـا) ضـمير التعظيم مع التوكيد لأن هذا الأمر فيه عظمة وجلال. وقد قدّم إسم إنّ على الجملة الفعلية التي هي خبر إن. ومن جملة معاني التقديم هو القصر بمعـنى نحن وحـدنا خلقنا الإنسـان على سـبيل الحصر والقصر وقد أكد تعالى ذلك بـ (إنّ) وذكر ذلك بضـمير التعظيم إذن فهو الخالق حصراً ليس معه شريك سبحانه.

وفي نفس الـوقت قـال (نبتّلـه) بضـمير التعظيم بـدليل أن الخـالق والمبتلي جهة واحدة وهو الله تعالى لأنه أحياناً قد يكون الإبتلاء من إنسان على إنسان وهذا يـدل على عظمة الأمر الـذي يبتلي بـه. ثم قـال (فجعلنـاه) وهـذا الفعل منسـوب إلى الله تعـالى أيضـاً وهو

سبحانه الذي تفضّل على الإنسان بذلك فخلقه وأنشأه وهو الذي اختبره وذكر الوسائل التي يصحّ معها الإختبار.

**الإنسان:** قال تعالى (إنا خلقنا الإنسان) وهنا نسأل من هو الإنسان الذي ورد ذكره في الآية؟ في الآية الأولى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا) اختلف في مدلول كلمة الإنسان أهو آدم  أم ذريته؟ أما في هذه الآية فالمقصود قطعاً هم ذرية آدم لأنه تعالى ذكر أنه خلقه من نطفة أمشاج وهذا لا يكون لآدم الذي خلقه من تراب. المرجّح في الآية الأولى أن المقصود بالإنسان المذكور في الآية هو آدم  وفي الآية الثانية ذرية آدم  فذكر الإنسان الأول ومن بعده وهذا يدل على القدرة وعلى الإيجاد والإستمرار ولذلك لم يذكر الضمير في الآية الثانية التي تدل على الإنسان فلم يقل مثلاً إنا خلقناه من نطفة أمشاج باستعمال الضمير بل قال تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) وهذا يدل على أن المقصود قطعاً ذرية آدم. وهذا كله يرجّح أن الإنسان في الآية الأولى يقصد بها آدم  والإنسان في الآية الثانية يقصد بها ذرية آدم .

**نطفة أمشاج:** الأمشاج لغة هي الأخلاط وكلمة أمشاج تستعمل مفرداً وجمعاً (مشيج ومشج والجمع أمشاج، مشيج تجمع على أمشاج مثل شريف وأشراف، ومشج تجمع على أمشاج مثل بطل وأبطال ومشج ومزج متشابهتان في المبنى والمعنى)، وفي اللغة العربية كلمات عديدة تستعمل مفرداً وجمعاً مثل كلمة بشر وقد استعملت في القرآن الكريم للمفرد (أبشراً منا واحداً نتبعه) والجمع (ما أنتم إلا بشر مثلنا) سورة يس، وكذلك كلمة الفلك استعملت في القرآن للمفرد (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون) سورة يس، وللجمع (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) سورة يونس، وكذلك كلمة طفل تستعمل للمفرد والجمع وقد يستعمل جمعها أيضاً لأنها تجمع على أطفال (والطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) و (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم). والأمشاج هي الأخلاط وكما قلنا تستعمل للمفرد والجمع ونسأل لماذا اختار الجمع على المفرد في هذه الآية؟ كان من الممكن القول (نطفة مشيجة أو مشج) لكن اختيار الجمع لكثرة ما فيها من أخلاط وامتزاجات وهذا موجود في اللغة فيقال : بلد سبسب (أي قفر) وبلد سباسب، يمكن القول بلد سباسب إذا كثر فيه القفر كأن كل جزء من البلد هو سبسب والسبسب هي الأرض الواسعة الصحراء. كذلك نقول أرض قفر وأرض قفار والجمع تعني

أن كـأن كل جـزء من الأرض قفر على حـدة، ولهـذا قـال تعـالى إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج من كثرة ما فيها من أخلاط.
**نبتليه:** بمعـنى نختـبره ونمتحنـه. الفعل المجـرّد بلى يبلو أما فعل ابتلى يبتلي ففيه مبالغة أكـثر من فعل بلى مثل صـبر واصـطبر لأن صيغة افتعل فيها مبالغة مثل كسب واكتسب. إذن قال تعالى نبتليه وليس نبلوه دلالة على المبالغة في الإختبـار. وقد اسـتعمل القـرآن الكـريم نبلو وابتلى في مواضع عديـدة فبعد غـزوة أحد قـال تعـالى (وليبتلي الله ما في صـــدروكم) ســورة آل عمــران ثم بعد غـــزوة الأحزاب قال تعالى (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلـزالاً شـديدا) سـورة الأحـزاب. والقـول أن الزيـادة في المبـنى تفيد الزيـادة في المعـنى غـير مضـطرد لأنه أحيانـاً يكـون الأقل في المبـنى أبلغ في المعنى مثل فعل حذر (صيغة مبالغة) وحاذر (إسم فاعل)، حذر أبلغ من حاذر وفيها صـيغة مبالغة (وهـذه الأمـور تُعـرف في أبنية الفعل وفي معانيه في علم الصرف ودلالة الصيغ مثل صــيغة فعّل وافتعل وتفاعل واستفعل وغيرها)
**ونسأل الآن لماذا جاءت آية سورة الملك باسـتخدام فعل بلى يبلو في قوله تعـالى (الَّذِي خَلَـقَ الْمَـوْتَ وَالْحَيَـاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَـنُ عَمَلاً وَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْغَفُـورُ {2}) ؟ ولمـاذا جـاء التخفيف في البلاء ولم يسـتعمل ليبتليكم؟ وما الفرق بينهما؟**
لو قرأنا آية سورة الملك (**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُـوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** {2}) لوجدنا أنها تنتهي بقوله تعالى وهو العزيز الغفور، والمغفرة تقتضي التخفيف أولاً لأن الإبتلاء والشدّة لا تتناسبان مع الغفـور الـتي هي أصـلاً صـفة مبالغة أما صــيغة ليبلــوكم فهي أنسب مع المغفــرة والتخفيف جــزء من المغفرة. وهناك أمر آخر: نلاحظ في سورة الإنسان ذكر تعـالى ما يصـحّ معه الإبتلاء (فجعلنـاه سـميعاً بصـيرا) (إنا هـديناه السـبيل) السـمع والبصر والإختيـار والعقل وأطـال في ذلك فلما أطـال في ذكر ما تردد أطـال في صـيغة الإبتلاء (نبتليـه) أما في سـورة الملك فلم يذكر أيـاً من وسـائل الإبتلاء إنما ذكر خلق السـموات مباشـرة في الآية التي بعدها فاقتضى استعمال الصيغة المخففة (ليبلوكم).
أمر آخر أنه تعالى ذكر في سورة الإنسان شـيئاً من ابتلاء الأعمـال ما لم يـذكره في سـورة الملـك. فـذكر في سـورة الملك آية في المؤمـنين (**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَـوْنَ رَبَّهُم بِـالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِـرَةٌ وَأَجْـرٌ كَبِـيرٌ {12}) وآية في الكـافرين (وَلِلَّذِينَ كَفَـرُوا**

**بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ {6}) لكن في سورة الإنسان ذكر الإبتلاء في الأعمال (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {7} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً {8}) (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً {24} وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً {25} وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً** {26}) وأفاض في ذكر النعيم في الآخرة مما لم يذكره في الملك (**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً** {5}) فذكر ما يستدعي الإبتلاء وذكر الكافرين (**إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً** {27}) وذكر الظالمين (**يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** {31}) والظلم من نتائج الأعمال. إذن السياق والوسائل وما ذكر من الأعمال جعل ذكر الإبتلاء أنسب من كل ناحية من حيث الوسائل وجو السورة والسياق والأعمال هذا من حيث الصيغة.

يأتي سؤال نحوي هنا : قال تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا) **فما هو وضع نبتليه من الناحية النحوية في الآية؟** نبتليه جملة فعلية تحتمل معنيين:

الأول : التعليل نبتليه بمعنى لنبتليه كما قال في سورة الملك لنبلوكم، الجملة إسمها استئنافية تفيد التعليل مثل: جئت أشتري داراً أو جئت أتعلم.

والإحتمال الثاني : أن تكون حال مقدرة من الفاعل. والحال مقسمة إلى ثلاثة أقسام من حيث الدلالة على الزمن:

1. **حال مقارنة:** مثل جاء ماشياً أو شربت الماء بارداً وهذه أكثر أنواع الحال.
2. **حال مقدّرة:** تقع في الإستقبال يعني الفعل في زمن والحال في زمن آخر في المستقبل كما جاء في قوله تعالى (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) وهناك فرق بين الزمن عند تبشير إبراهيم بإسحق ولم يكن عندها موجوداً حتى في رحم أمه، أو كقوله تعالى (لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصرين) والحلق والتقصير هي آخر الشعائر بعد الطواف والسعي. إذن الفعل يأتي في زمن والحال تأتي في زمن آخر في المستقبل.
3. **حال محكية** قد يكون زمنها ماضي.

نعود للحـال المقـدرة ودلالتها في آية سـورة الإنسـان: نبتليه جملة فعلية حال مقدرة من الفاعل فقوله تعـالى (إنا خلقنا الإنسـان من نطفة أمشـاج نبتليـه) بمعـنى مبتلين له أي الله تعـالى هو المبتلي، ومحتمل أن تكون حال مقدرة من المفعول بمعـنى خلقنا الإنسـان مُبتلى مثل قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبـد) وأصـلاً الحـال يمكن أن تفيد عِلّة مثل (جئت طامعـاً في رضـاك) و (جئت مبتغيـاً عونك) هي حال وتظهر كأنها علة. إذن استخدام كلمة (نبتليه) أفـاد معـاني عـدة وهـذا من بـاب التوسع في المعـنى لأنها احتملت أن تكون استئنافية للتعليل، أو حال مقدرة من الفاعل أو حال مقــدرة من المفعـول. ولو جـاء الفعل بـاللام (لنبتليـه) لما أفـاد إلا معـنى التعليل فقط وصيغة (نبتليه) أفادت عدة معاني وكلها مقصودة في الآية.

**ونسـأل لمـاذا لم تسـتخدم هـذه الصـيغة في آية سـورة الملك لتفيد التوسع أيضـاً؟** لأن التعبــير في ســورة الملك لا يحتمل أصلاً لأنه تعالى ذكر في سورة الملك خلق المـوت والحيـاة ولم يذكر الإنسان أصلاً فكيف تأتي الحال وهو لم يـذكر الإنسـان ؟ إذن لا يصح التعبير أما في سورة الإنسان فذكر الإنسـان لـذا جعل كل تعبير في مكانه الذي يؤدي المعنى المطلوب بأوسع صورة.

من الملاحظ في آية سورة الإنسان أن الله تعـالى ذكر كل ما يصح معه الإبتلاء ومستلزمات الإبتلاء: السـمع (سـميعاً) والبصر (بصـيرا) والعقل (إنا هديناه السـبيل) والإختيـار (إما شـاكراً وإما كفـورا) ولا يمكن للإنسان أن يكون شـاكراً أو كفـرواً إلا إذا كـان عـاقلاً، وذكر مادة الإختيار أي السبيل الـذي هـداه الله له وذكر موقف المكلّفين من الإختيــار فقسم منهم شــاكر وقسم كفــور وذكر عاقبة الإبتلاء (الجنة والســعير) وذكر المبتلي (وهو الله تعــالى) وذكر المبتلى (وهو الإنسان) فلم يدع شيئاً يخص الإبتلاء إلا وذكره في هـذه الآية والإبتلاء لا يصح بدون هذه الأدوات كلها.

**فجعلناه سميعاً بصيرا:** قدّم تعالى السمع على البصر في هـذه الآية كما هو شأن الكثير من آيـات القـرآن في تقـديم السـمع على البصر لأن الســمع أهم في بــاب التكليف والإختبــار من البصر لأن فاقد الســمع من الصــعب تكليفه بخلاف فاقد البصر الــذي يكمن تبليغه وتكليفه بشـكل أسـهل. والأمثلة في القـرآن الكـريم عديـدة عن تقديم السمع على البصر كقوله تعـالى (وهو السـميع البصـير) (إنني معكما أسمع وأرى) (إن السمع والبصر والفؤاد).

وفي هذه الآية من سورة الإنسان قدّم تعالى السمع والبصر على الهداية فبعد أن قال تعالى (فجعلناه سميعاً بصيرا) قال (وهديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا)لأن السمع والبصر يوصلان المعلومات إلى العقل وبدونهما تتعسّر الهداية والأحكام في الغالب تأتي بما يقدمه السمع والبصر فهما إذن أي السمع والبصر سبيل للوصول إلى الهداية وسبيل العقل لفهم المعلومات. ومن الملاحظ أنه تعالى لم يفصل بين السمع والبصر بالواو كأن يقول (سميعاً وبصيرا) أنما جاءت الصفتان متصلتان (سميعاً بصيرا) لئلا يُفهم أنه تعالى خلق الإنسان على نوعين منهم من يسمع ومنهم من يُبصر.

وهنالك أمر آخر في هذه الآية أيضاً وهو لماذا استخدم صيغة المبالغة (سميعاً) ولم يستخدم (سمّاع) مثلاً؟

في القرآن الكريم يستعمل صيغة المبالغة (سميع) كما في قوله (وهو السميع البصير) (السميع العليم) ويستعمل صيغة المبالغة (سمّاع) كما في قوله في سورة المائدة (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {41} سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** {42}) وفي سورة التوبة (**لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** {47})

والفرق في استعمال الصيغتين في القرآن هو أن صيغة سميع استعملت في القرآن كوصف لله تعالى(وهو السميع البصير) ووصف للإنسان (سميعاً بصيرا) وهي في مقام المدح، أما صيغة سمّاع فلم تستعمل في القرآن إلا كوصف للإنسان وفي مقام الذمّ فقط. إذن صيغة المبالغة سميع تستعمل في مقام المدح والإمتنان والتفضّل بالنعمة ففي آية سورة الإنسان وعلى ما جرى عليه في القرآن الثناء هنا بالإمتنان على الإنسان (سميعاً بصيرا) لذا اقتضى استخدام الصيغة (سميع) وليس (سمّاع).

- **قوله ( إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ){3}**

نلاحظ أنه كما قـال تعـالى في الآية السـابقة (إنّا خلقنـا) بالتوكيد وضـمير التعظيم قـال في هـذه الآية أيضـاً (إنا هـديناه) بالتوكيد وضمير التعظيم أي بإسناد الفعل إلى نفسه تعـالى لأن الهداية أمر مهم وهي الغاية الـتي خُلق الإنسـان وقد تفـوق خلق الإنسـان. والخلق لِعِلّة كما قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبـدون) فـإذا كـان الخلق مؤكد فلا بد من أن تكـون الهداية مؤكـدة وكما أسـند تعـالى الخلق إلى نفسه في آية سـورة الإنسـان (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) أسـند الهداية إلى نفسه أيضـاً في قوله (إنا هـديناه السـبيل) ومن ناحية أخـرى فـإن المنهج الصـحيح لا يستطيعه أحد إلا الله تعالى ولا يُنسب إلا إلى الله تعـالى ولو تُـرِك الناس إلى عقولهم لأصبحوا شيعاً وأحزاباً كلٌ يختـار ما يشـاء، إذن الطريق الصـحيح للهداية لا يسـتطيعه إلا الله تعـالى لأنه هو الـذي خلق وهو أعلم بمصالح العباد.

(إنا هـديناه السـبيل) عـدّى الفعل بنفسه وفعل هـدى قد يتعـدى بنفسه كقوله (إهدنا الصراط المسـتقيم) وقد يتعـدى بـ (إلى) كما في قوله تعالى (يهدي إلى الحـق) بمعـنى يدلّه ويرشـده إليـه، وقد يتعـدّى بـاللام كما في قوله (وإنك لتهـدي إلى صـراط مسـتقيم) و قوله (إن هذا القرآن يهـدي للـتي هي أقـوم) وقد تكلمنا باستفاضة عن فعل هدى في شرح سورة الفاتحة . وفي هذه الآية قال تعالى (إنا هديناه السبيل) لأن التعدية بالفعل بإلى تقـال لمن لم يكن في الطريق فتدله وترشـده إليه فـإذا وصل إلى الطريق يحتـاج لمن يعرّفه به وبمـاذا في الطريق فحينها يتعـدى الفعل بـاللام أما تعدية الفعل بـدون حـرف جر فتقـال لمن كـان في الطريق فتـبين له مراحل في الطريق ومن لم يكن في الطريق أو كـان بعيـداً عنها فترشده إليها وتدله إليها. وقال تعالى مخاطبـاً رسـوله  (ويهـديك صـراطاً مسـتقيما) والرسـول  سـلك الطريق وقـال تعـالى على لسان الرسل (وقد هدانا سبلنا) وهم أيضاً كانوا في الطريق. وقال تعالى (فاتبعني أهـدك صـراطاً سـويا) في خطـاب إبـراهيم  لأبيه الذي لم يكن في الطريق وكـذلك قـال تعـالى مخاطبـاً المنـافقين (ولهـديناهم صـراطاً مسـتقيما). إذن عـدم تعدية الفعل في الآية بحرف جر جمعت المعنـيين وبـذلك أتمّ تعـالى نعمته على الإنسـان بأن يدلّه ويرشده إلى الطريق لما كان بعيداً عنها ويـبيّن له معـالم ومراحل الطريق عندما يصل إليها وقـامت الحجة على الجميع إذن فالله تعالى يستحق الشكر على ذلك.

إما شـاكراً وإما كفـورا: شـاكراً صـيغة إسم فاعل وكفـورا صـيغة مبالغة لم يجعلهما على نمط واحد لم يقل إما شاكراً وإما كافراً أو إما شـكوراً وإما كفـورا. لأن الشـكور قليل مصـداقاً لقوله تعـالى (وقليل من عبادي الشكور) ول قال تعالى شكورا لكـان أخـرج من بينهم الشاكرين وهم الأكثر فالآية حينها لن تشـكل مجموعة الخلق الشـاكرين. وكـذلك لم يقل كـافراً (اسم فاعـل) لأن الكـافر لم يسـتعملها القـرآن الكـريم مقابل الشـاكر وإنما بمقابل المـؤمن (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) إذن لا تصح المقابلة (شاكرا) و(كافرا) لأن القـرآن لم يسـتعملها هكـذا. صـيغة كفـور يسـتعملها القـرآن لأمـرين : للكـافر المبـالغ في الكفر (إن الإنسـان لكفـور مـبين) (وكذلك نجزي كل كفـور) ولجاحد النعمة غـير الشـاكر (إما شـاكراً وإما كفورا) (وكـان الشـيطان لربه كفـورا). وهنا يـأتي سـؤال: كي تكون كفروا بمعـنى غـير شـاكر في قوله تعـالى (وكـان الشـيطان لربه كفـورا)؟ يـدل على ذلك اللام في (لربـه) لأن الكفر المقابل للإيمان يُعدّى بالباء لا باللام كما في قوله تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسوله) (وكانوا بشركائهم كافرين) فلا نقـول يكفر لله وإنما يكفر بالله. وكذلك الكفر المقابل للشـكر لا يُعـدّى بـاللام فكفـران النعمة يتعدى بنفسه (فاشكروا لي ولا تكفـرون)بمعـنى كفر النعمة أو كفر صـاحب النعمة (وإن كفـرتم) إذن ما هي اللام في (لربـه)؟ اللام هنا هي لام التقوية إذا جئنا بصـــــيغة المبالغة أو اسم الفاعل هذا الفعل الذي يتعـدى بنفسه يمكن إضـافة لام التقوية له كما في قوله تعالى (وهو الحق مصدقاً لما معه) فعل صـدّق يتعـدى بنفسه واللام للتقوية وكـذلك قوله تعـالى )فعّـال لما يريـد( أي فعّـال ما يريد. إذا تأخر الفعل أو كان مصدراً أو صيغة مبالغة قد يُؤتى باللام المقوّية كما جاء في قوله تعالى (وكان الشيطان لربه كفورا).

أمر آخر أنه تعالى اختار الشكر على الإيمـان في آيـات أخـرى منها قوله تعالى في سورة التغابن (**هُـوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَـافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُـــونَ بَصِـــيرٌ** {2}) أما في آية سـورة الإنسـان اختـار الشـكر مع كفـران النعمة لأن نعمة الخلق والهداية لا تقتضي الإيمـان فقط وإنما تقتضي الشـكر لأنه لما أنعم تعالى على الإنسان بالسـمع والبصر والعقل والإختيـار والهداية كل هذه نعم تقتضي الشكر فهو الإيمـان وزيـادة في الآية السـابقة في سورة التغابن ذكر تعالى نعمة الخلق فقط أما في سـورة الإنسـان ذكر الخلق والهداية فكما زاد وتفضّل بأن جعل الخلق وزيادة ينبغي أن تكون الزيادة أيضاً فذكر الشكر وزيادة.

(إنا خلقنا) لم يكتف بذلك بل قال سميعاً بصيرا وجعل له عقلاً واختياراً لذا يقتضي الإيمان وزيادة ثم النعم مثل قوله (هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) فالنعمة تقتضي الشكر وليس مجرد الإيمان ومسألة الشكر والإيمان مناسب لجوّ السورة فقد جاء في سورة الإنسان قوله تعالى (**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً** {9}) وقوله تعالى (**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً** {22}) فذكر الشكر مناسب من جهة السياق ومن ناحية جو السورة الكلي . وهناك أمر آخر حسّن اختيار الشكر (إنا هديناه السبيل) والسبيل هي الطريق المسلوكة الميسّرة السهلة وهناك فرق بينها وبين النجد (وهديناه النجدين) فربنا هدانا السبيل الميسرة للهداية وكونها ميسرة يستدعي الشكر ولما قال (وهديناه النجدين) أتبعها بقوله تعالى (**ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** {17}) التواصي بالصبر لأن سلوك النجدين يحتاج لمجاهدة وصبر أما هداية السبيل الميسرة فتحتاج إلى شكر. إضافة إلى ما سبق من أين ما نظرنا فالسياق يستدعي الشكر. وقد يرد السؤال: لماذا قدّم الشاكر على الكفور؟ قدّم الشكر لأنه قدّم ما يستدعي الشكر (النعم التي ذكرها) ثم أنه في السورة أفاض في ذكر جزاء الشاكرين في سبع عشرة آية من الآية (**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً** {5}) إلى قوله (**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً** {22}) في نهاية الآية بينما اختصر في عقاب الكافرين ولم يذكرهم إلا في آية واحدة هي (**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً** {4}) إذن الإفاضة في ذكر جزاء الجنة وذكر الشاكرين اقتضى تقديم الشاكرين على الكافرين، وهناك أمر آخر أنه تعالى قدّم الرحمة على العذاب في آخر السورة أيضاً (**يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** {31}) لذا بدأ بالشاكرين (**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** {3}) فأول السورة وآخرها على نفس النسق. ثم إن هذا التقديم (الشاكر على الكفور) هو نظير ما تقدم في القرآن فحيثما اجتمع الشكر والكفر قدم الشكر على الكفر (ليبلوني أأشكر أم أكفر) (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر) (واشكروا لي ولا تكفرون) إلا في آية واحدة فقط في سورة الزمر (**إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم**

**مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور** {7}) والسبب في ذلك أنه تقدم ذكر الكفر والكافرين في سورة الزمر (**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** {3}) فناسب سياق السورة تقديم الكفر على الشكر وكذلك في آخر السورة ذكر عقاب الكافرين أولاً (**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ** {71})ـ ثم جزاء الشاكرين (**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** {73}). وقد قال الرازي إن القرآن كله كالسورة الواحدة بل كالآية الواحدة بل الكلمة الواحدة.

- قوله ( **إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً ) {4}**

نلاحظ في هذه الآية أنه تعالى أكّد الإعتاد والعذاب (إنا أعتدنا) كما أكد الخلق والهداية سابقاً (إنا خلقنا، إنا هديناه). وهنا يأتي **سؤال وهو ما الفرق بين اعتدنا وأعددنا؟** القرآن الكريم يستعمل أعتدنا وأعددنا فلماذا استخدم هنا أعتدنا؟ لأن أعتد فيها حضور وقرب والعتيد هو الحاضر (هذا ما لدي عتيد ) أي حاضر وقوله (وأعتدت لهن متكئاً بمعنى حضّرت أما الإعداد فهو التهيئة وليس بالضرورة الحضور كما في قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم) بمعنى هيّأوا وليس حضروا وقوله (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدّة) أما في سورة النساء فقال تعالى (**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** {18}) لأنهم ماتوا فأصبح الحال حاضراً وليس مهيأ فقط، وكذلك ما ورد في سورة الفرقان (**وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً** {37}) قوم نوح أغرقوا وماتوا أصلاً فجاءت أعتدنا. أما في سورة النساء (**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ**

**وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً** {93}) هؤلاء لا يزالون أحياء وليسوا أمواتاً فجاءت أعد بمعنى هيّأ. ومما سبق نقول أنه في آية سورة الإنسان بما أن جزاء أهل الجنة بالحضور بصيغة الوقوع لا بصيغة المستقبل كذلك يقتضي أن يكون عقاب الكافرين حاضراً كما أن جزاء المؤمنين حاضر فقال تعالى في أهل الجنة (يشربون من كأس، ولقّاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا) وجاء عقاب الكافرين حاضراً بصيغة الوقوع فقال تعالى (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا).
أما في آخر السورة فجاءت الآية (**يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** {31}) باستخدام (أعد) لأن الكلام في الآية عن أهل الدنيا وليس عن الآخرة.
إضافة إلى ذلك لم يرد في القرآن الكريم كلمة أعددنا مطلقاً أي أعدّ واستعمال الضمير (نا) وإنما يستعمل أعتدنا وهي خصيصة من خصائص التعبير.
تكلّمنا سابقاً عن الفرق بين أعتد وأعدّ والآية التي قبل هذه الآية (إما شاكراً وإما كفورا) وفي هذه الآية قال تعالى (للكافرين) وهي ليست جمع كفور وإنما هي جمع كافر وكان المضمون أن يجعل الإعتاد لجمع الكفر وهي (كُفُر) على وزن فعول فُعُل مثل صدوق صُدُق ورسول رُسُل وهذا هو القياس. إذن لماذا قال (إما شاكراً وإنا كفورا) ثم قال (إنا أعتدنا للكافرين) ولم يقل (أعتدنا للكُفُر)؟ لو قال أعتدنا للكُفُر لكان يذهب الظنّ أن العذاب يتناول المبالغ في الكفر وليس لغير المبالغ أي كأن الكافر لا يناله العذاب، لكن **لمّا ذكر عقاب الكافرين فمن باب أولى أن يكون عقاب الكُفُور أكبر بمعنى أن هذا عذاب من دونه وهو الكافرين فكيف يكون عذاب الكُفُور**؟ لا بد أنه أكبر وأشدّ.
سلاسل وأغلالاً وسعيرا: هنا العذاب بالسلاسل والأغلال والسعير فلماذا ذكر هذا النوع من العذاب؟ السعير هي جهنم للكافر عموماً لماذا ذكر السلاسل والأغلال؟ ذكر تعالى أنه أطلق الحرية للإنسان (إما شاكراً وإما كفورا) والإختيار في الدنيا وهداه السبيل فلم يسلكها ولهذا قيّده الله تعالى في الآخرة لأنه ليس له أن يختار في الآخرة فكما أساء الإختيار في الدنيا قيّده بالسلاسل (والحريى عكس القيد) والسلاسل تُقيّد حركة الأرجل والأغلال تقيّد حركة الأعناق والأيدي كما في قوله تعالى في سورة المائدة آية 64 (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ) قيّد

حركته على كل حــال بمقابل الحرية المطلقة الــتي كــانت له في الدنيا.
- قوله ( **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {5} عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ){6}
ورد في القــرآن جمع الأبــرار والــبررة ونلاحظ أن القــرآن الكــريم يسـتعمل الأبـرار للنـاس المكلّفين ويسـتعمل الـبررة للملائكة ولم يسـتعملها للنـاس أبـداً (**بِأَيْـدِي سَـفَرَةٍ {15} كِـرَامٍ بَـرَرَةٍ** {16}عبس) لماذا؟ الأبرار هي من الصيغ المستخدمة لجمــوع القّلة والناس قليل منهم الأبرار (قلة نسبية) مصـداقاً لقوله تعـالى (**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** {103}يوسـف) فاسـتعمل القّلة النسبية بينما الملائكة كلهم أبرار فاستعمل معهم الجمع الذي يدل على الكثرة (بررة).
ثم قال تعالى (يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) والكأس هي الزجاجة التي فيها شـراب فـإذا كـانت فارغة تُسـمّى زجاجـة. وفي الآية ذكر تعالى صنفين من هؤلاء (الأبرار) الذين يشربون من كأس ممزوجة بالكافور وقسم آخر هم (عباد الله) في قوله تعالى (عينـاً يشـرب بها عبـاد الله) والمقصـود بعبـاد الله هنا المقرّبـون حسب بعض المفسرين وكلمة عبد الله هي أرفع وسـام يصف الله تعـالى به عبده فلمّا وصف تعالى رسوله ﷺ في أعلى مقام قال (**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْـجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** {1} الإسـراء) وقـال في نـوح ﷺ (**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَـعَ نُــوحٍ إِنَّهُ كَـانَ عَبْــداً شَـكُوراً** {3} الإســراء) وهنــاك عبودية إختيارية وعبودية قســرية وهــذه هنا عبودية اختياريــة. إذن هنــاك نــوعين من المكلّفين وهم أولهم الأبــرار وهم يشــربون من كــأس كان مزاجها كـافورا، وثـانيهم المقرّبـون الـذين يشـربون من العين خالصة.
في قوله تعالى (يشربون من) عدّى الفعل بـ (من) وفي المقــرّبين عدّى الفعل بالباء (عيناً يشـرب بها عبـاد اللـه) وهـذا يـدل على أن جزاء المقربين أعلى من جزاء الأبرار ويقولون أن حسـنات الأبـرار سيئات المقرّبين، فكيف دلّ على ذلك؟ هناك جملة أمور تدل على ما ذكرنــا: أولاً بالنســبة للأبــرار يُــؤتى بكــأس يشــربون منها أما المقرّبــون يشــربون بها وهي تفيد الإلصــاق بمعــنى أقــام بــالعين وشري بها فإذن صار التلذذ بالنظر وبالشراب، ثانياً الأبرار يشربون من كـأس ممزوجة بالكـافور وليست خالصة (يشــربون من كــأس

كــان مزاجها كــافورا) وهي تُمــزج بقــدر أعمــالهم في الــدنيا أما المقرّبون فيشربون من العين صرفة خالصة ليست ممتزجة، ثالثــاً عـدّى الفعل بالبـاء تـدل على تضـمين معـنى روي به (يشـرب بـه) بمعـنى يرتـوي به على خلاف الشـرب الـذي لا يـدل على الإرتـواء فالتعدية بالبــاء تــدل على نــزول في المكــان والشــرب الخــالص والإرتواء منها.، ورابعـاً قـال تعـالى في عبـاد الله يفجرونها تفجـيرا بمعنى يُجرونها حيث شـاءوا ويقـال في الآية أنه معهم قضـبان من ذهب في أيديهم يجرونها حيث شاءوا وهذا يــدل على أنه ليس فيها عنـاء ولكنها تتم بسـهولة. وهنـاك فـرق بين جـزاء الأبـرار وجـزاء المقرّبين.

- قوله ( **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {7} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً {8}** )

بدأ تعالى الآية بذكر الوفاء بالنـذر لأن الوفـاء بالنـذر واجب ثم جـاء بعـده ذكر الوفـاء بـالواجب فكأنه ذكر النيّة المقابلة لعمـوم العمل فكل عمل تقـترن به النية الخالصة لله فكـأن قوله تعـالى (يوفـون بالنذر) هو العمل ز(يخافون يومـاً) هو النية ، وينبغي أن تكـون النية مقابلة للعمل. وقوله تعـالى (كـان شـرّه مسـتطيرا) بمعـنى فاشـياً منتشراً ويقال عن يوم القيامة كـان شـره مسـتطيرا بمعـنى انتشر شــرّه حــتى ملأ السـموات والأرض فلا يبقى ملك مقــرّب ولا نــبي مُرسل إلا جثا على ركبتيـه. وفي اللغة اسـتطار الشـيئ أي تفشّـى الشيئ وبلغ أقصى مدى.

وبعـدها قـال تعـالى (ويطعمـون الطعـام على حبه مسـكيناً ويتيمـاً وأسيرا). وهنا يأتي السؤال **على ماذا يعود الضــمير في كلمة (حبّـه)؟** ذكر فيه أكـثر من حالة وإن كـان أظهرها على حبه يعـني على حب الطعام مع حـاجتهم إليه وهـذا من بـاب الإيثـار يطعمـون الطعـام مع أنهم محتـاجون إليه مصـداقاً لقوله تعـالى (**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُـواْ مِن شَـيْءٍ فَـإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ** {92} آل عمران)، ويحتمل أيضاً أن يعود على حب الإطعام فيعود على المصدر (الإطعام) كقوله تعــالى (**اعْدِلُواْ هُــوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**)، المائـدة آية 8) هو هنا تعـود على العـدل وهـؤلاء يطعمون الطعام بطيب نفس وبدون مَنّة ولا تكـدير ، ويحتمل أيضـاً أن يكون يعود الضمير على حب الله بمعـنى ابتغـاء وجهه كما تـذكر

الآية في نفس السورة (**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً** {9}). فالضمير إذن يعود على الطعام من باب الإيثـار وعلى الإطعـام من بـاب الإحسـان وعلى حب الله وهو من بـــاب الإخلاص. وقد قـــال قسم من المفســـرين أن أعلى هـــذه الإحتمـــالات أن يكـــون من بـــاب الإيثـــار، وهو في الحقيقة يجمع المعاني كلها. ويأتي سـؤال هنا لمـاذا ذكر الله تعـالى كلمة الطعـام (ويطعمون الطعام) ولم يقل (ويطعمون)؟ ذكر الطعام حـتى يصـحّ عـودة الضـمير عليه ولو حـذف الطعـام لما عـاد الضـمير عليه وهو أعلى الأوجه كما قلنا سـابقاً وهو الإيثـار، فـذِكر كلمة الطعـام أفـاد ثلاثة معـاني ولو حـذف لأفـاد المعـنى لكن الضـمير لن يعـود على الطعام وهو الإيثار (ويطعمون الطعام على حبه).
ثك ذكر ثلاثة أصـناف من البشر بـالترتيب التـالي (مسـكيناً ويتيمـاً وأسـيرا) فتقـديم المسـكين على اليـتيم واليـتيم على الأسـير يفيد جملة أمور:

1. **التقـــديم بحسب الرتبة وحسب الحاجة**: وتقـــديم المســـكين لأن المســـكين محتـــاج على الـــدوام وهو من المذكورين في بـاب الزكـاة واليـتيم قد لا يكـون محتاجـاً وقد يكـــون غـــني لكن المســـكين يكـــون إطعامه على الوجوب والتطوع ، أما الأسير قد يكون كـافراً والكـافر لا يدخل في باب الوجوب على أفراد المسـلمين إنما يـدخل في بـــاب الوجـــوب على الحـــاكم أو ولي الأمـــر. وبـــدأ بـالواجب (الوفـاء بالنـذر) وكـذلك بـدأ بمن هو أولى وهو المسكين أولاً ثم اليتيم ثم الأسير.
2. **التقـديم بحسب الكـثرة**: فالمسـاكين هم أكـثر من اليتـامى لأن اليتم يـزول بـالبلوغ أما المسـكين فيبقى مسـكيناً كـذلك اليتـامى أكـثر من الأسـرى لأن هـؤلاء الأسـرى لا يكونـون إلا في وقت الحـرب وهم أقل من اليتامى والمساكين وهـذا ملحظ آخر للتقـديم وهو تقـديم الأكثر ثم الأقل.
3. **وقد يكـــون للتقـــديم مســـوّغ آخر وهو بحسب القدرة على التصرف** : فالمسـكين له الأهلية الكاملة على التصـــرف أما اليـــتيم فأهليته ناقصة حـــتى يبلغ أما الأسير فلا يمكن أن يتصرف حتى يأمر فيه صاحب الأمر.

وهناك عدة أمور تسوّغ التقديم بهذه الصورة وعندما ذكر الأسرى كان مناسباً لما ذكره في عذاب الكافرين (سلاسل وأغلالاً وسعيرا) لأن الأسرى يقيّدون بالأغلال والسلاسل.
ونأتي لسؤال آخر **لماذا استعمل كلمة (ويطعمون) ولم يستعمل (ويتصدقون)؟** والجواب حتى لا يخُصّ ذلك الصدقات أو يخصّ من تجب عليهم الصدقات أو تجب لهم الصدقات وليس كل المسلمين تجب عليهم الصدقة أو تجب لهم الصدقة لكن أراد عموم فعل الخير سواء كان الفاعل غنياً أو فقيراً وساء كان المُطعَم تجب عليه أو لا ويشمل المتصدَق عليهم وغير المتصدَق عليهم . وكلمة تطعمون تدل على فعل الخير العام وهذا المعنى لم تكن لتدل عليه كلمة يتصدقون.
- قوله **( إنمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً ) {9}**
تتناول الآية الكريمة أمرين في إطعامهم الطعام وقد مرّ في الآية السابقة أنهم يطعمون الطعام مع حاجتهم إليه (على حبّه) وهذا أشهر الأوجه وأعلاها كما ذكرنا سابقاً، وأنهم مخلصون لله في إطعامهم في هذه الآية. وقوله تعالى (على حبّه) تدل على الإيثار وهنا في هذه الآية تدل على الإخلاص في قوله تعالى (لوجه الله) وهذا أعلى أنواع الإطعام أن يجتمع فيه الإيثار والإخلاص.
**قال تعالى (إنما) ولم يقل مثلاً نحن نطعمكم فلماذا؟**
إنما تفيد القصر والحصر في اللغة يعني تخصيص الإطعام لهذا الأمر (الغاية هي لوجه الله ولا يطعمون إلا لوجه الله) أي لا يبتغون شيئاً آخر وهذا هو أعلى أنواع الإخلاص. ولو قال نحن نطعمكم سيؤدي هذا إلى أمرين ويفيد أنهم يطعمون لوجه الله ولا ينفي إطعامهم لغير وجه الله بخلاف المعنى المقصود من الآية والتي هو قصر الإطعام لوجه الله تعالى فقط وهذا يفيد أن الأعمال كلها حصراً يجب أن تكون ابتغاء وجه الله تعالى.
ويقول بعض أهل اللغة أن القول (نحن نطعمكم) هي حصر بالتقديم (تقديم نحن على نطعمكم) نقول نعم ولكن هذا حصر بالفاعل وليس حصر بالفعل وهذا يُغيّر المعنى المقصود (يعني نحن لا غيرنا نطعمكم) وهذا معنى غير مطلوب في الآية ولا يصح لأن هناك غيرهم من يُطعم إما استخدام (إنما) في الآية فهي تفيد التخصيص الفعل (لا الفاعل) لوجه الله تعالى.
ثم قال تعالى في الآية (**لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً**) أي لا نريد مكافأة على الإطعام بالعمل (لأن الجزاء هو المكافأة على

العمل) ولا نريد شكراً باللسان. نلاحظ قوله تعالى (إنما نطعمكم) ولم يقل بعدها (قالوا لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أو يقولون، لكنه لم يذكر فعل القول حتى يشمل لسان الحال فهم لم يقولوا ذلك بلسانهم ولكن قالوه بلسان حالهم وقد يكون أبلغ. ومن المفسرين من يقول أنهم لم ينطقوا بهذا القول ليشمل لسان الحال ولسان النطق. وهذا من باب الإخلاص أيضاً أنهم قالوه بلسان حالهم.
ثم أن الآية بقوله تعالى (لا نريد منكم) ولم يستخدم مثلاً (لا نريد جزاء ولا شكورا) وهذا لتدلّ على أنهم يريدون الجزاء والشكر من رب العالمين فهم لم ينفوا إرادة الجزاء والشكر وإنما أرادوه من رب العالمين فقط لا من الناس الذين يطعمونهم، ولا يصح أصلاً أن نقول لا نريد جزاء ولا شكورا بشكل مطلق.
ثم نلاحظ أنه قدّم الجزاء على الشكر وهذا لأن الجزاء بالفعل أهم من الشكر باللسان فالناس في الدنيا يهمهم الجزاء وليس الشكر باللسان فقط فالمطلوب الأول في العمل هو الجزاء لذا بدأ به سبحانه أما الشكر فهو ثناء باللسان ولا يُعدّ جزاء العمل.
وكذلك نلاحظ تكرار (لا) في قوله (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) ولم يقل (لا نريد منكم جزاء وشكورا) وهذا دليل على أنهم لا يريدون أي واحد من الجزاء أو الشكر على وجه الإجتماع أو على وجه الإفتراق حتى لا يُفهم أنهم قد يريدون أحدهم.
ثم نلاحظ أيضاً أنه قال لا نريد ولم يقل لا نطلب لأن الإنسان قد يريد ولا يطلب فنفي الإرادة أبلغ وأعمّ من نفي الطلب فهو إذن ينفي الطلب وزيادة (الإرادة).
ثم نلاحظ استعمال كلمة (شكورا) وليس (شكرا) الشكور تحتمل الجمع والإفراد في اللغة وهي تعني تعدد الشكر والشكر في اللغة يُجمع على الشكور ويحتمل أن يكون مفرداً مثل القعود والجلوس، وقد استعمل القرآن كلمتي الفسق والفسوق لكن لكل منها دلالته فجاءت كلمة الفسق مع الأطعمة والذبائح أما كلمة الفسوق فجاءت عامة لتدل على الخروج عن الطاعة. والجمع يدل على الكثرة أي لا نريد الشكر وإن تعدد وتكرر الإطعام باعتبار الجمع. وقد استعمل القرآن الكريم كلمة الشكور في الحالتين وإذا أردنا الشكور مصدراً فهو أبلغ من الشكر واستعمال المصادر في القرآن عجيب والذي يُقوي هذه الوجهة استعمال الشكور لما هو أكثر من الشكر. ولقد استعملت كلمة الشكور في القرآن مرتين في هذه الآية وفي آية سورة الفرقان (**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**

**خِلْفَــةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَــذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُــكُوراً** {62}) فقط واستعمل الشكر مرة واحــدة في قصة آل داوود (**يَعْمَلُونَ لَـهُ مَا يَشَـاءُ مِن مَّحَـارِيبَ وَتَمَاثِيـلَ وَجِفَـانٍ كَـالْجَوَابِ وَقُـدُورٍ رَّاسِـيَاتٍ اعْمَلُـوا آلَ دَاوُودَ شُـكْراً وَقَلِيـلٌ مِّنْ عِبَـادِيَ الشَّكُورُ** {13}سبأ) ومن ملاحظة الآيـات الـتي وردت فيها كلمـتي الشـكور والشـكر نـرى أن اسـتعمال الشـكر جـاء في الآية الـتي خـاطب بها تعـالى آل داوود وهو قلّة بالنسـبة لعمـوم المؤمـنين المخـاطبين في سـورة الفرقـان أو في هـذه السـورة الـتي فيها الإطعـام مسـتمر إلى يـوم القيامة والشـكر أيضـاً سـيمتد إلى يـوم القيامة ما دام هناك مطعِمين ومطعَمين. إذن هو متعلقـات الشـكر في هـاتين الآيـتين أكـثر من متعلقـات الشـكر في قصة آل داوود. وفي سورة الفرقان قال تعالى (لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شـكورا) وكلمة (يذّكّر) فيها تضعيفين فالـذي يبـالغ في التـذكر هو مبـالغ في الشـكر فيبـدو والله أعلم أن اسـتعمال الشـكور أبلغ من اسـتعمال الشكر في آية سورة الإنسان.

- قوله ( **إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً** ){10}

هـذه جملة مسـتأنفة تفيد التعليـل. وهي تعطي السـبب لمـاذا يطعمون الطعام ولا يريدون الجـزاء ولا الشـكور لأنهم يخـافون من ربهم يوماً عبوساً قمطريرا. وقد وصف اليوم بالعبوس على المجاز لأن اليوم لا يوصف بالعبوس مثل العرب تصف الليل بالقاتم (مجـاز عقلي) ومحتمل لإرادة الشمول والعموم فهو عبوس هو وأهله ومن فيه وما فيه هو وأهله لليـوم ومن فيـه. وعبـوس صـيغة مبالغة وقمطرير أي شديد العبوس وهي صيغة مبالغة تدلّ على الشّدة.

قـال إنا نخـاف من ربنا ومن قبل قـال لوجه الله ولا فـرق بين استعمال لفظي الـرب والله (**قُلْ يَا أَهْـلَ الْكِتَـابِ تَعَـالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَـوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُـدَ إِلاَّ اللّـهَ وَلاَ نُشْـرِكَ بِـهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** {64}) فالله هو الرب سبحانه. وإذا استعرضـنا الآيـات السـابقة نجد أنه تعـالى قد ذكر عبـادتين ظاهرتين هما الوفاء بالنذر والإطعام، وعبادتين قلبيتين هما الخـوف من اليوم الآخر والإخلاص لوجه الله، ونفى عنهم شيئين هما الجزاء والشكور، وذكر صـنفين ممن يطعَمـون هما صـنف مسـالم (اليـتيم والمسكين) وصنف محارب (الأسير)، وذكر صنفين من المسـالمين هما المسكين واليتيم، وأحدهما بالغ والآخر قاصر.

- قوله ( **فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً {11} وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ) {12}**
لما ذكر أنهم يخافون ذلك اليوم قال ربنا وقاهم شر ذلك اليوم ولقاهم بدل العبوس النضرة وكلاهما في الوجه وبدل الخوف والسرور ومحلهما القلب، قابل العبوس بالنضرة وهما في الوجه وقابل الخوف بالسرور وهما في القلب. مقابل الخوف الأمن ولكنه قابل بين الخوف والسرور والعبوس والنضرة. السرور هو الأمن وزيادة وقد يكون الإنسان في أمن لكنه بلا سرور ثم نلاحظ أنه أيضاً مقابل الخوف قال السرور وليس الأمن ومقابل العبوس قال النضرة ولا تقابل العبوس لأن الوجه قد يكون غير عابس لكنه غير نضر. وهذا زيادة لأنه تعالى قال (من جاء بالحسنة فله خير منها) ولم يقابلها بمثلها بل بخير منها. فالسرور مقابل الحزن وليس مقابل الخوف، فالخوف عادة يكون قبل أن يقع الشيء فإذا وقع حزن الإنسان كما في قوله تعالى (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فأصبح في حزن لذا ذكر العاقبة السرور. وقال أيضاً في الآية السابقة (يخافون يوماً) وقال في هذه الآية (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) ولم يقل يخافون شر اليوم وإنما جاءت الآية (يخافون يوماً) أما في هذه الآية فذكر تعالى (فوقاهم شر ذلك اليوم) وهذا يعني أنهم هم خافوا اليوم بما فيه من شرور ومصاعب وحساب وهو يوم عسير ومن شرور ذلك اليوم أنه (يجعل الولدان شيبا) لكنه تعالى وقاهم شر ذلك اليوم فقط ولم يقيهم اليوم ومشهد ذلك اليوم وفي هذا إنذار وتخويف كبيران فكل إنسان سيشاهد ذلك اليوم بما فيه وحسبه أن يقيه الله تعالى شر ذلك اليوم. إذن الله تعالى يقيهم شر اليوم ولا يقيهم مشد ذلك اليوم الذي سيشهده كل الناس أجمعين.
والفاء في قوله (فوقاهم) تفيد السببية في أغلب معانيها ولو كانت عاطفة أو يُنصب بعدها الفعل وهي تعني بسبب ما فعلوه في الدنيا وقاهم الله شر ذلك اليوم.
**- قوله ( وجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ) {12}**
في الآية السابقة قال تعالى (ولقّاهم) وفي هذه الآية قال (وجزاهم) لأن اللقاء يكون قبل الجزاء أي قبل أن يدخلوا الجنة وبعد اللقاء أدخلهم الجنة فصار الجزاء. (اللقاء أولاً ثم يأتي الجزاء بعده) جزاهم الله تعالى بعد اللقاء جنة وحريرا وقال تعالى (بما صبروا) و(ما) هنا تحتمل معنيين : إما أن تكون ما مصدرية بمعنى جزاهم بصبرهم وتحتمل أن تكون إسم موصول والعائد محذوف

بمعنى جزاهم بالـذي صـبروا عليـه، من الطاعـات والإيثـار، وحـذف العائد ليشمل المعنـيين ولو ذكر العائد لتخصص بمعـنى واحد وهـذا من باب التوسع في المعنى، إذن جزاهم للصـبر ولما صـبروا عليـه. وجمع أمرين وهما الجنة والحرير والجنّة كما في اللغة هي البستان وفي الآخرة هي إسم لدار السـعادة وفيها جنتـان كما قلنا في لقـاء سابق عن قوله تعالى في سـورة الـرحمن (ولمن خـاف مقـام ربه جنتـان) (راجع لمسـات بيانية في آي القـرآن الكـريم) وقلنا أنه قد يكون للمتقي أكثؤ من جنّة ولهذا يجمع القرآن جنة على جنـات كما ورد في الآيات (جنات عدن) و(جنات الفردوس) وهذه الجنـات كلها في الجنـة. وجـزاهم جنة والجنة للأكل وجـزاهم الحرير وهو للبس وهم أطعموا الطعام فقط لوجه الله فجـزاهم الله تعـالى أكـثر مما فعلوا مصداقاً لقوله تعالى (من جاء بالحسـنة فله خـير منهـا) وفي هذه الآية زاد الحرير على الجنة وهذا يدل على كرم الله تعالى.

- قوله **( مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَـرَوْنَ فِيهَا شَمْسـاً وَلَا زَمْهَرِيراً ) {13}**

قد يسأل البعض عن تكرار فيها في الآية (متكئين فيها) ثم (لا يرون فيها) ألا يكفي أن تُذكر مرة واحدة؟ فنقول لو حذف (لا) الثانية ولو قال مثل ما ذهب الظنّ إليه باسـتخدام (لا) مـرة واحـدة لوقع لبس ولكا أوهم أنه فقط عند الإتكاء لا يـرون شمسـاً ولا زمهريـرا وأنهم لو غادروا المكان لرأوا الشمس والزمهرير ولكن هـذا المعـنى غـير مطلوب لأن المقصود بالآية أنه سواء عند الإتكاء أو عنـدما يغـادروا المكان لا يـرون شمسـاً لـولا زمهريـرا في كلتا الحـالتين. فـالتكرار إذن أفاد معنى آخر ولذا اقتضى تكـرار (فيهـا). والشـمس هي دليل النـــور والزمهرير في اللغة : هو الـــبرد الشـــديد وقد قيل في لغة العـرب أيضـاً أنه هو القمر فـإذا أخـذنا في الإعتبـار المعـنى الأول للزمهرير تكـون الآية بمعـنى لا يـرون فيها لا شـمس ولا قمر وإذا أخذنا المعنى الآخر للزمهرير وهو البرد الشديد تكون الآية بمعنى لا يرون فيها دفءً ولا برداً والدفء يـأتي من الشـمس والزمهرير من البرد فنفى البرد والحرّ ونفى القمر في آن واحد، ولهذا اختار كلمة الزمهرير لأنها تجمع بين هـذين المعنـيين. ولو اسـتعمل القمر بـدل الزمهرير لأفاد معنى واحداً فقط.

- قوله **( وَدَانِيَـةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَـذْلِيلاً ){14}**

جمع تعـالى لهم بين دنو الظلال وتـذليل القطـوف الـتي تفيد الـدنو أيضـاً وهـذه القطـوف لا يردها بُعد ولا شد وبهـذا جمع إضـافة إلى

الدنو أنها ميسّرة وليس هناك ما يمنع من رد اليد عنها. فلماذا قـال دانية باستخدام الصـيغة الإسـمية وذللت بالصـيغة الفعليـة؟ الظلال ثابتة مسـتقرة فجـاء بالصـيغة الإسـمية الـتي تـدلّ على الثبـوت أما القطـوف فهي متجـددة سـواء كـانت في جنّة أهـرى أو في نفس الجنة وهي تتجدد كلما أكلوا منها أو قطفوا منها ولـذا جـاء بالصـيغة الفعلية الـتي تـدلّ على التجـدد. وقد قيل فيها معـنى آخر فقد جـاء في الآية (وجزاهم جنة وحريـرا) قسم من المفسـرين ذهب إلى أن المعنى وجنّة دانية عليهم ظلالها بمعـنى لهم جنتـان كما قلنا سـابقاً (ولمن خاف مقـام ربه جنتـان) الأولى فيها جنة وحرير والثانية دانية عليهم ظلالها.

- قوله ( **وَيُطَـافُ عَلَيْهِم بِآنِيَـةٍ مِّن فِضَّـةٍ وَأَكْـوَابٍ كَـانَتْ قَوَارِيرَا {15} قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً )**{16}

بعدما ذكر الفاكهة ذكر الشـراب بعـدها وأنه يُطـاف عليهم بها وذِكر المشـــروب بعد الطعـــام هو الجـــاري عليه في القـــرآن كله فحيث اجتمع الطعـام والشـراب في الـدنيا أو الآخـرة قـدّم الطعـام على الشراب (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) (وهو الذي يطعمـني ويسـقين) وغيرها. وذكر الطعام قبل الشراب لأن الطعام أهمّ.
ثم قال تعالى (قوارير من فضـة) والمعلـوم أن القـوارير تكـون من زجـاج فكيف جمع بين القـوارير الـتي هي من زجـاج وبين الفضـة؟ ونقول أن الفضة هي فضة في صفاء القوارير وشفافيتها وهذه هي فضة الجنّة العجيبـة. وقوله تعـالى (وقـدّروها تقـديرا) فيها معنـيين الأول على مقدار حاجتهم لا أكـثر ولا أقـلّ والثـاني على ما تشـتهيه أنفسهم كيف تكون هيئة القوارير وشكلها أي قدّروها على ما يرغبه الشـخص من هيئة وشـكل. يـأتون بما هو أحبّ لنفسـهم والشـراب نفسه مقدّر في شكل الإناء وترتيبه وفيما يُقدّم فيه.
وذكر في الآية فضة وأكواب من فضة وفي آية سورة الزخرف قال تعالى (**يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِـحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْـوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْـتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَـذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِـدُونَ** {71}) باستعمال ذهب وليس فضة فلماذا الإختلاف بين الإسـتعمال للفضة في آية سورة الإنسان والذهب في آية سورة الزخرف؟
إذا استعرضـنا الآيـات في سـورة الزخـرف (**ادْخُلُـوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ {70} يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْــوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْــتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَــذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {71} وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ**

**تَعْمَلُونَ {72} لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ** {73})
لو لاحظنا الآيات في سورة الإنسان والزخرف نلاحظ أنه:

1. في سـورة الزخـرف ذكر أنهم المتقـون (**الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** {67}) ثم أضـافهم إلى نفسه تعـالى وهـذا أشـرف فخـاطبهم (**يَا عِبَـادِ لَا خَـوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَـوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُـونَ** {68}) ثم طمأنهم من الخـوف مخاطبـاً إيـاهم مباشـرة (**لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَـوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُـونَ**) وهـذه مرتبة أعلى مما جـاء في آيـات في سـورة الإنسـان حيث جـاء فيها (**فَوَقَـاهُمُ اللَّهُ شَـرَّ ذَلِـكَ الْيَـوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْـرَةً وَسُرُوراً** {11})
2. وجـاء في الزخـرف أنهم جمعـوا بين الإيمـان والإسـلام (**الَّذِينَ آمَنُـوا بِآيَاتِنَا وَكَـانُوا مُسْـلِمِينَ** {69}) والإيمـان هو التصـديق بـالقلب والإسـلام هو الإنقيـاد في العمل كما تذكر الآيات في القرآن (الـذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات) وأحيانـاً يُقصد بـالمؤمن المسـلم. أما ما ورد في آيات سـورة الإنسـان فهي جـزء من صـفات المتقين الـتي جـاءت في الزخـرف لأن فيها العمل فقط (**وَيُطْعِمُـونَ الطَّعَـامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْـكِيناً وَيَتِيمـاً وَأَسِيراً** {8}) والإيمان يدخل فيه عموم العمل الصالح .
3. في الزخرف نـاداهم الله تعـالى مخاطبـاً إيـاهم مباشـرة (ادخلـوا الجنـة) أما في الإنسـان فجـاء قوله تعـالى (وجـزاهم بما صـبروا) وما جـاء في الزخـرف هو أعلى مكانة ولم يكتف بهذا بل إنه تعـالى في الزخـرف أدخلهم هم وأزواجهم (أنتم وأزواجكم) وهـذا لم يـرد في سـورة الإنسـان وهـذا يـدل على زيـادة الإكـرام في سـورة الزخرف.
4. وقـال في الزخـرف (تُحـبرون) وفي الإنسـان (نضـرة وسـرورا) والحبـور أعمّ وهو يشـمل السـعادة والسـرور والبهـاء والجمـال والنعمة والإكـرام المبـالغ فيه وسِـعة العيش أما ما في سـورة الإنسـان فهو جـزء مما ذُكر في سـورة الزخـرف. ففي الزخـرف إذن شـمل ما جـاء في سورة الإنسان وزيادة.
5. وقال تعالى أيضاً في سـورة الزخـرف (وفيها ما تشـتهيه الأنفس) ولم يذكر ذلك في سورة الإنسـان ثم قـال (فيها

خالـدون) ولم تـرد في سـورة الإنسـان وكلها تـدل على الزيادات في النعيم.

6. ثم ذكر في سـورة الزخـرف (فيها فاكهة كثـيرة) ولم يذكرها في سـورة الإنسـان لـذا ناسب أن يـأتي بصحاف من ذهب في الأولى وقوارير من فضة في الثانية .

7. والأمر الآخر أنه في سورة الزخرف لم يـذكر الفضة أبـداً وجو السـورة شـاع فيها ذكر الـذهب والتنعّم والزخـرف ففيها جـاء قوله تعـالى (**وَلَـوْلَا أَن يَكُـونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ** {33}) فـإذا كـان هذا للذين كفروا بـالرحمن في الـدنيا فكيف يكـون جـزاء المتقين في الآخـرة أقل مما كـان للكـافر في الـدنيا (سـقف من فضة وعليها معـارج) ؟ وسـقف الفضة والمعارج هي أكثر من قـوارير من فضة فكأنها تـدل على أن الجنة جزاؤها أقل من الدنيا فلا يسمح جو السورة في الزخـرف باسـتخدام قـوارير من فضة فيها لأنه لا يناسب أن يعطي الله تعـالى الكـافر في الـدنيا أكـثر مما يعطي المتقين في الجنـة. إذن ينبغي أن يكـون للمتقين في الآخرة جزاء أعظم لذا جاء بصحاف الذهب جزاء المتقين في سورة الزخرف.

8. وفي سورة الزخرف ذكر تعالى أيضاً أن فرعون اسـتكبر في نفسه وثم اسـتخفّ بموسى  كما في قوله تعـالى على لسان فرعـون مخاطبـاً قومه (**فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْـهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَـرِنِينَ** {53}) **فكيف يناسب ذكر الفضة في السـورة إذا كان فرعون المتكبر العالي في الأرض يسـتعمل الذهب؟** فالأفضل أن جاء تعالى بالفضة والذهب كل في مكانها الذي ناسب جو السورة ووضع كل تعبير في مكانه يناسب سياق الآيات في كلتا السورتين.

- قوله ( **وَيُسْـقَوْنَ فِيهَا كَأْسًـا كَـانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ) (18)**

قبل هـذه الآية قـال تعـالى (**وَيُطَـافُ عَلَيْهِمْ بِآَنِيَـةٍ مِنْ فِضَّـةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَـوَارِيرَ** (15)) فلمّا ذكر تعـالى أنه يُطـاف عليهم بالآنية والأكـواب ناسب أن يقـول يُسـقون وليس يشـربون أما في الآية الأولى فلم يذكر الآنية أو الطـائفين لـذا جـاء قوله تعـالى (**إِنَّ**

**الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا** (5)) وذكر الطائفين فيما بعد. ولفظ السلسبيل يوحي بالسلاسة وسهولة المسار هذا ما يقابل طعام الكفار الذي قال فيه تعالى (**وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا** (13) المزّمل) والذي يظهر أن الشراب المذكور في قوله تعالى (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا) أعلى من الذي ورد في الآية السابقة ومن تسلسل الآيات فإن الشراب يُحمل إليهم ويُسقونه ثم أنه تعالى وصف آنية الشراب الذي يطاف عليهم بها (من فضة) ووصف الطائفين (لؤلؤاً منثورا) وهذه الأمور لم تُذكر في الآية الأولى. إذن فقد استوفى عناصر الطواف كلها: الطائفين (ولدان) والمطوف عليهم (الأبرار) والمطوف به (الشراب والآنية) ولم يبق شيء لم يُذكر منها.

- قوله **( وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (19) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ) (20)**

ونلاحظ أنه تعالى قال بعدها هذه الآية وولدان جمع ولد وهم صغار السّن. فبعد وصف الآنية من الفضة ووصف السقاة وصفهم باللؤلؤ المنثور لأنهم سراع في الخدمة ومنثورين في كل مكان في حين لما أخبرنا تعالى عن الحور العين (**وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ** (23) الواقعة) وصفهم بأنهم لؤلؤ مكنون أي في أماكنهم مستورين مُصانين غير منثورين في كل مكان. وفي سورة الطور وصف تعالى الغلمان باللؤلؤ المكنون (**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ** (24)). **فما السبب في ذلك؟** أولاً الوصف باللؤلؤ المكنون له جانبان: جانب الصون والحفظ باعتباره محفوظ في الصدف، وجانب آخر جانب الصفاء لأن اللؤلؤ أصفى وأنقى وأبيض ما يكون وهو في الصدف فإذا خرج من الصدف تغير لونه وقد يصبح أسود اللون خارج الصدف. فعندما يُقال مكنون يكون المقصود هذان الجانبان. لكن يبقى السؤال **لماذا جاء في سورة الطور لؤلؤ مكنون للغلمان؟** الفرق بين الآيتين أنه في آية سورة الإنسان قال تعالى (**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا** (19)) لم يذكر (لهم) وإنما ذكر الولدان الذين يأتون بالأشياء كما يأمر الله تعالى أما في آية سورة الطور (**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ** (24)) ذكر (لهم) بمعنى خاصّين بهم وليسوا عامّين كالذين ورد ذكرهم في آية سورة الإنسان، فأصبحوا مكنونين لأنهم أصبحوا في الأسرة والعائلة

متخصصين في خدمتها. أي عائلة؟ إذا نظرنا إلى الآيات التي سبقت الآية المذكورة في الطور نجد قوله تعالى (**وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** (21)) فالكلام عن الأسرة وهذه الأسرة أصبح لها خصائص كذلك قوله تعالى (ويطوف عليهم غلمان لهم) أي خاص بهم كأنهم لؤلؤ مكنون وسياق الآيات في سورة الطور فيه خصوصية شديدة للمؤمنين.

وقال تعالى (إذا رأيتهم) وإذا كما نعلم في اللغة تدل على التحقيق والتيقّن وهي ليست من باب الإفتراض ولهذا لم يأت بـ (إن) أو (لو) لأن إذا كما قلنا تستخدم لتيقّن الحدث أو للدلالة على الحدث الكثير الوقوع ولهذا جاءت كل الآيات التي تتحدث عن أحداث يوم القيامة باستخدام (إذا) لأنها محققة الحصول وكذلك قوله تعالى في آية الوضوء (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (6)) فجاء بـ (إذا) في القيام إلى الصلاة وهذا أمر متكرر الوقوع أما في حالة الجنب أو المرض جاء بـ (إن) لأنه أقل الحدوث. وكذلك استخدام إذا في قوله تعالى (**وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** (59) النور) لأن الأطفال لا بد وأن يبلغوا الحلم فهذا أمر متيقن الحصول. أما (إن) فهي تستخدم للأمر الإفتراضي كما في قوله تعالى (فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض) (وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً) و (إن كان للرحمن ولد) ليس موجوداً أصلاً وإنما هو افتراض وبعيد الحصول. أما (لو) فتستخدم للتمني ولما هو أبعد (لو أنفقت ما في الأرض جميعا) وتأتي في الأشياء المستحيلة وما هو أبعد من (إن) أصلاً.

وقوله تعالى (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا) تدل على تحقق الرؤية. وكذلك قوله (وإذا رأيت ثم رأيت) بمعنى إذا رأيت حيث وقفت هناك رؤية. ورأيت هنا وإن كان فعلاً متعدياً لكنه ليس بالضرورة ذكر المفعولين للفعل المتعدي وإنما يؤتى بالذي يناسب

قصد المتكلم فأحياناً يستعمل الفعل المتعدي استعمال اللازم أو يتعدى الفعل بمفعول به واحد وقد لا يؤتى بالمفعولين والأمثلة في القرآن كثيرة منها قوله تعالى (فأما من أعطى واتقى) لم يذكر لمن أعطى وما أعطى، أو يأتي بمفعول به واحد كما في قوله تعالى (حتى يُعطوا الجزية عن يد) لم يذكر لمن يعطوها ، وقوله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) لم يذكر ماذا يعطيه، وقد يُذكر المفعولين كما في قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر). وهذ الإطلاق كم في قوله (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) وذكر المفعولين أو أحدهما أو عدم ذكرهما يكون بحسب ما يريد المتكلم.

وقوله تعالى (وإذا رأيت) بمعنى مطلق الرؤية ليس هناك شيء محدد أو مكان محدد أينما وقعت الرؤية وهذا من دلالة القدرة والنعيم الذي في الجنة لعباد الله المؤمنين.

وقوله تعالى (إذا رأيتهم حسبتهم) قد يتساءل البعض أن كلمة حسبتهم بمعنى ظنّ وأن هناك تشابه في المعنى أو يحتملان دلالة قريبة كما في كلمتي النظر والرؤية. فنقول أن النظر قد لا يكون معه رؤية بمعنى تنظر إلى المكان سواء رأيته أم لم تره. والرؤية تفيد تحقق المرئي (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) لذا استخدم تعالى الفعل رأى هنا في الآية لتفيد تحقيق الرؤية.

- قوله **( عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ) (21)**

يقول المفسرون أن عاليهم تعني فوقهم لكنها في الحقيقة لا تعني فوقهم لأن الفوقية لا تقتضي الملامسة فقد يكون الشيء ملامساً وقد لا يكون إذا كان فوقهم كما في قوله تعالى (**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ** (19) الملك) وكذلك قوله (**وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا** (154 النساء)) وقوله تعالى (**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ** (6) ق) فوقهم هنا تُعرف بالظرف المُبهم الذي ليس له حدود مثل كلمة يمين لا حدود لها كل ما على يميني يمين. وعليه فإن كلمة عاليهم تفيد الملامسة وتعني يلبسونها.

وقوله تعالى (وحُلّوا فيها أساور من فضة) هي مقابل ما ذكره للكافرين (سلاسل وأغلالاً وسعيرا) وهنا نسأل لماذا ذكر تعالى

أساور من فضة هنا في سورة الإنسان بينما ذكر في مواضع أخرى في القرآن أساور من ذهب (**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** (31) الكهف) ومرة أساور من ذهب ولؤلؤ (**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** (33) فاطر) قسم من المفسرين قال أنها تدل على المعاقبة أو الجمع أي مرة يلبسون ذهب ومرة فضة ومرة يجمعون بينها.

فلماذا جاءت ذكر أساور فضة في سورة الإنسان بينما جاءت من ذهب ولؤلؤا في سورة فاطر؟ يجب أن يكون هناك سبب لاختيار كل منها في السورة المناسبة وإذا نظرنا في سياق الآيات في سورة فاطر من قوله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30) وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (31) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ** (35))

- ففي سورة فاطر قال تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ** (29)) وفي سورة الإنسان قال (**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {7} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً** {8}) والأكيد أن الإنفاق سراً وعلانية هو أعم وأشمل من إطعام الطعام على حبه المسكين واليتيم والأسير.
- ثم إن يتلون الكتاب ويقيمون الصلاة هي أرفع وأعلى من الوفاء بالنذر لأن النذر أصلاً مكروه شرعاً وفي الحديث: "النذر صدقة البخيل" فالأمور التي ورد ذكرها في فاطر هي أعم وأرفع

وأعلى مما ورد في سـورة الإنسـان فتلاوة القـرآن أوسع من إقامة الصلاة ولهذا قدّم التلاوة على الصلاة والإنفاق لأن الصلاة لا تصح إلا بتلاوة القـرآن والتلاوة تكـون في الصـلاة وفي غـير الصلاة.

- ثم إن التلاوة والصلاة جاءت بصيغة المضارع بينما جاء الإنفاق بصيغة الماضي لتكرر التلاوة والصلاة أكثر من الإنفاق. فالوصف في سورة فاطر أعلى مما جاء في سورة الإنسان هذا أمر
- والأمر الآخر أنه تعالى في سورة فاطر ذكر (يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) بينما قال في سورة الإنسان (إن هذا كان لكم جزاء) ففي سورة فاطر توفية وزيادة وهما أعلى من الجزاء لذا ذكر اللؤلؤ وهو الزيادة ، وكذلك في فاطر قال تعالى (إنه غفور شكور) وفي الإنسان (وكان سعيكم مشكورا) فزاد المغفرة على الشكر في سورة فاطر.
- ثم ذكر في سورة فاطر (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) بإسناد الفعلين إلى نفسه تعالى وهذا في مقام التكريم ثم ذكر الإصطفاء بالذات وهو من باب التكريم أيضاً. اصطفاهم هذا تكريم والتكريم الآخر هو الإسناد في قوله (أورثناهم).
- قسّم تعالى المصطفين إلى قسمين (مقتصد) و(سابق بالخيرات) ذكر السابقين وهم أعلى المكلفين فلا يناسب معهم أن يذكر الأساور من فضة لأنها قد تدل على أن الفضة للسابقين مع أنه يجب أن يتميزوا لأنهم أعلة المكلّفين ولهذا جاء بأساور من ذهب لؤلؤا ليتناسب مع المذكورين.
- قوله تعالى في فاطر (ويزيدهم من فضله) (وذلك هو الفضل الكبير) يناسب الزيادة أيضاً لأن هذا الفضل يقتضي الزيادة
- ذكر المغفرة والشكر مرتين (إنه غفور شكور) و(إن ربنا لغفور شكور). من الناحية البلاغية، لمّا ذكر تعالى (يتلون كتاب الله) قال (إنه غفور شكور) بجون اللام ولمّا ذكر الظالم لنفسه والمقتصد ذكر أنهم يخلون الجنّات ذكر اللام في قوله (إن ربنا لغفور شكور) لأنه هؤلاء محتاجون للمغفرة أكثر ولولا المغفرة لما دخلوا الجنة وهؤلاء أحوج إلى المغفرة من الأولين لذا أكد باللام (إن ربنا لغفور شكور) فالتأكيد جاء بحسب الحاجة إلى المغفرة.
- قال تعالى في سورة الإنسان (حُلّوا أساور من فضة) وفي فاطر (يحلون فيها من أساور من ذهب) فيها تكريم لأن (من)

تفترض الكثرة لأنهم أعلى من المذكورين في سورة الإنسان لأنه عندما نقول لأحد مثلاً إلبس هذه الثياب أو البس من هذه الثياب بالتأكيد الثانية أوسع لأن له أن يختار من بين الثياب ما يشاء. ثم قال تعالى (حُلوا) بصيغة الماضي وفي سورة فاطر (يحلّون) بصيغة المضارع وفي الآيتين الفعل مبني للمجهول لكن في سورة الإنسان الإخبار بما هو حاصل أما في سورة فاطر فالإخبار بشيء لم يحدث بعد وفيه إخبارهم أنهم سيدخلون الجنة (يدخلون الجنة) لذا جاءت يُحلّون.

- يبقى السؤال لماذا قال في سورة الإنسان (يُطاف عليهم ويُسقون ويطوف عليهم) بصيغة المضارع مع أنه قال (جزاهم وحّلوا) بصيغة الماضي وهذا للدلالة على تجدد الطواف والإستمرار فيه فهو لا ينقطع ولا يناسب أن يقول تعالى (طيف عليهم) لذا جاء بصيغة المضارع في الطواف والسقيا. وكذلك يلبسون ويحلون لأن التحلية هي من الحلي والتزيّن.

- قوله **( وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا )** .

طهور هي صيغة مبالغة على وزن فعول بمعنى الطاهر والمطهِّر والمبالغة فيهما والعرب استعملت كلمة طهور للشيئين وطهور مشتقة بالأصل من الفعل الثلاثي طهُر.

الطاهر ليس بالضرورة مطهِّر فكثير من السوائل طاهرة لكنها ليست بالضرورة مطهِّرة. واستعمال طهور هنا مناسب لسياق الآيات وتشتمل المعاني كلها الطاهر والمطهر والمبالغة فيهما. والصيغ لها فروق بيانية فيما بينها مثل غفّار وغفور كلتاهما صيغة مبالغة وكذلك همّاز وهُمزة كلتاهما صيغة مبالغة لكنها ليست متساوية في الدلالة. والعرب كانت تتحدث هذه اللغة فاللسان عربي أصلاً لكن الناس يختلفون فيه فيكون بعضهم أبلغ من بعض ويختلفون في اختيار الكلمات والسياق والبلاغة وتنتهي قمة الإعجاز في القرآن الكريم.

**فلماذا استخدم كلمة (طهور) في الآية؟** ذكر تعالى في الآيات السابقة من السورة (**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5)) و (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا** (17)) و(**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**) ذكر لنا تعالى ثلاثة أنواع من الشراب كل منها أعلى من الذي سبقها أولاً ذكر أنهم يشربون من كأس (كافورا) ثم في الثانية ذكر أنهم

يُسقون كأساً (زنجبيلا) هنا الفعل مبني للمجهول وذكر الساقي (ولدان مخلدون) والآنية التي يُسقون فيها (آنية من فضة) ثم الثالثة ذكر تعالى أنه سقاهم ربهم وهذه أعلى الدرجات لم يقل يُسقون ولا يشربون وإنما سقاهم ربهم فهذا الشراب هو أفضل من السابقين لأنه أسنده تعالى إلى الربّ سبحانه وتعالى وهذه الآيات دلّت على أن الشراب أنواع مختلفة.
شراباً طهورا كلمة موجزة تحوي معاني كثيرة بينما وصف في الآيات السابقة ما يشربون فيه من آنية وصفاً دقيقاً ولم يذكر في هذا الوصف إلا (شراباً طهورا) وهذا يدل على أن الشيء عندما يكون فوق الوصف لا يذكر شيئاً ولا تستطيع اللغة ولا الوصف أن يعبروا عن هذا الأمر العظيم، كما ورد في سورة الرحمن (**مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ** (54)) وصف البطائن ولم يصف الظاهر ونقول **إذا كانت البطائن من استبرق فكيف يكون الظاهر؟** لا يُتصور الظاهر ولهذا لم يُذكر لأنه ما من لغة أو وصف يمكن أن يعبر عما يوجد هناك من نعيم وسعادة مصداقاً لقوله تعالى (**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (17) السجدة). وكذلك عندما يصف لنا تعالى شجرة الزقوم (**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ** (65) الصافات) لم يراها أحد ولم ترد على ذهن الإنسان وكما أن في الجنة أمور لا يعلمها أحد كذلك في النار.

- قوله ( **إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا** ) ( **22)**
**<u>لماذا تقديم (لكم) على جزاء في الآية</u>؟** قبل التقديم لما ذكر تعالى أن هؤلاء لا يريدون جزاء ولا شكورا (**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا** (9)) جزاهم ربنا أحسن الجزاء وشكر لهم لذا قدّم (لكم) على جزاء فصار جزاء بالفعل وشكر باللسان.
كان يمكن القول (هذا كان جزاء لكم) لكن التقديم أفاد أن الجزاء مختص لكم لأن الجزاء في الآخرة مختص لكل واحد وإذا لاحظنا في القرآن كله قدّم الجار والمجرور للإختصاص لأنه اختصاص به وتعريض للآخرين من أهل النار (**قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا** (15) الفرقان) و (**وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا**

**عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ** (37) سبأ) و (**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)) إنما في الدنيا فليس بالضرورة التقديم وقد جاء في سورة القمر مثلاً (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ** (14)) لمن يأتي التقديم هنا لأن الآية ليس فيها اختصاص والذي كُفر هو نوح  لكن السفينة لم تحمله وحده وإنما كان معه من آمن معه والجزاء لهم أيضاً لذا أطلق ولم يُخصص فكما كان الجزاء لنوح  كان للمؤمنين.

- قوله **( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ) (23)**

**<u>لماذا جاء في الآية ثلاثة توكيدات</u> بينما جاء في أول السورة توكيد واحد في قوله تعالى (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2))؟** في الآية (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا** (23)) ذكر تعالى ثلاثة أمور ذكر المنزِّل (الله تعالى) وذكر المنزَّل (القرآن) والمنزَّل عليه (الرسول) وأكّد ثلاثة توكيدات (إنّا، نحن، والضمير المتصل في نزّلنا (نا) والسبب أن في الآية أول السورة أمر الخلق لم يُختلف فيه ذلك الإختلاف أي كون الله تعالى هو الخالق فهذا أمر لم ينكره كفار قريش بدليل قوله تعالى (**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ <u>اللَّهُ</u> قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** (25) لقمان) و (**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ <u>اللَّهُ</u> قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** (38) الزمر) لكن مسألة التنزيل هي التي اختلفوا فيها وأنكروها أشد الإنكار فالتوكيد إذن يعتمد على شدة إنكار الشخص للأمر ولهذا يحتاج للتوكيد أكثر في حالة الإنكار الشديد لأن قريش لم يكونوا يُقرّون بأن الله تعالى نزّل القرآن وهذا يختلف تماماً عن قضية الخلق التي لم يكونوا ينكرونها أصلاً. والأمر الآخر أن التنزيل هو أهم من الخلق لأن الغاية من الخلق العبادة والغاية من التنزيل هو تنزيل كتاب العبادة التي يردها الله تعالى فالتنزيل هو القصد الأول في الخلق فهو أولى بالتوكيد. والتوكيد جاء كما يقتضيه السياق والمقام من جهة الأهمية والإختلاف والتنازع فيه.

وهذا التأكيد يذكرنا بسورة يس (**قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ <u>إِنَّا</u> إِلَيْكُمْ <u>لَ</u>مُرْسَلُونَ** (16)) وقد أكّد في هذه الآية مرتين مع أنه في الآية

التي سبقت (**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ** (14)) أكدّ مرة واحدة لأن الله تعالى أرسل لهم في البداية رسولين فكذبوهما ثم عزز بثالث فأنكروا إنكاراً أكبر لذا جاء التوكيد في الآية الثانية واقتضى أن يؤكد أكثر فصار التوكيد بالقسم لأن (ربنا يعلم) قسم في لغة العرب فلما ازداد الإنكار ازداد التوكيد.

**(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا <u>عَلَيْكَ</u> الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا) في هذه الآية ذكر تعالى (عليك) وفي آية سورة الحجر قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)) فما دلالة (عليك) في آية سورة الإنسان؟**

لو نلاحظ ما جاء بعد هذه الآية لوجدنا أن الكلام موجه إلى الرسول  بالأوامر والنواهي (**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (24) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا** (26)) وهناك أمور تتعلق بالرسول المخاطب لذا استخدم (عليك). أما في آية سورة الحجر فلم يرد في الآيات التي سبقت أو تلت ما يتعلق بالرسول  لكن الكلام متعلق بالقرآن (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (12)) وكل الكلام عن الذكر وليس عن الرسول.

**<u>لماذا جاء ذكر كلمة (القرآن) في آية سورة الإنسان وكلمة (الذكر) في آية سورة الحجر؟</u>**

إسم الكتاب المنزّل على الرسول  هو (القرآن) ولم يرد في سورة الإنسان له ذكر إلا في هذا الموضع وهذه الآية (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ <u>الْقُرْآنَ</u> تَنْزِيلًا**)، أما في سورة الحجر فقد ورد ذكر القرآن والذكر والآية في سورة الحجر (**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ <u>الذِّكْرُ</u> إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (6)) ثم قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا <u>الذِّكْرَ</u> وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** (9)) فلمّا سماه كفار قريش ذكراً ردّ عليهم الله تعالى بكلمة (الذكر) ولهذا فهي أنسب للآية التي قبلها من استعمال كلمة القرآن رغم أنها وردت في سورة الحجر كثيراً.

- قوله **( فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ) (24)**

الآية التي قبلها قال تعالى (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا**) ثم أمره بالصبر بعد ذكر تنزيل القرآن لأن التنزيل يستدعي الصبر لما فيه من قول ثقيل وأمور وتكاليف تستدعي الصبر (**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** (5) المزمّل) و (**وَأْمُرْ أَهْلَكَ**

**بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** (132) طه) ويحتاج أيضاً لصبر على الأذى لأنه سيؤذى بسببه لذا كان من المناسب بعدما ذكر تنزيل القرآن أن يذكر الصبر لأنه أمر يستدعي الصبر فقال تعالى (**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ**).

**دلالة كلمة (حكم)** : في اللغة قد يكون الحكم بمعنى الحكمة (**فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ** (21) الشعراء) وقوله تعالى (**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** (12) مريم) أي الحكمة. وقد تأتي بمعنى القضاء أو الفصل (**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ** (48) غافر) وهنا أمره بالصبر لهما معاً أي أن يصبر لحكمة أرادها الله تعالى ولحكم الله وقضائه لأن قضاءه له حكمة بمعنى اصبر لحكم الله وقضائه لحكمة أرادها الله تعالى وهذا ما يُسمى التوسع في المعنى.

**(وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آَثِمًا أَوْ كَفُورًا) ما دلالة استخدام كلمة آثم وكفور؟**

**الآثم** : هو الذي يرتكب الإثم والإثم قد يكون ظاهراً وباطناً بدليل قوله تعالى (**وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ** (120) الأنعام) أو من أعمال القلب أو أفعال الجوارح.

أما **الكفور** : فهو المبالغ في الكفر وفيه دلالتان: الأولى نقيض الإيمان والثانية نقيض الشكر لذا قال تعالى في أول السورة (**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** (3)) والكفور المبالغ في الكفر بمعنى نقيض الإيمان هو الذي استعمل في القرآن (**وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (66) الحج) و (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ** (15) الزخرف) والمبالغ في جحد النعمة والكفر قد يكون باطناً أو جحود باللسان. وكل كفور آثم وليس كل آثم كفور. ولو قال كافر لنهى عن صنف واحد وليس عن الصنفين الذين تدلان علهما كلمة كفور.

**ما دلالة استعمال (أو) ولم يأتي بواو العطف مثلاً؟**

لو جاء بالواو لجاز له أن يُطيع أحدهما إنما استعمال (أو) دلّت على الأمر بأن لا يطيع واحداً منهما على سبيل الجمع أو الإفراد. والآثم هو اسم فاعل والأثيم صفة مبالغة وفي هذه الآية أراد تعالى أن لا يطيع الآثم سواء بالغ في الإثم أو لم يبالغ فلو قال أثيم مثلاً لكان

فُهِم أن النهي فقط عن إطاعة الأثيم ويحق له أن يطيع الآثم وأما استخدام كلمة أثيم فهي تـدل على النهي عن إطاعة الآثم وهو أقل الدرجات فمن باب أولى أن لا نطيع الأثيم.

في سـورة القلم قـال تعـالى (**مَنَّاعٍ لِلْخَيْـرِ مُعْتَـدٍ أَثِيمٍ** (12)) باسـتخدام الأثيم لأنه لو لاحظنا ما ورد في السـورة لوجـدنا أن الله تعـالى ذكر فيها كل صـفات المبالغة (حلاّف، همّـاز، مشّـاء، مهين، منّـاع للخـير) (**وَلَا تُطِـعْ كُـلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّـاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْـرِ مُعْتَـدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُـلٍّ بَعْـدَ ذَلِـكَ زَنِيمٍ** (13)) فجو السـورة جو مبالغة والأمر الآخر أن الـذي يفعل كل هذه الأمور الذي سبقت ألا يكـون أثيمـاً؟ بـالطبع هو أثيم وليس آثم بل إن فعل كل واحدة من هذه الأفعال يجعله أثيماً وليس آثمـاً فكيف لو اجتمعت كل هـذه الصـفات في المعتـدي فلا بد أن يكـون أثيماً.

- قوله ( **وَاذْكُـرِ اسْـمَ رَبِّكَ بُكْـرَةً وَأَصِـيلًا (25) وَمِنَ اللَّيْـلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ) (26)**

علاقة الآية بما قبلهـا: أمر الله تعـالى الرسـول  بالـذكر والتسـبيح بعد الأمر بالصـــبر (**فَاصْـــبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ**) والنهي عن طاعة الآثم والكفـور (**وَلَا تُطِـعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُـورًا**) أمـره بالإكثـار من الذكر. وفي القرآن نلاحظ أن الله تعالى يأمر بالإكثـار من التسـبيح والذكر في المـواطن الـتي تحتـاج إلى صـبر وفي الأزمـات (**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِـيقُ صَـدْرُكَ بِمَا يَقُولُـونَ (97) فَسَـبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّـــاجِدِينَ (98) وَاعْبُـــدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَـــكَ الْيَقِينُ** (99) الحجـر) وأمـره بالتسـبيح في قوله (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَـاثْبُتُوا وَاذْكُـرُوا اللَّهَ كَثِـيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (45) الأنفال) ومداومة التسـبيح تفـرّج الكـروب كما جـاء في قصة يـونس وهو في بطن الحـوت (**فَلَـوْلَا أَنَّهُ كَـانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُـونَ** (144) الصـافات) فالـذي نجّى يـونس من بطن الحـوت هو مداومته على التسبيح (**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنْتَ سُـبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** (87)) والتســـبيح وذكر الله هي أزكى الأعمـــال وأرفعها عند المليك. فهو ترتيب منطقي جداً بعدما تضـيق الصـدور والقلوب نذكر اسم ربنا.

- قوله ( **وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ) (26)**

**لماذا قدّم الجـار والمجـرور على الفعـل؟** لأن التهجد شـاق على النفس فقدّم الليل بما يقابل الشدة (**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** (18)) قــدّم ما هو متعلق على الفعــــل، (**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُـرَّةِ أَعْيُنٍ جَـزَاءً بِمَا كَـانُوا يَعْمَلُـونَ** (17) السـجدة) (**وَمِنَ اللَّيْـلِ فَتَهَجَّدْ بِـهِ نَافِلَـةً لَـكَ عَسَـى أَنْ يَبْعَثَـكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا** (79) الإسـراء) أمـور ثقيلة وأجرها عظيم لـذا قـدّم (من الليـل) على الفعل (فاسـجد لـه). كما أن الـترتيب يفيد علو منزلة السجود وتقديم الجارّ والمجرور سوّغ إدخال الفـاء في قوله (**وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ**) ودلالة الفاء هنا أنها تفيد التأكيد على أي حـال. وقد قال النحاة أن الفاء قد تكون إما جواب شرط مقدّر يعني مهما كـان الأمر فاسـجد له وهي دعـوة للسـجود مهما كـان الأمر وقسم آخر يقول أن الفـاء زائـدة للتوكيد وفي كلتا الحـالتين يكـون التوكيد للسـجود والدلالة على أهميته وعظمته وجـاءت الـواو قبلها أيضـاً (ومن الليل فاسـجد لـه) ولا يصح أن نقـول (واسـجد له من الليـل) لأنها تفوت أهمية السـجود (**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَـةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُـدُوا رَبَّ هَـذَا الْبَيْتِ** (3) قـريش) وقوله تعالى (وربّك فكبّر) فلا يصح التقديم بدون الفاء. أفاد التقديم الدلالة على أهمية الســـجود ومنزلته ويفيد الإهتمـــام لأن أصل التقديم يفيد الإهتمام وهو الذي يُسوّغ إدخـال الفـاء في كل أحوالها تدل على عظم منزلة السجود.

وعنـدما أوصى تعـالى رسـوله ﷺ أن يقـوم الليل (**قُمِ اللَّيْـلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْـهِ وَرَتِّلِ الْقُـرْآنَ تَـرْتِيلًا** (4) المزمـل) هنا أخّر الليل كما يقتضي الـترتيب النحوي فلماذا لم يأتي بمثل ما جاء في آية سورة الإنسان؟

هذا الأمر في سـورة المزمل جـاء في أوائل الرسـالة ثم لمّا اشـتد الأمر أصـبح فيه مشـقة ويحتـاج إلى صـبر كما في سـورة الإنسـان وهـذا في مرحلة متقدمة من الرسـالة. والقـرآن يبـدأ شـيئاً فشـيئاً وكلمة تبتّل يفيد التدرج في العبادة وتبتّل تبتيلا، وتبتيل مصدر الفعل بتّل وهو دلالة على التكثير مثل جرّح تجريح وتجرّع فأمر الله تعـالى رسوله ﷺ أن يبدأ بالتدرج وينتهي بالكثرة.

- قوله **( إِنَّ هَـؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَـةَ وَيَـذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ) (27)**

**ما هي العاجلة؟ ولم قـال ويـذرون وراءهم مع أن اليـوم أمامهم؟**

العاجلة هي الدنيا كما هو معـروف يعيشـون فيها ويتعجّلـون أمرهـا. ويذرون وراءهم لأنهم نبذوه وراءهم لو عناه أمرهم لجعلوه أمـامهم لكنهم تركـوه وراءهم هكـذا يقـول قسـم. وفي اسـتعمال العـرب لكلمة وراءهم يذكرون أنها تأتي بمعنى أمامهم كما في قوله تعـالى (من ورائه جهنم) بمعنى أمامهم، وقوله تعالى (وكان وراءهم ملك) الخـرق كـان بعد أن ركبـوا في السـفينة ولو تركـوه وراءهم لكـانوا نجـوا منـه. وراءهم تسـتعمل لمن كـان طالبـاً لك وهو أمامك كما نقـــول باللغة العامية (وراءك امتحـــان) ليست بمعـــنى خلفك لكنه يطلبك. إذن العرب تستعمل وراءك بمعنى أمامك إذا كان يطلبه.

فقوله تعالى (ويذرون وراءهم) بمعـنى تركـوه وهو يطلبهم وليسـوا بفارّين منه. واللمسة البيانية في التعبـير بـــ " وراء " بمعـنى أمـام لأن كلمة " وراء " فيها معـنى الطلب كما يطلب الغـريم غريمه (لا مفر منه طالباً له).

في سـورة القيامة قـال تعـالى (**كَلَّا بَـلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَـةَ (20) وَتَــذَرُونَ __الْآَخِـرَةَ__** (21) القيامــة) فــذكر العاجلة وذكر (وتــذرون الآخرة) فلماذا قال في سورة الإنسان يوماً ثقيلاً وفي القيامة قـال الآخرة؟

أولاً العاجلة هي نفســها في الآيــتين بمعــنى الــدنيا. أما بالنســبة لاستعمال (يوماً ثقيلا) في سورة الإنسان فلأنه تكرر ذكر اليـوم من بداية الســورة (**يُوفُـونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَـافُونَ __يَوْمًا__ كَـانَ شَــرُّهُ مُسْتَطِيرًا** (7)) و(**إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا __يَوْمًا__ عَبُوسًا قَمْطَرِيــرًا (10)) و(فَوَقَـاهُمُ اللَّهُ شَــرَّ ذَلِـكَ __الْيَــوْمِ__ وَلَقَّاهُمْ نَضْــرَةً وَسُــرُورًا** (11)) فــالكلام في الســورة عن اليــوم الــذي هو يــوم القيامة وهو اليوم الثقيل ثم عندما ينصــرف أهل الجنة إلى الجنة لا يكون ثقيلا،. أما الآخرة فهي أعمّ من اليوم.

في ســورة القيامة جــاءت الآيــات بالخطــاب المباشر (**كَلَّا بَــلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَـذَرُونَ __الْآَخِـرَةَ__** (21) القيامـة) أما في سورة الإنسان فجـاءت الآيـات باسـتعمال ضـمير الغـائب (ويـذرون وراءهم) لأن المقام في سورة الإنسان لا يناسب الخطاب المباشر ولا يصح لأنــه ذكر أن قســماً ممن ذُكــروا في الســورة لم يــذروا الآخرة (**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** ( 7)) و (**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** (8)) وقد وقــاهم الله شر ذلك اليــوم (**فَوَقَـاهُمُ اللَّهُ شَــرَّ ذَلِـكَ الْيَـوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْـرَةً وَسُـرُورًا** (11)) فلا يصح إذن الخطـاب

فكيف يخـاطبهم أجمعين وقسم منهم يفعل الخـير حـتى يقيهم الله شر ذلك اليوم فالخطاب لا يناسب.

- قوله **( نَحْنُ خَلَقْنَـاهُمْ وَشَـدَدْنَا أَسْـرَهُمْ وَإِذَا شِـئْنَا بَـدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ) (28)**

**علاقة هـذه الآية بما قبلها:** قـال تعـالى في هـذه الآية (نحن خلقناهم) وفي الآية السابقة قال تعالى (إنا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلا) وهذا يدل على أن الذي خلقهم وشد أسرهم (نحن) هو الذي أنـزل عليهم القـرآن (نحن) فينبغي لهم أن يسـمعوا لكلام خـالقهم ويطيعوا تنزيله فكأن الآية التي سبقت هي مقدمة لهم بأن يسـمعوا ما أنزل على الرسول .

**لمـــــاذا تقـــــديم ضـــــمير المتكلم (نحن) عن الفعل (خلقناهم)؟** التقديم له أكثر من سبب وإن كـان يجمعها الإهتمـام لكن مداراته مختلفـــة. وهنا تقـــديم المعمـــول على العامل (نحن: مبتدأ) و(خلقناهم: خـبر) وفي هـذه الحالة الخـبر جملة فعلية وهـذا يفيد القصر في الغالب بمعنى لأنه لم تكن هناك جهة أخــرى خلقت أو تشـاركه سـبحانه في الخلق فهو وحـده سـبحانه متفـرّد بـالخلق (بمعـنى نحن خلقنـاهم حصـراً) وكـذلك قوله تعـالى (إنا نحن نزلنا عليك القـرآن) تفيد الحصـر. فالـذي خلقهم حصـراً هو الـذي نـزّل القرآن حصراً فعليهم أن يطيعوه.

**أوجه التقديم** : يجمع التقـديم تحت عبـارة: كأنما يقـدمون الـذي هم ببيانه

وقد يقـدّم الأفضل وقد يقـدّم المفضـول حسب السـياق وقد يقـدّم كلمة على أخـرى في مكـان ويؤخرها نفسـها في مكـان آخر ولكـلٍ مقامه في البلاغة.

**وشــددنا أســرهم:** بمعــنى أحكمنا خلقهم أي أحكمنا توصــيل مفاصـــلهم وأحكمناها وثبتناها (أي إحكـــام الربـــط). والأسر هي المفاصل والعظـــام وما إلى ذلـــك. فهو الـــذي أحكم خلقهم وشد أســرهم وقد قــال تعــالى في آية أخــرى (لقد خلقنا الإنســان في أحسن تقويم) وهذا من تمام النعمة على الإنسان ومن تمام النعمة أن يطيعوه، فالخلق نعمة وشد الأسر نعمة وهو القــادر أن يفعل ما يشاء (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا).

**سؤال: لمـاذا جـاء قوله (وشـددنا أسـرهم)؟ ألا يمكن أن يقال نحن خلقناهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم؟**

نحن خلقناهم هذا أمر وشددنا أسرهم هذا أمر آخر بعد الخلق وهي نعمة أخـــــــرى بعد الخلق ولو لم يقلها لأغفلت نعمة من نعم الله

تعالى. فهو تعالى جعلهم أقوياء وهذه نعمة وليس فقط الخلق هو النعمة. مثل قوله تعالى (هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) فهناك عدة أمور بعد الخلق ومن إتمام النعمة أن يشد أسرهم فيكونوا أقوياء وخلفاء في الأرض.

**استطراد: القرآن كثيراً ما يستعمل الفعل (شدّ) ومضاعفاته مثال قوله تعالى (واشدد به أزري) فهل للفعل شدّ دلالة خاصة في اللغة؟**

شدّ في اللغة بمعنى ربط وأحكم وأوثق وشدّ. وشدّ مضعّف والتضعيف في الغالب فيه قوة وشدّ فعل ثلاثي ليس مزيداً لكن من الناحية الصوتية تجعل حرف في حرف فتعطيه قوة.

**سؤال: في أول السورة قال تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) وفي هذه الآية قال تعالى (نحن خلقناهم) فلماذا التوكيد بـ (إن) في الأولى؟**

في أول السورة أكّد بـ(إن) وهنا لم يؤكّد لأنه في أول السورة تحدث عن خلق الإنسان بعد أن لم يكن شيئاً مذكورا وهي أصعب من الخلق من أب وأم ثم يضع فيه القابلية على التوالد (وهذه هي البداية) وهي أصعب مما بعدها (نحن خلقناهم) فهذه تأتي من سلسلة الآباء من الأبناء. هذا أمر والأمر الآخر كونه خلقهم أمر غير منازع فيه عند كفار قريش وكثير من الكفار لو سألتهم من خلقهم ليقولون الله. لكنهم ينازعون في أن الخلق لم يكن ثم كان بمعنى أنه ليس له بداية كما يقول الفلاسفة والدهريون وينسبون الخلق إلى سلسلة الوجود ليس له بداية فينكرون (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر). فالذي ينازع فيه الفلاسفة إذن هو كون هناك بداية للمخلوقات والخلق (سؤالهم هل هناك بداية؟) وعليه احتاج الأمر إلى توكيد في الآية أول السورة (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج). وهناك أمر آخر قوله تعالى (نبتليه) ذكر تعالى أن الخلق الأول للإبتلاء وهذا أيضاً أمر منازع فيه وكفّار قريش كانوا ينكرون هذا ويقولون هل خلق الله الإنسان ليبتليه ثم يحاسبه؟ (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ** (7) سبأ) وكثير من الناس ينكرون هذا الأمر أيضاً حتى لو اعتقدوا فعلاً أن الله هو خالقهم. ونلاحظ من كل ما ذكرنا أن الآية في أول السورة احتاجت إلى توكيد فجاء بـ (إن) في قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) وهو الخلق الأول والبداية وخُلق للإبتلاء وكلها تقتضي التوكيد بخلاف الآية الثانية (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم).

- قوله **( وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا )** .
جاء هنا بـ (إذا دون (إن) وكما سبق وذكرنا في حلقات سابقة أن استعمال (إذا) يكون للقطع لكثير الوقوع وللمتيقن وقوعه بخلاف (إن) التي تستعمل إذا كان هناك احتمال للوقوع أو المشكوك في وقوعه. واستعمال (إذا) هنا يدل على أن الله تعالى سيبدّل أمثالهم ويأتي بأناس مؤمنين مكانهم فالمشيئة حاصلة وقد تمّت.

- قوله **( هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ) (29)**
باختصار هذه الآية هي نظير قوله تعالى (إنا هديناه السبيل) فالتخيير هنا كالتخيير هناك. فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا مكان شاكراً ومن لم يفعل ذلك يكون كفورا.

- قوله **( وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ) (30)**
إن مشيئتكم واختياركم كان بمشيئة الله تعالى ولو لم يرد الله تعالى ذلك لما أعطى هذا الإختيار.

- قوله **( يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ) (31)**

**<u>ما دلالة هذه الآية وربما يكون هناك من لا يستحق رحمة الله تعالى؟</u>**

ذكر تعالى أمرين يرفعان هذا الإحتمال:
الأمر الأول : أنه قال الله تعالى قبل هذه الآية (إن الله كان عليماً حكيما) يفعل ذلك لعلمٍ وحكمة ولا يفعل سبحانه إلا لحكمة. ومعناها أنه لا يُدخل في رحمته إلا من علم سبحانه أنه يستحق.
والأمر الآخر : قال بعدها (والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما) استثنى سبحانه من دخول رحمته الظالمين. فقوله تعالى يُدخل من يشاء في رحمته استثنى الظالمون ولا يُدخل سبحانه إلا من يستحق واقتضاه العلم والحِكمة.

**<u>سؤال: لماذا جاءت كلمة الظالمين منصوبة؟</u>** هذا يسموه الإشتغال في باب النحو ، وكلمة الظالمين مفعول به مقدّم لفعل إما أن يكون من نفس الفعل أو أن يكون بمعناه كأن نقول مثلاً زيداً سلّمت عليه بمعنى حييت زيداً سلّمت عليه لأن فعل سلّم لا ينصب مفعولاً به. وكذلك قوله تعالى السماء رفعها بمعنى رفع السماء رفعها. فإذا كان الفعل يصحّ أن يتسلّط على الأول يُقدّر نفسه وإذا كان لا يصحّ يقدّر ما هو قريب منه. فالنصب هنا من باب الإشتغال وله أغراض عديدة وربما نُفرد له حلقة خاصة لاحقاً.

**سؤال: يقول تعالى في أول السورة (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا) وفي هذه الآية قال تعالى (والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما) فهل هذا يدل على أن العذاب الأول أشد من الثاني؟**

في الآية الأولى قال تعالى (للكافرين) وهنا قال (للظالمين) وليس بالضرورة أن يكون الظالم كافراً، فكل كافر ظالم وليس بالضرورة أن يكون الظالم كافراً. قال الله تعالى (والكافرون هم الظالمون) إذن قطعاً لا بد أن يكون العذاب الأول أشدّ لأنه ذكر الكافرين صراحة وهنا عمّم صراحة فقال الظالمين فمنهم الكافر فيشمله الأول ومنهم من هو غير الكافر فيشمله العذاب الخاص به. والظلم في القرآن جاء في موضع الشرك (إن الشرك لظلمٌ عظيم) والظلم في القرآن قد يكون حتى في الأشياء الخفيفة كما قال الله تعالى (ربنا ظلمنا أنفسنا) و (رب إني ظلمت نفسي) فالظلم يأتي من أشياء قليلة وقد يصل إلى الشرك الأكبر. وكل مشرك ظالم لكن ليس كل ظالم كافر ولهذا اختلف العذاب حسب الدرجة.

**ارتباط خاتمة السورة ببدايتها:**

بدأت السورة بالإنسان وهو لم يكن شيئاً مذكورا وانتهت بخاتمة هذا الإنسان ومصيره فبدأت ببدئه وخُتمت بخاتمته ومصيره فكأنها رحلة الإنسان ولهذا سُميّت سورة الإنسان. ويذكر الله تعالى في السورة كل ما يتعلق بالإنسان وهو في الحياة وهو يخاف من ربه ويخاف من اليوم الآخر وهذه هي رحلة الإنسان. إذن سورة الإنسان بدأ بالإنسان وقبل بدئه وانتهت بخاتمته ومصيره وكأنها تمثّل عمر الإنسان.

وأمر آخر هو أنه تعالى في أول السورة ذكر الشاكر والكفور وفي خاتمتها ذكر المرحوم (يُدخل من يشاء في رحمته) والمعذُب (والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما).

**الخطوط التعبيرية في السورة:**

الواضح في هذه السورة أنها بُنيت على التثنية ووردت الأشياء فيها صنفين على سبيل المثال:

- ذكر صنفين من الناس: الشاكر والكفور، وفي آخرها ذكر المرحوم والمعذّب.
- ذكر صنفين من العذاب: القيود والسعير.
- وذكر صنفين من القيود: السلاسل والأغلال.
- وذكر صنفين من أصحاب الجنة: الأبرار وعباد الله السابقين.

- وذكر نوعين من الشراب الممزوج: الممزوج بالكافور والممزوج بالزنجبيل.
- وذكر نوعين من العبادات الظاهرة: الوفاء بالنذر والإطعام.
- وذكر نوعين من العبادات القلبية: الخوف (نخاف من ربنا) والإخلاص (إنما نطعمكم لوجه الله).
- نفى المُطعمون عن أنفسهم أمرين: الجزاء (وهو المكافأة بالفعل) والشكور (الثناء باللسان).
- لقّاهم شيئين: النضرة (وتكون في الوجه) والسرور (في القلب).
- جزاهم الله تعالى بصبرهم شيئين: الجنة (للأكل) والحرير (للبس).
- ونفى عنهم رؤية شيئين: الشمس والزمهرير.
- وذكر دنو شيئين منهم: الظلال والقطوف.
- ذكر الطواف بشيئين: الآنية والأكواب.
- ذكر الشُرب بصورتين: من الكأس ومن العين.
- وذكر نوعين من الشرب من الكأس: شرب بساقي وشرب بدون ساقي.
- ذكر نوعين من الثياب: سندس واستبرق.
- ذكر نوعين من الزينة: لباس وأساور.
- ذكر لهم شيئين: جزاء وسعيكم مشكورا.
- نهى عن إطاعة صنفين من الناس: الآثم والكفور.
- طلب من الرسول  الصلاة والتسبيح في النهار والليل.
- ذكر وقتين: بكرة وأصيلا.
- ذكر عبادتين في الليل: السجود والتسبيح.
- ذكر حياتين: الدنيا (العاجلة) والآخرة.
- وذكر الحبّ والترك (يحبون ويذرون).
- ذكر أمرين من أمر الإنسان: الخلق وشدّ الأسر.
- ذكر مشيئتين: مشيئة الله تعالى ومشيئة الإنسان (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، ويخل من يشاء في رحمته).
- ختم بصنفين من الناس: المرحوم (يُدخل من يشاء في رحمته) والمعذّب (والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما).

**والسورة فيها خط آخر**: أنه يذكر الأحداث المستقبلية بالفعل الماضي: (إنا أعتدنا للكافرين) (كان مزاجها) (كان شره مستطيرا)

(فوقّاهم) (ولقّاهم) (وجزاهم) و(ذُللت) (كـانت قـواريرا) (قـدّروها) (حُلّوا) (سقاهم) (كان لكم جزاء) (كان سعيكم) (أعدّ لهم).

**هل للتعبـير عن المسـتقبل بالفعل الماضي دلالة بيانية محددة في اللغة؟**

العرب والقرآن يُعبّـرون عن الأحـداث الماضـية بفعل مضـارع وعن الأحداث المستقبلية بفعل ماضي. والتعبير عن الأحداث المستقبلية بالفعل الماضي دلالة على أن هــذا الأمر واقع وهو بمنزلة ما مضى من الأفعال. فلا شك في وقـوع حـدث ماضي لأن الفعل الماضي لا شك في حدوثه فهذه الأحداث المستقبلية وإن كانت مستقبلة فهي بمنزلة ما مضى من الأفعـــال ولا شك بوقوعهـــا. فكما أن الفعل الماضي حصل ووقع فهـــذه بدلالة ما وقع وحصـــل. كما في قوله تعالى (وسيق الذين كفروا) وكذلك قوله (ونادى أصحاب الأعراف). فهــذه الأحــداث المســتقبلية هي من التحقق بمنزلة ما مضى من الأفعال.

وبالمقابل له أكــثر من غــرض مــتى يســتعمل الفعل الماضي في المضـارع؟ قـال تعـالى (قد نـرى تقلب وجهك في السـماء) حكاية الحـــال الفعل الماضي تضـــفي عليه الحركة والحيوية وتجعله كأنه معاصر خاصة في الأمور المهمـة. وقـال تعـالى (فلم تقتلـون أنبيـاء الله من قبــل) لم يقل قتلتم وهــذا من بــاب التشــنيع على الفعل فعندما تكون الأمـور مهمة الـتي تحتـاج إلى جعلها صـورة معاصـرة لأن الإنســان يتفاعل مع الصــور الحيّة معه القريبة منه وهي ليست كالأحـداث الماضـية البعيـدة عنـه، فقد نسـمع أحـداث ماضـية ولا نتفاعل معها لكننا بالتأكيد نتفاعل مع حادثة قتل أمامنا مثلاً. فــالعرب عمومــاً إذا أرادوا حكاية الحــال ليعبّــروا عن الأحــداث الماضية يجعلونها حيّة. ويقول النحاة إما ينقلك إلى الحـدث أو ينقل الحدث إليك. وكلاهما تعبـير عن الأفعـال الماضـية بالفعل المضـارع ويـدخل في زمن الفعـل. وللفعل أزمـان متعـددة، وللفعل الماضي وحده 16 زمن وما يُدرس في المدارس والجامعــات هو زمن واحد أي الماضي فقط.

فالتضاد من الخطوط التعبيرية في السـورة فما فائـدة التضـادّ في اللغة؟ التضاد يُبرز المعنى ويوضحه. والشيء يُظهر حسنه الضدّ.

# لمسات بيانية في سورة الليل

**قوله : ( والليل إذا يغشى ` والنهار إذا تجلى ` وما خلق الذكر والأنثى ` إن سعيكم لشتى ` )**

**ما الحكم البياني في استخدام بالفعل المضارع (يغشى) مع الليل والفعل الماضي (تجلى) مع النهار؟**

سورة الليل تبدأ بقوله تعالى (والليل إذا يغشى) هو سبحانه أقسم بالليل وقت غشيانه ونلاحظ أن المفعول لفعل يغشى محذوف فلم يقل سبحانه ماذا يغشى الليل، هل يغشى النهار أو الشمس لأنه سبحانه أراد أن يطلق المعنى ويجعله يحتوي كل المعاني المحتملة. (والنهار إذا تجلى) أي كشف وظهر.

واستعمال صيغة المضارع مع فعل يغشى هو لأن الليل يغشى شيئاً فشيئاً بالتدريج وهو ليس كالنهار الذي يتجلى دفعة واحدة بمجرد طلوع الشمس. أي أن عملية الغشيان تمتد ولذا احتاج الفعل لصيغة المضارع، أما النهار فيتجلى دفعة واحدة لذا وجب استخدام صيغة الماضي مع الفعل تجلى. والآيات هنا مشابهة لآيات سورة الشمس في قوله تعالى: (والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها) فصيغة الأفعال متعلقة بالتجلي والغشيان.

- قوله **( وما خلق الذكر والأنثى )**

**ما حكم (ما) في هذه الآية؟**

هناك احتمالان لمعنى (ما): الأول أن (ما) اسم موصول بمعنى الذي. ويعتقد الكثيرون أن (ما) تستخدم لغير العاقل فيقولون (ما) لغير العاقل و(من) للعاقل ولكن الحقيقة أن ما تستعمل لذات غير العاقل كما في قوله: (يأكل مما تأكلون منه ويشر مما تشربون) ولصفات العقلاء كما في قوله: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) (ونفس وما سواها) ويؤتى بها في التفخيم والتعظيم في صفات العقلاء، ولذلك قال تعالى (وما خلق الذكر والأنثى) ويعني به ذاته العلية.

ويحتمل أن تكـون مصـدرية بمعـنى (وخلق الـذكر والأنـثى) أي أنه سبحانه يقسم بخلق الذكر والأنثى وليس بالخالق ، وعليه فإن (مـا) تحتمل أمـــرين إما أن الله عز وجل يقسم بذاته أو أنه يقسم بفعله الـــذي هو خلق الـــذكر والأنـــثى. فلو أراد تعـــالى أن ينص على أحد المعنيين لجـاء بـذلك ولقـال سـبحانه (والـذي خلق الـذكر والأنـثى) وتـأتي ما بمعـنى اسم موصـول كما سـبق أو قـال سـبحانه (وخلق الـذكر والأنـثى) لتعطي معـنى القسم بالفعل الـذي هو خلق الـذكر والأنـــثى، ولكن الصـــورة الـــتي جـــاءت عليها الآية تفيد التوسع في المعنى فهي تفيد المعنيين السابقين معاً وكلاهما صحيح.

فيبقى مجال الترجيح في المجيء هنا بـ (ما) والاحتمال هو مقصـود لإرادة أن يحتمل التعبير المعنـيين الخلق والخـالق، كلاهما مما يصح أن يقسم به خلقه والخــــالق وربنا ســــبحانه يقسم بخلقه ويقسم بذاته. و لو أردنا أن نرجح لقلنا أن القسم هنا القسم بالخـالق والله أعلم . (وما خلق الـذكر والأنـثى) لم يقسم بـالمخلوق وإنما اقسم بالمصدر (أي خالق الذكر والأنثى) أما الليل والنهـار فهما مخلوقـان فإذا أردنا المخلوق نؤل المصدر بالمفعول أحيانـاً فيصـبح تأويل بعد تأويل أحيانـاً يطلق على المصـدر ويطلق على الـذات مثـال: (هـذا خلق الله فأروني ماذا خلق الـذين من دونـه) أحيانـاً يـراد بالمصـدر الذات. والخلق ليس مثل الليل والنهار.

<u>مثال:</u> زرعت زرعاً في اللغة العربية زرعاً هي المصدر وأحياناً يضع العـــرب المصـــدر موضع الـــذات كقوله (نخـــرج به زرعـــاً تأكل منه أنعامهم) فالزرع هنا أصبح الذات وليس المصدر.

**<u>سـؤال</u>**: يقـول السـيد مصـطفى ناصف في السـياق اللغـوي أن السـياق هو الحقيقة الأولى والكلمة خـارج السـياق لا تفي بشـيء وفائدة السياق اللغوي انه يحول معنى الكلمة من التعدد والاحتمال إلى التحديد والتعيين. فلماذا لم يحدد ربنا في هذه الآية معنى (مـا) ولم يترك المعنى هكذا بدون تحديد؟

**<u>جواب</u>**: هناك مبدأ عـام في اللغـة العربيـة: الجمـل في اللغـة على نوعين:

- ذات دلالة محددة معينة قطعية (أحل الله البيع وحرم الربا)
- ذات دلالة احتمالية (اشتريت قدح ماء) هنا تدل الجملة على احد أمرين:

إما أن أكون اشتريت القدح وإما أن أكون اشتريت ماء بقدر قدح. فإذا قلنا (اشتريت قدحاً ماءً) دلت الجملة على معنى واحد قطعي أني اشتريت الماء قطعاً ولا يحتمل أن تكون اشتريت

القدح بتاتاً
ومثــال ذلك أيضــاً لا النافية للجنس فهي قطعية كقولنــا: لا رجل حاضـر، فـإذا قلنـا: لا رجلاً حاضـراً تحتمل الجملة إما نفي الجنس (الرجال) أو نفي الوحدة (ولا حتى رجل واحد حاضر)
وفي تحديـدنا لهـذه المعـاني للجمل يجب مراعـاة ما يريد المتكلم البليغ هل يريد الاحتمـال أو القطـع.فالـذي يريد الاحتمـال له غـرض من إرادة الاحتمــال والــذي يريد القطع له غــرض من إرادة القطع وهنا تتفاوت البلاغة فالمتكلم البليغ يختار الجملة التي تؤدي المعنى الــذي يريـده. فالسـياق لا يمكن أن يـؤدي إلى بيـان المقصـود لأن المقصود قد يكون هو الاحتمال بحد ذاته في القـرآن يحـذف حـرف الجر وقد يكون هناك أربع احتمالات ومع هذا حذف الحرف لأن هذا ما أراده الله تعالى .

**قوله ( وما خلق الذكر والأنثى ` )**

**<u>ما المراد بالذكر والأنثى هنا؟</u>**

قسم من المفسرين قالوا إن الذكر هنا هو الجنس البشــري وقسم آخر قال انه كل ذكر أو أنثى من المخلوقات جميعــاً بلا تحديد وهـذا الذي يبدو على الأرجح لأن سياق الآيات كلها في هـذه السـورة في العموم والله اعلم.

**قوله : ( إن سعيكم لشتى ` )**

**<u>ما علاقة القسم (والليل إذا يغشى...) بهذا الجواب؟</u>**

منذ بداية السورة أقسم الله تعالى بأشياء متضادة: يغشى ، يتجلى، الذكر، الأنثى، الليل، النهار فجـواب القسم شـتى يعـني متبـاين لأن سـعينا متبـاين ومتضـاد فمنا من يعمل للجنة ومنا من يعمل للنــار فكما أن الأشــياء متضــادة فــان أعمالنا مختلفة ومتباينة ومن هــذا نلاحظ أنه سـبحانه أقسم بهـذه الأشـياء على اختلاف السـعي (إن سعيكم لشتى) واختلاف الأوقات (الليل والنهار) واختلاف السـاعين (الــذكر والأنــثى) واختلاف الحالة (يغشى وتجلى) واختلاف مصــير الساعين (فأما من أعطى ... وإما من بخل واستغنى)

**قوله : ( والليل إذا يغشى ` والنهــار إذا تجلى ` وما خلق الذكر والأنثى ` )**

**<u>لماذا هذا الترتيب؟</u>** نلاحظ أن الله تعـالى بـدأ بالليل قبل النهـار لأن الليل هو اسبق من النهار وجوداً وخلقاً لأن النهار جاء بعد خلق

الأجرام وقبلها كانت الـدنيا ظلام دامس والليل والنهـار معـاً اسـبق من خلق الذكر والأنثى وخلق الذكر اسبق من خلق الأنــثى (خلقكم من نفس واحــدة وخلق منها زوجهــا) فجــاء تــرتيب الآيــات بنفس ترتيب الخلق: الليل أولاً ثم النهـار ثم الـذكر ثم الأنـثى وعلى نفس التسلسل.

**ما الحكم في عـــدم اســتخدام كلمة الــزوجين في الآية ( وما خلق الزوجين الذكر والأنثى )؟**

كما يأتي في معظم الآيات الـتي فيها الـذكر والأنـثى كقوله تعـالى: (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) (سـورة القيامـة) وقولـه: (وأنه خلق الزوجين الـذكر والأنـثى)(سـورة النجم) وإنما قـال: (وما خلق الذكر والأنثى) بحذف الزوجين؟

إذا استعرضنا الآيات في سورة القيامة نرى أن الله سبحانه وتعالى فسر تطور الجنين من بداية (ألم يك نطفة ) إلى قوله ( فجعل منه الزوجين الـذكر والأنـثى ) فالآيـات جـاءت إذن مفصـلة وكـذلك في سورة النجم (وأنه هو اضحك وأبكى - إلى قوله - انه خلق الزوجين الذكر والأنثى). لقد فصل سبحانه مراحل تطـور الجـنين في سـورة القيامة وفصل القدرة الإلهية في سورة النجم أما في ســورة الليل فـإن الله تعـالى أقسم بلا تفصـيل هـذا من ناحية ومن ناحية أخـرى قوله تعالى (إن سعيكم لشـتى) يقتضي عـدم التفصـيل وعـدم ذكر الـزوجين. لمـاذا؟ لأن كلمة الـزوج في القـرآن تعـني المثيل كقوله تعـالى (وآخر من شـكله أزواج) وكلمة شـتى تعـني مفـترق لـذا لا يتناسب التماثل مع الافـتراق فـالزوج هو المثيل والنظـير وفي الآية (إن سعيكم لشتى) تفيد التباعد فلا يصح ذكر الزوجين معها. الـزوج قريب من زوجته مؤتلف معها (لتسكنوا إليها) وكلمة شتى في الآية هنا في ســورة الليل تفيد الافــتراق. فخلاصة القــول إذن إن كلمة الــزوجين لا تتناسب مع الآية (وما خلق الــذكر والأنــثى)من الناحية اللغوية ومن ناحية الـزوج والزوجة لـذا كـان من الأنسب عـدم ذكر كلمة الزوجين في الآية.

**هل يســتوجب القسم في الســورة هــذا الجــواب (إن سعيكم لشتى)؟**

المقصود في السـورة ليس القسم على أمر ظـاهر أو مشـاهد مما يعلمه النـاس ولكن القسم هو على أمر غـير مشـاهد ومتنـازع فيه والله تعالى أوضح القسم (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحســنى فسنيسره لليسرى) هذا الأمر متنازع فيه وأكثر الخلق ينكرونه (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) عموم الخلق لا يعلمون (فأما من

أعطى...) ويتنـازعون فيـه. والسـعي هنا لا يـدل على السـعي في أمـور الـدنيا من التجـارة والزراعة والصـناعة وغيرها وأن السـعي للآخرة. وكذلك قال تعالى (سـعيكم) وكأنه يخـاطب المكلفين فقط وليس عامة الناس ولـذا أكد بـاللام أيضـاً في (لشـتى) ولم يقل إن السعي لشتي.

- قوله : ( **فأما من أعطى واتقى ` وصـــدق بالحســـنى ` فسنيسره لليسرى `** )

**لماذا لم يذكر المفعولين لفعل أعطى؟**

إذا تدارسنا سـورتي الليل والشـمس لوجـدنا أن القسم في سـورة الليل وجـواب القسم مطلق ( **والليل إذا يغشى ` والنهـار إذا تجلى ` وما خلق الذكر والأنثى `** ) كلها مطلقة فلم يقل مــاذا يغشى الليل ولم يحـدد الـذكر والأنـثى من البشر وكـذلك جـواب القسم في سـورة الليل (إن سـعيكم لشـتى) مطلق أيضـاً وكـذلك (فأما من أعطى واتقى وصـدق بالحسـنى) أطلق العطـاء والاتقـاء والحسنى.

أما في سـورة الشـمس ( **والشـمس وضـحاها ` والقمر إذا تلاها ` والنهـار إذا جلاها ` والليل إذا يغشـاها ` والسـماء وما بناها ` والأرض وما طحاها ` ونفس وما ســـواها ` فألهمها فجورها وتقواها ` قد افلح من زكاها ` وقد خاب من دساها ` كذبت ثمـود بطغواها `**..) في هـذه الآيـات تحديد واضح فقد قال تعالى يغشـاها وجلاها وكـذلك حـدد في (ونفس وما سواها) خصص بنفوس المكلفين من بني البشر وكذلك في (كذبت ثمود بطغواها) محددة ومخصصة لقوم ثمود.

فكأنما سورة الليل مبنية كلها على العموم والإطلاق في كل آياتهـا. وقد أقسم الله تعـالى بثلاثة أشـياء (الليل والنهـار وخلق الـذكر والأنـثى) وذكر ثلاث صـفات في المعطي (أما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) وثلاث صفات فيمن بخل (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى)

في الآية (فأما من أعطى واتقى وصـدق بالحسـنى) لم يـذكر المفعولين المعطى والعطية والمراد بهذا إطلاق العطـاء فلم يـذكر المعطى أو العطية لأنه أراد المعطي والمقصـود إطلاق العطـاء سـواء يعطي العطـاء من ماله أو نفسه فقد يعطي الطاعة والمـال ونفسه كما نقـول يعطي ويمنع لا نخصصه بنـوع من العطـاء ولا بصـنف من العطـاء. وقد يـرد في القـرآن الكـريم مواضع فيها ذكر مفعـول واحد المـراد تحديـده وحـذف مفعـول يـراد إطلاقه كقوله

تعالى (ولسـوف يعطيك ربك فترضـى) و (إنا أعطينـاك الكـوثر) أما في سورة الليل فحذف المفعولين دليل على العموم والإطلاق.
فعل أعطى هو فعل متعـدي ولازم فهل نقـول على هـذا الفعل أن السـلوك الخـاص به في الجملة سـلوك لازم أي فعل متعـدي أم حذف مفعول؟ قسم يقول أنه هذا حـذف وقسم يقـول عـدم ذكـر. حذف عندما يقتضي التعبير الذكر، مثل جملة الصفة لا بد أن يكـون فيها ضمير يعود على الموصوف (يخافون يوماً تتقلب **فيه** القلـوب والأبصـار) ويمكن أن نحـذف كما في قوله تعـالى: (واتقـوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شـيئا) هـذا حـذف. العائد للـذكر فـإذا حـذف نقول محذوف كقولـه: (ذرني ومن خلقت وحيـدا) حـذف الهـاء في (خلقته). فيما عدى الذكر تنزيل المتعدي منزلة اللازم: لا يحتاج إلى مفعـول (إن في ذلك لآيـات لقـوم يعلمـون) أو لقـوم يفقهـون، يسـمعون، لا يحتـاج هنا إلى مفعـول ولا يريد أن يقيد العلم بشـيء. وفي قولـه: (لم تعبد ما لا يسـمع ولا يبصر ولا يغـني عنك من الله شيئاً) أراد أصل المسألة فلم يـرد أن يقيد السـمع أو البصر بشـيء معين أما في (ولا يغني عنك من الله شـيئاً) فيها ذكر وإطلاق، وهل المعـنى لا يغـني عنك إغنـاءً أو شـيئاً من الأشـياء؟ كل واحـدة لها معنى وليست الأولى كالثانية.
كذلك الفعل (اتقى). معنى اتقى هو احترز وحـذر. والفعل اتقى هنا يراد به الإطلاق أيضاً ولم يقيـده سـبحانه بشـيء فقد يقـول (اتقـوا النـار أو اتقـوا يومـاً) ولكن هنا جـاء الفعل مطلقـاً. فأما من أعطى واتقى تدل على أنه اتقى البخل.
الحسنى: اسم تفضيل وهو بمعنى تـأنيث الأحسن كما نقـول (العليا – الأعلى، الـدنيا – الأدنى) والحسـنى هو وصف مطلق لم يـذكر له موصـوف معين. وصـدق بالحسـنى معناها أنه صـدق بكل ما ينبغي التصـديق به قسم يقـول إنها الجنة وقسم يقـول الحيـاة الحسـنى وآخر الكلمة الحسنى (لا إله إلا الله) أو العاقبة الحسنى في الآخرة وقسم يقول إنها العقيدة الحسـنى ولكنها في الحقيقية تشـمل كل هـذه المعـاني عامـة، فكما حـذف مفعـولي أعطى واتقى للإطلاق أطلق الحسنى بكل معانيها بحذف المفعول وحذف الموصوف. ولو أراد سبحانه أن يعين الموصـوف لـذكره وحـدد الفعل كما في قوله (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) ولكنه أطلق لتتناسب مع بـاقي الآيات في السورة، فإذا أراد أن يطلق حذف.

**لماذا الترتيب على النحو التالي: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره للحسنى)؟**

هنـاك أكـثر من سـبب لـذلك فقد قـال قسم من المفسـرين أن التقديم في سبب الـنزول لأن هـذه الآيـات نـزلت في شـخص فعل هذه الأفعـال بهـذا التسلسل وقـالت جماعة أنها نـزلت في أبي بكر الصـديق رضي الله عنه وأخـرى قـالت إنها نـزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
وترتيب العطاء ثم الاتقاء لأنه سبحانه بدأ بـالأخص ثم ما هو أعم ثم ما هو أعم. كل معط في سـبيل الله متقي ولكن ليس كل متق معطي فـالمعطي إذن أخص من المتقي. وكل متق مصـدق بالحسنى لكن ليس كل مصدق بالحسـنى متق لـذا فـالمتقي أخص من المصـدق بالحسـنى وعلى هـذا كـان الـترقي من الأخص إلى الأعم.
إن سـعيكم لشـتى والسـعي هو العمل وأقـرب شـيء للسـعي هو العطاء. أما الإتقاء ففيه جانب سعي وجانب ترك كـترك المحرمـات وعلى هـذا نلاحظ أن الآيـات رتبت بحيث قربها من السـعي أي بتسلسل العطـاء ثم الاتقـاء ثم التصـديق وهو الأقل والأبعد عن السعي.
- قوله **( وما خلق الذكر والأنثى ` إن سعيكم لشتى ` )**
المجتمع يتكـون من الـذكر والأنـثى وأهم شـيء يقدمه الإنسـان للمجتمع هو العطـاء ؛ فهو إذن الدعامة الأولى لبنـاء المجتمع فعلى الإنسان أن يكون معطياً لا آخذاً وهذا يعني التـآزر والتكافل ثم يلي ذلك الإتقـاء وهو أن يحـذر من الإسـاءة إلى الآخـرين كما يحـذر أن يضع نفسه في موضع الإسـاءة (أي يقي نفسه ويحفظ مجتمعه الذي هو فيه) لذا يأتي الإتقـاء بعد العطـاء. أما التصـديق بالحسـنى فهي من صـفات المجتمع المـؤمن وهي من الصـفات الفردية فالمصـدق بالحسـنى لا يفـرط في حقـوق الآخـرين . وعلى هـذا الأسـاس قـدم الله تعـالى ما هو أنسب للمجتمع عامـة: العطـاء ثم الإتقاء ثم التصديق بالحسنى.
- قوله ( **فأما من أعطى واتقى ` وصدق بالحسنى ` فسنيسره لليسرى `** )
**ما معنى (فسنيسره لليسرى)؟**
اليسـرى في اللغة : هي تـأنيث الأيسر مضـاد الأعسر أو الأشق ، يقـال الأمر اليسـير والأمر العسـير، فاليسـرى هو اسم تفضـيل من الدرجة الثالثة أي أعلى درجات التفضيل.
الحكم النحوي لليسرى: إذا كان اسم التفضـيل مجـرداً من (أل) أو الإضافة أو مضاف إلى نكرة يصح التذكير (استخدام صيغة المـذكر)

فيقال أفضل رجل وأفضل امرأة ، أما إذا أضـيف الاسم إلى معرفة جــاز فيه المطابقة وعــدم المطابقــة، فــإذا عــرف بـــ(أل) وجبت المطابقة إلا إذا لم يسمع أو لم يرد عند العرب. يقال: النار الكبرى. استخدام كلمة اليسـرى جـاء بالدرجة العليا من التفضـيل من ناحية ونلاحظ انه ذكر الصــفة ولم يــذكر الموصــوف ولو أراد أن يقيد أو يحدد أمراً محدداً لذكر وقال مثلاً الخلة اليسرى أو العاقبة اليسرى أو غيره تماما كما جاء في الاسـتخدام المطلق لكلمة الحسـنى في الآية السابقة كما ورد ذكرها آنفاً.

واليسـرى يطلق على كل ما هو الأيسر سـواء من أعمـال الـدنيا أو الآخرة ، واليسرى تدور حول ثلاث محاور:

الأول: أن ييسر على غـيره أمـورهم ويسـعى في حـاجتهم ويعينهم ويغيثهم ويعطيهم بمعنى يسر الله لخير غـيره. والمحـور الثـاني أنه تتيسر أمــوره كلها فتكــون سـهلة وميســرة عليه فيما يريد من أي ضــيق وحالة تصــيبه مصــداقاً لقوله تعــالى: (يجعل له من أمــره يسـرا)، والمحـور الثـالث هو الآخـرة بمعـنى أن الله تعـالى ييسـره لدخول الجنة بيسر وسهولة وهذه عاقبة المحورين الأولين. إذن هي ثلاثة محاور تندرج تحت (فسنيسره لليسرى) وهذا مفهوم الآية.

ورد في القرآن (ونيسـرك لليسـرى) وهنا جـاءت الآية (فسنيسـرك لليسرى) لماذا هذا الاختلاف؟

السين في اللغة تفيد الاستقبال عند النحـاة بالإجمـاع ، وكثـير منهم يــذهب إلى أن الســين تفيد التوكيد (يعــني الاســتقبال مع التوكيــد) الســين وسـوف يفيـدان التوكيد والاختلاف بينهما هو أيهما ابعد زمنا لكن الاثــنين يفيــدان الاســتقبال مع التوكيد وقد بــدأ بهــذا الــرأي الزمخشري ، فالسين إذن هي للاستقبال المؤكد.

في الآية الكريمة (ونيسرك لليسرى) هي خطاب للرسول الكريم  والرسول أموره كلها ميسرة دائماً في الحـال وفي المسـتقبل لـذا قال تعالى: ونيسرك لليسـرى. أما في الآية (فسنيسـرك لليسـرى) فهي جـــاءت بعد الآية (فأما من أعطى واتقى وصــدق بالحســنى) بمعنى أن التيسير لليسـرى في هـذه الآية مرتبط بالعطـاء والإتقـاء والتصديق بالحسـنى، فـإذا أعطينا واتقينا وصـدقنا بالحسـنى عنـدها سييسرنا الله لليسرى.

**<u>ما ارتباط (فسنيسرك لليسرى) بما قبلها؟</u>**

كما قلنا سـابقاً التيسـير لليسـرى جـاء على ثلاث محـاور وقد قـال تعــالى: (فإما من أعطى) مرتبط بــالمعنى الأول لأن الــذي يعطي ييسر على الآخـــرين فأعـــانهم، الإعطـــاء هنا ينطبق على القسم

المحور الأول من محـاور التيسـير. (واتقى) قـال تعـالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتســب) وقــال تعــالى: (ومن يتق الله يجعل له من أمــره يســرا) اتقى هنا تــأتي مرتبطة بالمحور الثاني من محاور التيسير أي أن الله تعالى ييسر له أموره كلها. (وصدق بالحسـنى) مرتبط بـالمحور الثـالث لليسـرى لأن الله تعـالى يجعل له العاقبة الحسـنى ويدخله الـدار الحسـنى (للـذين اسـتجابوا لـربهم الحسـنى) فمن يصـدق بالحسـنى سـيدخل الجنة بيسر وسهولة، فالآية مرتبطة بكل متعلقات (فسنيسره لليسرى).

- قوله ( **فأما من بخل واســتغنى ` وكــذب بالحســنى ` فسنيسره للعسرى `** ) .

تقابل هـذه الصـفات ما قبلها في الآية الـتي سـبقت. وقد أورد الله تعــالى أمــرين: الشــيء ونقيضه فقــال ســبحانه: فأما من أعطى مقابلها فأما من بخـل، واتقى مقابلها واسـتغنى، وكـذب بالحسـنى مقابل وصـدق بالحسـنى. والسـورة كلها قائمة على التقابـل: الليل والنهـار، يغشى و تجلى، الـذكر والأنـثى.. اسـتغنى مقابل اتقى لأن المستغني لا يحذر شيئاً ولا يحترس والاستغناء مدعاة للطغيـان كما في قوله تعــالى: (إن الإنســان ليطغى، أن رآه اســتغنى) والــذي يطغى لا يحــذر لأنه لو كـان يحـذر لما طغى أصـلاً والمتقي يحـذر ويحــترس أما الطاغية فلا يحــذر والطغيــان مــدعاة التعســير على الآخـرين. كـذب بالحسـنى جـاءت مقابل صـدق بالحسـنى، وكـذلك جاءت (فسنيسره للعسـرى) مقابل (فسنيسـره لليسـرى) ولم يقل نعســره للعســرى لأنها تفيد الثنــاء على عكس المقصــود بالآية أنه يعسر الأمور على غيره وعلى نفسه وفي الآخرة يعسر عليه دخول الجنة.

وفي العسرى كما في اليسرى لم يـذكر سـبحانه وتعـالى موصـوفاً فتركها مطلقة وأعسر العســرى هي النــار أعاذنا الله منها جميعــا. والسورة بكاملها تفيد الإطلاق (يغشى ولم يحدد ماذا يغشـى، تجلى ولم يحدد ماذا تجلى، الـذكر والأنـثى ولم يحـدد أهما للبشر فقط أو لسائر المخلوقات، سعيكم لشـتى ولم يحـدد من عمل صـالحاً مثلاً إنما الســعي على إطلاقــه) فخط الســورة إذن هو خط الإطلاق والعموم من أولها إلى آخرهـا. كما أنه لم يحـدد الحسـنى كـذلك لم يحــدد اليســرى ولم يحــدد العســرى وحــتى (من أعطى واتقى) لم يحدد العطاء والاتقاء.

- قوله ( **وما يغني عنه ماله إذا تردى `** )

**لماذا جاءت هذه الآية عقب الآية السابقة: (فإما من بخل واسـتغنى وكـذب بالحسـنى) ولم تـأت آية مثلها عقب الآية: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى)؟**

في الآية ذكر الله تعـالى أن الـذي بخـل، بخل بماله واسـتغنى من الغنى فلما بخل ذكر (ما يغني عنه ماله) و(ما يغني عنه ماله) وضع المفسـرون لها احتمـالين: الأول أن تكـون نافية والثـاني أن تكـون استفهامية ومن بـاب التقريع والتـوبيخ. ويسـمى هـذا في اللغة من بـاب الاتسـاع في المعـنى، فلو أراد تعـالى بالآية معـنى الاسـتفهام لقال تعالى: (ماذا يغني عنه ماله) ولو أراد النفي لقـال تعـالى: (لم يغني عنه ماله) وإنما جاء سبحانه وتعالى بلفظ يتسع للمعنـيين وهو يريدهما معا فكأنما يريد القول مـاذا يغـني عنه ماله ولم يغـني عنه ماله، أي يريد الاستفهام للتـوبيخ والتقريع والنفي أيضـاً ولهـذا يضع سبحانه وتعالى جملة فيها اتساع في المعنى وهذا الأسـلوب يتكـرر في القرآن فقد يستعمل سبحانه وتعالى ألفاظاً تحتمل معاني عـدة قد تصل إلى أربع أو خمس معـاني للفظ الواحد وهـذا من البلاغة التامة حتى لا تتكرر الآية بمعنى مختلف في كل مرة وإنما يؤتى بها بلفظ معين يتسع لكل المعاني المقصودة. وهذا لا يعـني تناقضـاً أو عدم تحديد في القرآن كما قد يتبادر إلى أذهـان المستشـرقين لأن الله تعـالى عنـدما يريد التقييد يـأتي بحـرف أو كلمة محـددة تفيد المعنى المراد كما في قوله سبحانه: (اذكروا الله ذكـراً كثـيرا) فقد حدد هنا الذكر الكثير وفي موضع آخر (واذكـروا الله كثـيراً) لم يـرد التقييد ولم يحدد إنما أطلق المعنى.

فالقاعـدة أن ننظر مـاذا يريد المتكلم البليـغ، هل يريد التحديد فهو يحدد. في الآية الكريمة: (ولا تشـركوا به شـيئا) سـورة النسـاء، آية 36، فيها إطلاق والآية: (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فيها تخصـيص. في الآية الأولى لا ندري ما المقصود بـ (شيئا) هل شيئا من الأشـياء التي يشرك بها كالأصـنام أو الأشـخاص أو غـيره أو المقصـود شـيئا من الشرك (شرك أعلى أو شرك أصغر) ولو أراد أن يخصص لقال كما في الآية (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) سـورة الكهـف، آية 110، أحــدا هنا لا تحتمل غــير معناها لأنها محــددة. لــذا فــإن الآية (ولا تشركوا به شـيئا) تحتمل المعنـيين والمـراد منها أن لا نشـرك بالله شيئا من الشرك أو شيئا من الأشياء كالأصنام والبشر وهذا يسـمى اتساع في المعـنى. مثـال آخر في الآيـة: (فبظلم من الـذين هـادوا حرمنا عليهم طيبـات أحلت لهم وبصــدهم عن سـبيل الله كثـيرا) سورة النسـاء، آية 160، هل المعـنى خلقا كثـيرا أو صـدا كثـيرا أو

زمنا كثـيرا؟ إنها كل هـذه المعـاني الصد الكثـير والخلق الكثـير والوقت الكثير ولو أراد سبحانه أحد هذه المعـاني فقط لجـاء بلفظ يدل على المعنى المطلوب ولحدد وخصص.

**ما الحكم البياني في اسـتخدام (إذا) بـدلا عن (إن): (وما يغـني عنه ماله إن تـردى) بـدل (وما يغـني عنه ماله إذا تردى)؟**

**إذا** في كلام العرب تستعمل:

- للمقطـوع بحصـوله كما في الآيـة: (إذا حضر أحـدكم الموت) ولا بد أن يحضر الموت، (فإذا انسلخ الأشـهر الحـرم) ولا بد للأشـهر الحـرم من أن تنسـلخ، وقوله تعـالى: (وتـرى الشـمس إذا طلعت) ولا بد للشـمس من أن تطلع وكقولـه: (فإذا قضيت الصلاة) ولا بد للصلاة أن تنقضي.
- وللكثـير الحصـول كما في قوله تعـالى: (إذا قمتم إلى الصـلاة..) و (وإذا حـييتم بتحية فحيـوا بأحسن منها أو ردوهـا) تفيد الحدوث الكثير.

وإذا جاءت (إذا) و(إن) في نفس الآية تدل (إذا) على الكثـير و(إن) على الأقل كما في قوله تعالى: (وإن تعجب فعجب قـولهم ءإذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديـد. ) سـورة الرعـد، آية 5، والآيـة: (يا أيها الذين آمنـوا إذا قمتم إلى الصـلاة فاغسـلوا وجـوهكم وأيـديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسـكم وأرجلكم إلى الكعـبين وإن كنتم جنبا فـاطهروا) سـورة المائـدة، آية 6، فإقامة الصـلاة أكـثر حـدوثا من الجنابة لـذا اسـتعملت (إذا) مع إقامة الصـلاة و(إن) مع الجنب. والآية:( فـإذا أحصن فـإن أتين بفاحشة فعليهن ما على المحصـنات من العذاب) سورة النساء، آية 25. فالمحصنات أكـثر من اللـواتي يأتين بفاحشة مبينة.

(**إذا**) وردت في القرآن الكريم في 362 موقعاً ولم تأت في موقع غير محتمل البتة فإما أن تأتي بأمر مجزوم بوقوعه كما في الآيـات الـتي تصف الآخـرة كقولـه: (إذا الشـمس كـورت، وإذا النجـوم انكدرت...) وقوله: (إذا السماء انفطرت، وإذا الكـواكب انتـثرت..) لأن كل آيات الآخرة مقطـوع بحصـولها، او كثـير الحصـول كما ورد سابقاً.

(**إن**) تستعمل لما قد يقع ولما هو محتمل أو مشـكوك فيه أو نـادر أو مسـتحيل كما في قولـه: (أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سـرمدا) الموقف هنا افتراضـي، وقولـه: (وإن يـروا كسـفا من

السماء ساقطا..) لم يقع ولكنه احتمال. وقوله تعالى: (انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه..) افتراضي واحتمال وقوعه.
والـتردي حاصل والـتردي إما أن يكـون من المـوت أو الهلاك ، أو تردى في قبره، أو في نار جهنم فماذا يغني عنه ماله عنـدها؟وهـذه ليست افتراضاً وإنما حصـولها مؤكد وهي أمر حاصل في كل لحظة ولهـذا السـبب جـاء بلفظ (إذا) بـدل (إن) لأن (إذا) مؤكد حصـولها) و(إن) مشكوك فيها أو محتمل حدوثها. وهـذه إهابة بالشـخص أن لا يبخل أو يطغى أو يكـذب بالحسـنى ، إذن لا مفر منه فلمـاذا يبخل ويعسر على الآخرين ويطغى ويكذب بالحسنى؟

- قوله ( **إن علينا للهدى ` وإن لنا للآخرة والأولى `** ) .

**ما هو المعـنى العـام للآيـات وارتباطها بما سـبقها وما تلاها من الآيات؟**

**قوله : ( إن علينا للهدى `** ) .

هـذا التعبـير (إن علينا للهـدى) يحتمل معنـيين: الأول علينا أن نـبين طريق الهـدى بمعـنى أن الله تعـالى يتكفل ببيـان طريق الهـدى، والثاني أن الهدى يوصل صاحبه إلى الله. طريق الهـدى في النتيجة يوصل إلى الله عز وجل (إن ربي على صراط مستقيم) (فمن شاء اتخذ إلى ربه سـبيلا) من أراد أن يبتغي مرضـاة ربه يسـلك هـذا الطريق ومثلها قوله تعـالى (وعلى الله قصد السـبيل) والقصد هو اسـتقامة الطريـق. فمعـنى الآية علينا أن نـبين الطريق المسـتقيم والطريق المستقيم يوصل إلى الله تعالى.

**<u>ما الحكم البيـاني في التقـديم والتـأخير في الآية (إن علينا للهدى) بدل القول إن الهدى علينا؟</u>**

التقـديم في هـذه الآية يفيد القصـر. إن معرفة وتقـديم الخـبر يفيد القصر. طريق الهـدى يبينه الله تعـالى فقط وليس هنـاك معه جهة أخرى، أي أن الهدى يعود إلينا (أي الله تعالى) حصراً وأي هدى من غـير طريق الله فهو غـير مقبـول ومرفـوض ولا يوصل إلى الله عز وجل. فالجهة التي تبين طريق الهدى هو الله تعالى حصراً.
وقول: إن الهـدى علينا يتضـمن المعـنى السـابق لكنه لا ينفي كـون جهة أخرى توصل إلى الهـدى ولكن الله تعـالى حصر الهـدى به جل وعلا.

**<u>ما الحكم البياني في استخدام التوكيد بـ(إن) وبـ(اللام)؟</u>**

التوكيد يكـون بحسب الحاجة وبحسب إنكـار المخـاطب للأمـر. إذا كـان المخـاطب يقبل الأمر لا يوجد داعي للتوكيد لكن أكـثر النـاس يرفضـون هـذا الأمر لقوله تعـالى: (وما أكـثر النـاس ولو حرصت بمؤمنين) (وإن تطع أكـثر من في الأرض يضـلوك عن سـبيل اللـه) وهذا الشيء ينـازع فيه كثـير من النـاس في زمن الرسـول أو الآن ويرفضون الفكرة وينسبون الهدى لأنفسهم وأنهم هم الـذين يبينونه وينـازعون فيه لـذا وجب التوكيـد، لـذا المسـألة تحتـاج إلى توكيد بـالمعنيين: الهـدى علينا حصـراً والمعـنى الآخـر: طريق الهـدى هو الطريق الـذي يوصل إلى اللـه. ولو جـاءت الآية (إن الهـدى لعلينـا) هذا يؤكد المعنى الثاني ويؤدي إلى فوات معنى الحصر الأول.

في عموم القرآن هناك ارتباط بين الآيات وما يسبقها أو يليهـا، (إن علينا للهــدى)مرتبطة بما قبلها (إن ســعيكم لشــتى) لأنه لو ابتغى الناس الهدى عند الله لما تشـتت سـعيهم ومرتبطة بالآية (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسـنى) لأنها من الهـدى الـذي ييسـره الله تعالى.

- قوله ( **وإن لنا للآخرة والأولى** ` ) .

وهـذه الآية مرتبطة أيضـاً بما قبلها (فأما من أعطى واتقى وصـدق بالحسـنى) (وأما من بخل واسـتغنى وكـذب بالحسـنى) لأن الـذي يعطي ويتقي يريد الآخرة فقـال الله تعـالى (إن لنا للآخـرة) والـذي يبخل يريد الدنيا فقال تعـالى (والأولى) فـالآخرة والأولى لله وحـده فيجب أن نتبع هدى الله تعالى في الأولى والآخرة. ومرتبطة كـذلك بالآية (فسنيســره لليســرى) (فسنيســره للعســرى) لأن التيســير والتعسير إما أن يكونا في الدنيا أو في الآخرة ولله الآخرة والأولى. إذن علينا أن نتبع ما أراد الله منا.

**ما الحكم البياني في تقديم الآخرة على الأولى؟**

التقديم والتأخير في القرآن عمومـاً مرتبط بسـياق الآيـات فأحيانـاً يقدم المفضول على الأفضل وقد يقدم المتـأخر على المتقـدم. ولو نظرنا في سياق الآيات في هذه السورة لوجدنا أن الله تعالى قـدم الآخرة لتقدم طالبها (فأما من أعطى واتقى وصدق الحسنى) وأخّر الأولى لتأخر طالبها (فأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى).

**في سورة القصص وردت الآية: ( فله الحمد في الأولى والآخرة) أي تقـدم ذكر الأولى على الآخـرة وفي سـورة**

**الليل تقــدم ذكر الآخــرة على الأولى فما الفــرق بين الآيتين؟**

في سورة القصص سياق الآيات (70 – 73) هو في نعم الدنيا من الآيـــة: (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخـــرة وله الحكم واليه ترجعـون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سـرمداً إلى يوم القيامة من إله غـير الله يـأتيكم بضـياء أفلا تسـمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهـار سـرمداً إلى يـوم القيامة من إله غير الله يـأتيكم بليل تسـكنون فيه أفلا تبصـرون، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيع ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) فالسـياق كله في الـدنيا وما أودع الله تعـالى من النعم في الأولى. فلذا ناسب تقـديم الأولى على الآخـرة في سـورة القصـص. وقـال تعالى: (وله الحمـد) أيضـاً الـذي يـدل على أن النعم يجب أن تقابل بالحمد والشكر والاختيار ناسب السياق للآيات وهو تـذكير للإنسـان بنعم الله تعالى في الدنيا ، أما في سورة الليل فقال تعـالى (إن لنا للآخرة والأولى) لم يذكر الحمد وقدم الآخرة كما سبق وفصلنا.

والتوكيد بـــ(اللام) في كلمة (للآخــرة) فيه اختلاف مع آية ســورة النجم (فلله الآخرة والأولى) فما الحكم البياني في هـذا التوكيد في سورة الليل؟ التوكيد في سورة الليل جـاء مناسـباً لسـياق الآيـات، فســياق الآيــات في ســورة الليل جــاء كله في الأمــوال وامتلاكها والتصرف فيها (فأما من أعطى) والمعطي لا بد أن يكون مالكاً لما يعطيه، (وأما من بخل واستغنى) والبخيل هو أيضاً مالك للمـال لأنه لو لن يكن يملكه فبم يبخل؟ وكذلك الـذي اسـتغنى وهو من الغـنى ثم ذكر المـال (وما يغـني عنه ماله إذا تـردى) و (الـذي يـؤتي ماله يتزكى) فالسورة كلها في ذكر الأموال وتملكها والتصرف فيها فلـذا ناسب التوكيد بـاللام هنا لأن الآخـرة والأولى من الملك لله حصـراً. أما في سورة النجم فسياق الآيـات ليس في المـال ولا في التملك أصلاً فلم يؤكد باللام.

**في الآية جـاءت كلمة (الأولى) مقابل (الآخـرة) ولم تـرد مثلاً كلمة (الـــدنيا) مقابل (الآخــــرة) ما الحكم في استخدام الأولى بدل الدنيا؟**

الحقيقة أولاً وللعلم لم يرد في القرآن الكريم كله ولا مرة واحدة لفظ الدنيا مع الآخرة إنما ورد دائماً كلمـتي الأولى والآخـرة. ولهـذا أسبابه البيانية:

1. الأولى أعم من الدنيا في الاستعمال القرآني وفي اللغة أيضاً. القرآن يستعمل الدنيا لما يحيا فيه الإنسان ويعيش كقوله تعالى: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) و (اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) و (متاع الدنيا قليل)، أما الأولى فتستعمل عامة لما يعلمه الإنسان وما لا يعلمه من أمر السموات والأرض فكلها الأولى. فالأولى إذن أوسع من الدنيا. ولما أراد الله تعالى أن يذكر سعة الملك في سورة الليل ناسب أن يأتي بكلمة الأولى التي هي أعم وأوسع.
2. الثاني أن كلمة الدنيا نفسها هي مؤنث الأدنى ومن معانيها الأقرب والأخس والدون والأقل كما في قوله تعالى (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) فلما أراد الله تعالى أن يذكر في سورة الليل سعة ملكه وعظمته لم يناسب ذكر كلمة الدنيا التي قد تحتمل في معانيها (الدون أو الأقل). إذن كلمة الدنيا لا تناسب هنا من حيث الدلالة اللغوية واشتقاقها ومن حيث السياق أيضاً.

- قوله ( **فأنذرتكم ناراً تلظى ` لا يصلاها إلا الأشقى ` الذي كذب وتولى `** ) .

هذه الآيات مرتبطة بقوله تعالى (إن علينا للهدى* وإن لنا للآخرة والأولى) لأن هذا من الهدى ، أنذرنا هو من الهدى الذي ينبه الله تعالى منه (إن علينا للهدى) وهذا في الآخرة فهي مرتبطة بـ (وإنا لنا للآخرة). وفي سورة الليل ذكر الله تعالى الإنذار ولم يذكر التبشير ولذلك اقتصر على ذكر النار ولم يذكر الجنة لأن ذكرها تبشير وليس هنا مقام التبشير. كما ذكر للأشقى صفتين: التكذيب والتولي، (الذي كذب وتولى) كذب: بمعنى كذب بكل مفردات الإيمان، وتولى بمعنى أدبر عن الطاعات واشتغل بالمعاصي. فجاءت كذب مقابل (وصدق بالحسنى) وتولى وقابل (أعطى واتقى) لأن عدم العطاء من التولي. وهذه الآية (لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى) توكيد للآية السابقة (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى) وهي أعم منها أيضاً لأن التولي أعم من البخل والاستغناء فالتولي لا يقتصر على البخل والاستغناء إنما هو تولي عن كل الطاعات وإدبار عنها عموماً. وكذّب أعم من (كذّب بالحسنى) لأنه كذّب بالحسنى وبغير الحسنى.

إذن لما عمّ السوء وانتشر أصبحت العاقبة أشد من الأولى و لما كان هذا أعم كانت العاقبة أسوأ لأن الأول بخل واستغنى وكذب بالحسنى وهذا كذب عموما وتولي عام لذا كان يجب أن تكون

العقوبة أسوأ، أولاً وصفه بالأشقى وذكر أن له ناراً تلظى أما في الآيات السابقة اكتفى بـ (فسنيسره للعسرى) وهذه العاقبة أخف.
ما الحكمة في الإتيان بفعل (فأنذرتكم) بصيغة الماضي وقد ورد هذا الفعل بصيغة المضارع في آيات أخرى في القرآن؟: جاء الفعل بصيغة المضارع لأن الله تعالى أنذرهم هنا بشيء واحد ألا وهو ناراً تلظى بمعنى شيء واحد وانتهى، كما في قوله أيضاً (فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) و(إنا أنذرناكم عذاباً قريبا). أما في قوله تعالى (إنما أنذركم بالوحي) فالإنذار هنا مستمر طالما الوحي مستمر بالنزول ولا ينتهي لذا جاءت صيغة الفعل المضارع.
ما الحكم البلاغي في مجيء الآية (فأنذرتكم ناراً تلظى) بدون توكيد على خلاف ما جاء في سورة النبأ (إنا أنذرناكم عذاباً قريبا). سورة النبأ فيها توكيد لأن الإنذار في سورة النبأ متسع ومتكرر من أول السورة إلى أوسطها إلى آخرها (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) (إن جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآبا،...جزاء وفاقا..فذوقوا ..) (إنا أنذرناكم عذاباً قريبا) فهو إنذار متسع طويل وفيه بسط ومتصل ومكرر فهو أدعى للتوكيد من سورة الليل. أما في سورة الليل فلم يرد الإنذار إلا في آية واحدة لذا لا تحتاج إلى توكيد.
- قوله ( **وسيجنبها الأتقى ` الذي يؤتي ماله يتزكى `** ) .
لماذا لم ترد الآية على نفس سياق ما قبلها (ولا يجنبها إلا الأتقى) لا تصح لأن في هذا جلالة على أنه لن يجنبها إلا الأتقى بمعنى أن المتقون لن يجنبوها وفي هذا ظلم للمتقين وحاشا لله أن يكون هذا. وهذا من رحمة الله تعالى بعباده لأن معنى الآية أن الله تعالى يجنب الأتقى وغير الأتقى أيضاً فرحمته سبقت غضبه. في العذاب حصر (لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى) وفي الرحمة أطلق سبحانه هو الرحيم.
إجمالاً في هذه الآية والتي قبلها ذكر مقابل الأشقى الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى. فالصفة العليا (الأتقى) الذي يؤتي ماله (الوصف الأعلى للإنفاق ولم يقل من ماله إنما قال ماله ولم يقل المال) والتزكي (أعلى درجات التصديق).
في السيئة بدأ من الخاص إلى العموم (أما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) وفي الحسنة ترقى من الأفضل إلى الأفضل (الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) أعطى مقابل يؤتي ماله، واتقى مقابل الأتقى وصدق بالحسنى مقابل يتزكى لأن صدق بالحسنى هي أعلى الدرجات لأن فيها الإخلاص.

**سيجنبها: استخدم الفعل بصيغة المبني للمجهول فلماذا لم يستخدم الفعل (سيتجنبها)؟**
الآية فيه تحذير وإنذار عظيم إلى الناس لأن الأتقى لا يتجنبها بنفسه وإنما الأمر يعـود إلى خـالق الخلق وخـالق النـار ، فالله تعـالى هو الـذي يجنب عبـاده النـار ولا أحد يسـتطيع أن يتجنبها بنفسه أبـداً. ونظـير هـذه الآية ما جـاء في قوله تعـالى (فمن زحـزح عن النـار وأدخل الجنة فقد فـاز) (وإن منكم إلا واردها كـان على ربك حتمـاً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) سورة مـريم. لا يسـتطيع النـاس أن ينجـوا بأنفسـهم من النـار ولو كـان أحـدهم الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى إنما ألمر يعود لخـالق النـاس وخـالق النار سبحانه.
جاء في كثير من الآيات في القرآن الكريم قوله تعالى (ينجي الله) (ننجي الـذين اتقـوا) فما الحكمة في الآية هنا (سـيجنبها الأتقى)؟ هناك فرق بين التجنيب والتنجية. التنجية قد تكـون بعد الوقـوع في الشـيء ومعاناته كما في قوله (وإذ نجينـاكم من آل فرعـون يسومونكم سوء العذاب) بمعنى أنهم ذاقوا العـذاب ثم نجـاهم الله تعالى فكانت النجاة بعد الوقـوع في المكـروه. وكـذلك قوله تعـالى (ثم ننجي الذين اتقوا ونـذر الظـالمين فيها جثيـا) بعـدما وقعـوا في النار ينجي الله تعالى الذين اتقوا. وكذلك في قصة سيدنا يـونس  (فاسـتجبنا له ونجينـاه من الغم وكـذلك ننجي المؤمـنين) سـورة الأنبياء، آية 88، كان قد وقع في الكرب ثم نجـاه الله تعـالى منه . إذن النجاة تقع بعد الوقـوع (ننجي الـذين اتقـوا). أما التجـنيب فهي التنحية بمعـنى أنه لا يقع في المكـروه أصـلاً (سـيجنبها الأتقى) والأتقى في المرتبة الأعلى فهو لا يقع في التجربة أصـلاً. إذن مع اتقـوا يسـتعمل القـرآن لفظ (التنجيـة) ومع الأتقى يسـتعمل (التجنيب).
- قوله ( **وما لأحد عنـده من نعمة تجـزى ` إلاّ ابتغـاء وجه ربه الأعلى ` ولسوف يرضى `** ) .
عنـدما يـؤتي ماله ليس لأحد فضل عليه يؤديه له وإنما يفعله لوجه الله تعالى وعمله غير مشوب بشائبة فهو لا يرد معروفـاً لأحد وإنما ابتغـاء وجه الله من غـير توقع رد جميل وإنما هو خـالص لوجه الله وهذا هو منتهى الإخلاص. ليس لأحد فضل فيجازيه عليه وإنما يفعله خالصاً لوجه الله تعالى.

ولسـوف يرضـى: فيها احتمـالين أن تكـون للشـخص الـذي يرضى بثوابه في الآخرة (الأتقى الذي أعطى ماله) أو هو الـذي يبتغي وجه ربه الأعلى إذن سيرضى الله عنـــه، وهي الحــالتين معــاً سيرضى بثوابه فيما أعج الله تعالى له من كرامة ورضوان الله أعلى شيء ( ورضوان من الله أكبر) أكبر من الجنات. وقالوا في الأثر: تحتـاجون لعلمائكم في الجنة كما كنتم تحتاجون إليهم في الدنيا قـالوا كيف يا رسول الله قال يطلع الله على أهل الجنة فيقـول سـلوني سـلوني ولا يعرفون ما يسألونه فيذهبون إلى علمائهم فيقولون مـاذا نسـأل ربنا فقالوا اسألوه رضوانه وهو أعلى شيء.

الخطـوط التعبيرية في السـورة: خط العمـوم، خط المقابلـة، خط التفضيل.

خط العموم: السـورة كلها في العمـوم من قوله تعـالى (والليل إذا يغشـى) لم يـذكر تعـالى نـاذا يغشى و(النهـار إذا تجلى) (وما خلق الــذكر والأنــثى)، (إن ســعيكم لشــتى) (فأما من أعطى ) أطلق العطاء وأطلق جهة العطاء وأطلق اتقى ماذا اتقى. النار، غير النار، (صـدق بالحسـنى) ما هي الحسـنى؟ (فسنيسـره لليسـرى) ما هي اليسرى؟

# لمسات بيانية في سورة البلد

- قوله ( **لا أقسم بهذا البلد ` وأنت حلّ بهذا البلد ` ووالد وما ولد ` لقد خلقنا الإنسان في كبد `** ) .

**إطلالة عامة على السورة:** لو نظرنا في السورة وعلاقتها بما قبلها أي (سورة الفجر)، قال تعالى في سورة الفجر (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن) ذكر الإنسان الغني والفقير، الذي قدر عليه رزقه والذي أغناه. وفي سورة البلد ذكر الذي أهلك المال والفقير. ثم إن ربنا تعالى وصف الإنسان في سورة الفجر بقوله: (كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) وفي سورة البلد وصّانا تعالى بالرحمة بهذين الضعيفين بقوله: (أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة).

والأمر الآخر أن هناك ترابط بين السورتين بدليل: قال تعالى في سورة الفجر: (وتأكلون التراث أكلاً لمّاً)، وقال في سورة البلد: (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) فكما تأكل يجب أن تطعم.

في سورة البلد على العموم استوفت كل عناصر البلاغ والإرسال: موطن الرسالة (لا أقسم بهذا البلد) والرسول (وأنت حل بهذا البلد) والمرسل إليه وهو الإنسان (ووالد وما ولد) والرسالة وهي الإيمان والعمل الصالح (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) وأصناف الخلق بالنسبة للإستجابة للرسالة (أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة).

- قوله ( **لا أقسم بهذا البلد** )

**ما دلالة (لا) في القسم؟**

أولاً لم يرد في القرآن كلّه (أقسم بـ) أبداً، كل القسم في القرآن ورد باستخدام (لا) كقوله تعالى: (لا أقسم بمواقع النجوم) (ولا أقسم بالخنّس) (فلا وربّك لا يؤمنون) وهكذا في القرآن كله.

فما هي (لا)؟ اختلف النحاة في دلالة (لا): كلام عام من (لا أقسم عموماً) يقولون (لا) زائدة لتوكيد القسم بمعنى (أقسم) مثال قولنا: والله لا أفعل معناها لا أفعل، ولو قلنا: لا والله لا أفعل معناها لا أفعل، لا يختلف المعنى والقسم دلالة واحدة. وقسم

يقولون هي للنفي (أي نفي القسم) والغرض منه أن الأمر لا يحتـاج للقسم لوضـوحه فلا داعي للقســم، وقسم قـال أنها تنفي لغـرض الإهتمام كأن تقول لا أوصيك بفلان (بمعـنى لا أحتـاج لأن أوصـيك). وفي السـورة (لا أقسم بهـذا البلـد) تـدور (لا) في كل هـذه الأمـور على أنها توكيد للقسم بمعــنى (أقسم بهــذا البلــد)، إذن الغــرض للتوكيد لأن الأمر فيه عناية واهتمام.

- قوله ( **وأنت حل بهذا البلد `** )

**<u>ما اللمسة البيانية في قوله تعالى (حِلّ) عوضاً عن كلمة حالّ أو مقيم؟</u>**

بداية السـورة (**لا أقسم بهـذا البلد ` وأنت حـلّ بهـذا البلد ` ووالد وما ولد ` لقد خلقنا الإنســـان في كبد `** ) المعــــنى العام أنه أقسم أو لم يقسم بهذا البلد في وقت حلول الرسول في البلد أنه خلق الإنسان في الشدائد لكن يبقى السـؤال (وأنت حـل) ما معـنى حـل؟ الـرأي الأشـهر أنه الحـالّ والمقيم أي بمعـنى وأنت حالٌ في البلد تبلّغ دعوة ربك وتلقى من الأذى ما تلقى. إذا كان هذا هو المعنى فلماذا لم تأتي كلمة (حالّ) بدل (حِلّ)؟ لأن كلمة (حـل) لها أكثر من دلالة ولا تقتصر على الدلالة المتبادرة للذهن:

(حل) تأتي بمعنى اسم المفعول أي بمعنى (مُستحِل) (على صـيغة وزن من أوزان أسماء المفعول مثل الطحي من طحيناً والــذبح، ما يعدّ للذبح، والحِمل أي الذي يُحمـل). لأن صـيغة فعل هي من جملة أوزان أسـماء المفعـول الـذي له أكـثر من ثمانية أوزان (فعل مثل سـلب ونهب). لا أقسم بهـذا البلد وأنت مسـتحلٌ قتلك لا تـراعى حرمتك في بلد آمن يـأمن فيه الطـير والـوحش (إذا كـانت لهـذا المعنى فلا تكون نافية).

وتـأتي (حِـل) بمعـنى حلال (حـل، حلال، حلـة) أي بمعـنى حلال أن تقتل وتأسر من تشـاء في ذلك البلد وذلك في يـوم الفتح لأن أهل البلد جاءوا بما يستحلون به حرمتهم فـرفعت الحرمة عنهم فأصـبح حِلاً فتكـون لا للنفي. وهـذه المعـاني كلها مـادة وهو ما يسـمى بالتوسع في المعنى.

لا أقسم بهـذا البلد وأنت حـالٌ في هـذا البلد تلاقي ما تلاقي وأنت مسـتحلٌ لا تُـراعى حرمتك وأنت حلال بهـذا البلد تقتل من تشـاء وتأسر من تشاء في وقت من الأوقات (هذه كلها تشير إلى معـاني كلمة حِل) ومرتبطة بمعاني (لقد خلقنا الإنسان في كبـد). ولو جـاء باسم الفاعل (حـال) لاقتصر على معـنى واحد من هـذه المعـاني

المتعـددة لكن المطلـوب كل هـذه المعـاني فجـاءت كلمة (حِـل) لمناسبتها لمقتضى المعنى.
قـال تعـالى في آية أخـرى في القـرآن ( وهـذا البلد الأمين) فما الحكمة في أن يـرد القسم في سـورة البلد (لا أقسم بهـذا البلـد) بـدون اسـتخدام كلمة الأمين؟ هـذا لأن جو السـورة كلها فيه ذكر للمكابدة والمشقة واستحلال الحرمـات وما أصـاب الرسـول  في هذا البلد وليس في السورة مجال لذكر الأمن، فالرسول والصحابة ليسوا آمنين في هذا البلد والرسول  حلٌ يفعل ما يشاء يوم الفتح فارتفعت عن البلد صفة الأمن في هذه السورة، فجو السـورة كلها من أولها إلى آخرها ليس فيه أمن وأمان حتى في نهاية السورة لم يـذكر جـزاء المؤمـنين (أولئك أصـحاب الميمنـة) إنما اكتفى تعـالى بـذكر جـزاء الكـافرين (والـذين كفـروا بآيتنا هم أصـحاب المشـئمة عليهم نـــار مؤصـــدة). لا يوجد أمن في البلد ولا الجو العـــام في السورة فيه أمن.

**<u>ما اللمسة البيانية في تكرار كلمة (البلد)؟ فلماذا لم ترد مثلاً : وأنت حلٌ به؟</u>**

لو لاحظنا كلام العرب لوجدنا أنهم يكررون في مـواطن التحسّـر أو التعظيم أو التهويل لأنه أبلغ كما في قوله تعـــــــالى (القارعة ما القارعـــة) و(الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقـــة) هنا تـــأتي للتهويل. وكما في قوله تعالى (أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نــائمون، أو أمن أهل القــرى أن يــأتيهم بأســنا ضــحى وهم يلعبون، أفأمنوا مكر الله) هنا التكرار للتعظيم.
وفي سورة البلد تكرار كلمة (البلد) هي في مقـام التعظيم. ويـذكر أيضــاً ســبب آخر للتكــرار وهو أن البلد المقصــود به مكّة وهو بلد حــرام لا يسـفك فيه دمٌ ولا يــروّع فيه آمن ولكن الله تعـالى أحـلّ لرسوله  في يـوم الفتح أن يفعل ما يشـاء من قتل أو أسر فكأنما البلد صـار غـير البلد في يـوم الفتح فأصـبح له صـفتان: حالة الحـلّ وحالة الحرب وكأنه أصـبح بلـدين فكـرّر سـبحانه كلمة البلد لتكـرار الوصف.

- قوله ( **ووالد وما ولد** ` )

لهـذا التعبـير عـدة دلالات: قسم قـال المقصـود به الإنسـان (آدم وذريتـه)، وقسم قـال أن المقصـود كـلّ والد وما ولد من الأناسـيّ والبهـائم ولـذا لم يقل <u>ومن</u> ولد وإنما قـال <u>وما</u> ولد (المقصـود به العموم وليس الخصوص ومن جملته آدم وذريتـه) وخصص بعـد. أما ارتباطه بالمقسم عليه فهو أن جــواب القسم (لقد خلقنا الإنســان

في كبد) والكبد هو المشقة والشدّة، والولادة هي المكابدة والشدّة والمشــقة فــإذن ارتبطت بقوله (لقد خلقنا الإنســان في كبــد) ثم ارتبطت بـآخر السـورة (وتواصـوا بالصـبر وتواصـوا بالمرحمـة) لأن الوالد يحتــاج في تربية ولــده إلى صــبر ومرحمة ســواء كــان من الأناسيّ أو البهائم ولولاهما لما اسـتطاع تربية أبنائـه. وهي مناسـبة لجو الســورة الــذي كله يقــوم على المكابــدة والمشــقة والصــبر والمرحمة والإطار العام للسورة ، وارتبط بما كـان يلاقيه الرســول  من مكابدة ومشقة.

- قوله ( **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ` )

**ما هو ارتباط الجواب بالقسم وما هي دلالة كبد؟**

الكبد له أكثر من دلالتين فهو يعني:

1. الشـدة والمشـقة: يكابِد مشـاق الـدنيا والآخـرة ولم يقل خلقنا الإنســان مكابــداً. (في كبــد) تعــني أنه مغمــور في الشـدائد والمشـقات منذ قطع سـرّته والمشـاق تحيط به وهو منغمر فيها إلى أن يقتحم العقبة فأما أن ينجو أو أن يكون في النار.
2. للقوة والصلابة والشدة: والكبــدة هي القطعة من الأرض الصلبة يقال (أرض كبداء) لأن الـذي خُلق للمشـاقّ ينبغي أن يكون متحملاً للشدائد فهي من لوازم المعنى الأول.

أما ارتباط الجواب بالقســم: السـورة كلها مبنية على هـذا الأمر أي الكبد وكل تعبير مبني على ذلك. لا أقسم بهـذا البلد وأنت حل بهـذا البلد وقد ذكرنا عدة معاني لكلمة (حِل)

فــإذا كــان المعــنى الأول أي بمعــنى (حــالّ) فهو يلقى من قومه ما يلقـــاه من العنت فهو في كبد مم يلاقيه من المشـــقة وهو يلقاها بقوة وثبات وتحمّل.

وإذا كان بمعنى (مسـتحل) لا تــراعى حرمته فهو دليل على أنه في كبد يُحارب من قومه ويحاولون قتله.

وإذا كلن المقصــود المعــنى الثــالث وهو (حلال في البلــد) أي ضد الحـــرام فهو  يحـــلّ له أن يقتل ويأسر إذن فالكفـــار هم في كبد ومشـقة وعنت أما المسـلمون ففي قـوة، وهكـذا ارتبط الجـواب بالقسم فمن كل ناحية وفي كل معنى من المعاني.

وكذلك ارتباط (ووالد وما ولـد) فـالولادة مشـقة وعنت وتحتـاج إلى مثابرة وقوة للتربية، كما هي مرتبطة بما بعـدها من اقتحـام العقبة ومشاقّ الجوع في يوم ذي مسغبة.

- قوله ( **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ` يقول أهلكت مالاً لبــدا ` أيحسب أن لم يـــره أحد ` ألم نجعل له عيـــنين ` ولساناً وشفتين ` وهديناه النجدين `** )
بعد قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبـد) وذكرنا أن من معـاني الكبد المشقة والشدّة والصلابة ثم قال تعالى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) هذا الحسبان موجه لمن؟ قسم من المفسرين يقول هو موجّه للذي يستضعف المؤمنين (وأنت حلُ بهذا البلد) بمعـنى يحلل دمك ويعذّب جماعتك، والـذي يفتن المؤمـنين ويعـذبهم. وقسم من المفســرين قــال أنه الخطــاب ليس مقصــوراً على هــذا الجنس بالـذات وإنما هو موجه للإنسـان عمومـاً فالإنسـان الـذي خلقه الله تعالى مكابـداً للشـدائد ينبغي أن يكـون قـادراً على تحمل الشـدائد فالذي خُلق صلباً شديداً مكابداً أيحسب أن لن يقدر عليه أحد وهذا الحسـبان يكـون في نفـوس البشر لأن البشر يظنـون أن لن يقـدر عليهم أحد فيظلم بعضــهم بعضا ويضــرب بعضــهم رقــاب بعض. فالبشر يرون أن لن يقدر عليهم أحد والذين يستضـعفون المؤمـنين يظنون أن لن يقدر عليهم أحـد. والله تعـالى سـبحانه ذكر في هـذه الآية والآية التي بعدها أمـرين عظيمين يعتصم بهما الإنسـان ويعتقد أن لا أحد يتمكن منه وهذان الأمران هما المال والقــوة يعتصم بهما الإنسان ويرى أنهما أداتا الضغط والتسلط على الآخــرين. وقد جمع القــرآن الكــريم بين هــذين الأمــرين للدلالة على التسـلط كما في قوله تعالى: (همّاز مشّــاء بنميم* منّـاع للخـير معتد أثيم* عتـلٌ بعد ذلك زنيم* أن كــان ذا مــال وبــنين) ســورة القلم آية 11 – 14. فالشعوب المستعمرة يجتمع لها عادة هـذين الأمـرين كما جـاء في قوله تعالى مخاطباً بني إسرائيل في سورة الإســراء (ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) آية 6.
- قوله ( **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ` يقول أهلكت مالاً لبدا `** )
هذا الخطاب موجّه للإنسان عموماً الـذي خلقه الله تعـالى لإصـلاح الحياة.
<u>أهلكت</u>: تأتي بمعنى الإنفاق فما اللمسة البيانية في اسـتخدام كلمة أهلكت بـدل أنفقت؟ هـذه هي الآية الوحيـدة في القـرآن كله الـتي استعمل فيها الإهلاك مع المال، عادة تأتي الإنفاق لكن اختيـار كلمة أهلكت في هذه السورة مناسب لجو السـورة ومناسب لما تقـدمها ولما يعانيه الرسول  وأصحابه في لحظات الشدائد الـتي أدت إلى إهلاك بعضهم ومناسب للعقبة ومناسب ليوم ذي مسغبة لأن الـذين

لم يطعمـوا في ذلك اليـوم أهلكـوا ومناسب مع أصحاب المشـئمة الــذين أهلكــوا ومناسب لكل إنفــاق بغــير وجه مناسب لأنه يعتــبر إهلاكـاً للمـال وليس إنفاقـاً في الخـير. إذن جو السـورة هكـذا في إهلاك المال بغير وجهه وكل السورة مشقة وإهلاك (الكبـد، سـلوك النجدين، اقتحام العقبة، المشئمة والمسغبة) فكان اســتخدام كلمة إهلاك أنسب وأفضل كلمة تؤدي المعنى المطلوب الذي يقتضيه جو السورة وسياق الآيات فيها.

كلمة لُبــدا: لبد معناها الكثـيـر المُجتمِـع. وفيها احتمـالان: قد تكــون مفرد صيغة مبالغة (صـيغة فاعـل) مثل هُمز وحُطم أو جمع (لُبـدة) مثل نقطة نقط. ليس معناها الكثير فقط لكن الكثير المجتمِع وهي مناسبة لاجتماع الكفرة على الرسول  مثل قوله تعالى في سورة الجن (وأنه لما قام عبد الله يـدعوه كـادوا يكونـون عليه لُبـدا) وهو مناسب للإهلاك وجو الإجتماع في أكثر من مـوطن في جو السـورة (ووالد وما ولد، العينين في آلة الإبصار، اللســان والشـفتين في آلة النطق، النجدين، تفسير العقبة بجملة أمور منها اجتماع الذين آمنوا على التواصي بــالحق والتواصي بالمرحمــة، واجتمــاع الكفــرة في النار وأوصـاد النـار عليهم) لو قـال تعـالى (كثـيرا) لا يـؤدي المعـنى المطلوب لجو الإجتماع في السورة. الكثرة لا تنفي الإجتماع لــذلك اختيــار الإهلاك واللبد متناسب جـداً من الناحية البلاغية والفنية لجو السورة.

- قوله ( **أيحسب أن لم يره أحد** )

يقول أهلكت مالاً لبدا هذا الذي يـدّعي إهلاك المـال أيحسب أن لم يـره أحد أنه أنفق المـال في أمـور لا يحبّ أن يطّلع عليها الآخـرين وقد تكون في أمور سرّية؟ قال لم يـره أحد أي راقب الشـخص لم يقل أيحسب أن لم يعلم به أحد لكنه قـــال يـــره لأن الرؤية أهمّ وأخصّ من العلم وهنـاك فـرق بين العلم بالشـيء ورؤيتـه. فالرؤية هي الــتي تـدلّ على تفاصـيل الأمـور ومراقبتها لـذا فالرؤية أخصّ. ويره هنا من المراقبة لأن الله تعالى يـراقب ويعلم كل ما يقـوم به المخلوقات.

لماذا جاءت هنا (لم يره أحد) وسابقاً (لن يقدر عليه أحد) : ألم يره أحد في هذا الإنفاق والمفروض أن هذا الحسـبان والإدّعـاء أنه فعل ماضي (ماضي فيما فعل وما ادّعى أنه فعـل)  وتـأتي الآية فيما بعد (أيحسب ألن يقـــدر عليه أحـــد) بعد اســـتكمال الأمـــور أي في المســتقبل بعد أن يغتّر بقوته واســتكمال قوته أي تــأتي مســتقبلاً

(أيحسب أن يعتصم بهذه الأمور وأيحسب أن هذه الأمور تنجيه) لذا جاء التعبير بالمضارع وهذا ما يقتضيه السياق.
- قوله ( **ألم نجعل له عينين ` ولساناً وشفتين `** )
أراد الله تعالى أن يدلل على قدرته وعلمه فقال تعالى: ألم يجعل الله للإنسان عينين ليبصر بهما ، ألا يراه؟ هو سبحانه الذي أعطاه ليبصر ألا يراه؟! وهو سبحانه الذي هداه للطريق ألا يعلم ما يفعل؟! ونلاحظ تناسب الكلمات: جاءت كلمة عينين وهما أداة الرؤية مقابل قوله تعالى (أيحسب أن لم يره أحد) وجاءت كلمة لساناً وشفتين مقابل قوله تعالى (يقول أهلكت مالاً لبدا) واللسان والشفتين هما أداة النطق. فكأنما سبحانه وتعالى جعل الدليل على علمه وقدرته بما أعطاه للإنسان من وسائل ليستعملها.
- قوله ( **وهديناه النجدين `** )
النجد هو التعبير الوحيد المستعمل في القرآن فقد ورد في القرآن كلمة السبيل والصراط والنجد يعني الطريق المرتفع. وأغلب المفسرين يقولون لا يكون إلا قفاً وصلابة في الأرض في ارتفاع مثل الجبل. وأغلب المفسرين قالوا أنه يعني طريق الخير وطريق الشر. واختيار كلمة النجد مناسب تماماً لجو السورة فلم يقل هديناه السبيل لأن السبيل هو الطريق السهل الميسّر الواضح التي يكثر السير فيها، أما سلوك النجد ففيه مشقة وصعوبة ومناسب لجو السورة وما فيها من مشقة ومناسب للمكابدة في جو السورة. وسلوك النجد يحتاج إلى قوة وفيه شدّة وصعوبة ومناسب للكبد في السورة. إذن فالنجدين تتواءم مع السورة من حيث القوة والمشقة والمكابدة. ومن معاني النجد: الثدي. وما عليه عامة المفسرين وعن الرسول  (لا يكن نجد الشرّ أحبّ إليكم من نجد الخير) وهذا الأقرب. إذا استخدمت الهداية مع النجدين فهي تكون بمعنى الدلالة على الطريقين طريق الخير وطريق الشرّ (تبصرة للطريق فقط) أي يرشده إلى الطريق، لأن الطريق قد تكون مودية إلى الجحيم. إذن هي تبصرة للطريق فقط (كتب عله أنه من تولاه فأنه يُضله ويهديه إلى عذاب السعير).
- قوله ( **فلا اقتحم العقبة ` وما أدراك ما العقبة `** )
نظرة عامّة على هذه الآيات: هذه الآية هي بعد قوله تعالى (وهديناه النجدين) والنجدين كما أسلفنا هو الطريق المرتفع في الأرض ثم قال بعدها (فلا اقتحم العقبة) والعقبة هي طريق في الجبل وعِر أو الجبل الطويل بعرض الطريق (طويل صعب شديد) هذا في العقبة أما الإقتحام فهو الدخول والمجاوزة بشدة ومشقّة

(والقحمة هي الشـــدة والمهلكـــة) . فلو لاحظنا اختيـــار العقبة مع اقتحم وبعد النجـدين لوجـدنا أن النجد وهو الطريق المرتفع يـؤدي إلى العقبة من حيث سلوك الطريـق، والعقبة تقع عـادة بعد النِجـاد أو في المرتفعـــات من الأرض إذن وضع العقبة بعد النجـــدين ومع كلمة اقتحم هو وضع طــبيعي حــداً وهو من الناحية البلاغية البيانية الفنية ذروة البلاغة من حيث الإختيار. ثم إن الله تعالى فسّر العقبة بما يتبعها من آيات (فك رقبة، إطعـام في يـوم ذي مسـغبة) فكلمة اقتحم هي من أنسب الألفاظ لهذا الوصف لأن الإقتحام يتناسب مع العقبة والشّـــدة ولو قـــال اجتـــاز أو عـــبر مثلاً لما أعطى المعـــنى المطلـــوب واختيـــار كلمة اقتحم هو للدلالة على أن الأمر مخيف وشديد ومُهلك وليس سهلاً يسـيراً وليس من العقبـات الـتي تُجتـاز بسـهولة ويسر وإنما تحتـاج إلى اقتحـام وفيها شـدة وصـعوبة. فلو لاحظنا (فلا اقتحم العقبة) ومن قبلها (وهـديناه النجـدين) لوجـدناها متناسـبة ومرتبطة بقوله تعـالى (لقد خلقنا الإنسـان في كبـد) وقد قلنا أن من معاني الكبد المشقة والقوة واقتحام العقبة فيه مشـقة وتعب ويحتـــاج إلى قـــوة وفيها ارتبـــاط بمعنـــيي الكِبد (المشـــقة والقـــوة). (لقد خلقنا الإنســـان في كبد يتناسب مع ما ســـيأتي من آيات في تفصيل معنى العقبة من المشقات (فك رقبة، إطعـام في يوم ذي مسغبة).

لا: أية لا هذه وما حكمها؟ نظر المفسرون في (لا) هذه والمعـروف في قواعد اللغة العربية أن (لا) إذا دخلت على الفعل الماضي ى تفيد النفي كما في الفعل المضارع. و(لا) لا تنفي الفعل الماضي إلا إذا كُررت مثل قوله تعالى (فلا صدّق ولا صلّى) ولا نقـول في اللغة لا ذهب بمعـــنى لم يـــذهب ولإنما يقـــال ما ذهب للدلالة على نفي الفعل الماضـي. إذن لا يصح ولا يجـوز القـول لا مع الفعل الماضي للنفي. لكن يبقى الســؤال هل (لا) في هـــذه الآية نفي؟ قسم من المفسرين قـال قد تفيد النفي واستشـهدوا على ذلك ببعض ما ورد في أشعار العرب مع أنها على غير سنن العرب (وأيّ أمـر سـيء لا فعـل)، ومنهم من قـال إنها تفيد الـدعاء وليس النفي، كماً يقـال: لا فضّ الله فاك أو يقال لا عافاك الله، لا ردّه الله سالماً وغيرها، وقد تكون للـدعاء عليه بـأن لا يقتحم العقبة فهـذا الشـخص الـذي أنفق ماله في غير وجه خـير دعا عليه بـأن لا يقتحم العقبة إذن اعتبروها قسم من المفسرين على أنها للدعاء وليس للنفي.

وقسم آخر رأوا أنها تفيد نفي الإستقبال: في العربية إذا كان الفعل الماشي يفيد الإسـتقبال يجـوز اسـتخدام (لا) ويجـوز نفيه بـــ (لا)

كقولنا (والله لا فعلت ذلك أبـداً) بمعـنى لا افعلـه، فـإذا كـان الفعل للإستقبال يجوز أن تـدخل عليه (لا) باعتبـار الدلالة الزمنية (تالله لا عـذّبتهم بعـدها سـقر). فلا اقتحم العقبة تفيد إذن في هـذه الحالة نفي الإستقبال بمعنى لا يقتحم العقبة في المستقبل.
ومنهم من قـال إنها اسـتفهام وقد حـذفت همـزة الإسـتفهام (ألا اقتحم العقبة) وكأن هـذا الإسـتفهام للتـوبيخ على ما حصل وللحضّ على اقتحام العقبة. وفي القرآن الكريم مواضع كثـيرة حـذفت منها همزة الإستفهام (مثل قوله تعالى مرة في سورة الشـعراء: أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) وفي آية أخـرى (إن لنا لأجـراً). وحـذف حرف الإستفهام خاصة الهمزة كثير في الشعر والنثر عند العرب .
وخلاصة القـــول أن (لا) في قوله تعـــالى (فلا اقتحم العقبـــة) قد جمعت كل هذه المعاني التي ذكرنا وفيها احتمـالات النفي والـدعاء والإستقبال والإستفهام وهذا ما يُسـمّى في اللغة بـاب التوسّـع في المعنى فكل المعاني مُرادة سواء كـان للصـنف أم للشـخص الـذي أهلك مـالاً لُبـدا لم يقتحم العقبة ولا يقتحمها في المسـتقبل ودعـاء عليه بـأن لا يقتحمها إلا إذا أصـلح حاله وتـوبيخ على أنه لا يقتحمها فقد جمعت كل هذه المعاني معاً ولو جـاء بـأي حـرف آخر مثل (ما أو لم) لما أمكن جمع كل هـذه المعـاني وأي حـرف آخر كـان أُوّل إلى معنى النفي فقط ولكن (لا) جاءت بـأربع أو خمس معـاني كلها مقصودة.
**وما أدراك ما العقبة: لماذا التكرار في كلمة العقبة؟**
التكـــرار في اللغة مشـــهور وله أغـــراض قد يكـــون منها التهويل والتعظيم والتحسّر والتفخيم والتحبيب. وفي هذه الآية جاء التكــرار للتفخيم والتهويل والتعظيم لأمر العقبة وما سيفسرها فيما بعد وقد ورد التكرار كثيراً في القرآن الكـريم كما في قـوله تعـالى (القارعة ما القارعة) و (الحاقة ما الحاقة).
ما الحكمة من اســـتخدام صـــيغة الفعل الماضي في قوله (وما أدراك) وقد اسـتخدم في القـرآن صـيغة الفعل المضـارع كما في قوله تعــالى (وما يــدريك لعلّه يــزّكى) وقوله (وما يــدريك لعــلّ السـاعة). في القـرآن كلّه أسـلوب محـدد إذا اسـتعمل (يجريـك) بصـيغة المضـارع لا يفصّـل بعـدها ولا يجيب على السـؤال ويبقيه مبهماً (وما يدريك لعلّه يزّكى) لم يأتي بعدها تفصـيل أو إجابة وإنما بقي مبهماً، وإذا اسـتعمل (أدراك) بصـيغة الماضي يتبعها بالتفصـيل كما في قوله تعـالى (والسـماء والطـارق * وما أدراك ما الطـارق* النجم الثـاقب) وقوله (وما أدراك ما العقبـة* فك رقبـة* أو إطعـام

في يوم ذي مسغبة) نلاحظ التفصيل بالجواب بعد أدراك. والقـرآن الكريم له خصوصيات في الإستعمال والتعبـير يختصّ بها عن قواعد اللغة العربية تماماً كما اختصّ كلمة العيون (لعيـون المـاء) والأعين (لأداة الإبصار) في القرآن كله وكذلك الصـوم (الإمتنـاع عن الكلام) والصيام (الإمتناع عن الطعام والشراب).

**لمـاذا تكـرر لفظ العقبة في هـذه السـورة؟** وقد ورد في سورة أخرى (فأمّه هاوية* وما أدراك ما هي* نار حاميـة) اسـتخدم الضمير (هي) لمعنى الهاوية.

هناك قاعدة في اللغة العربية أن الإسم الظاهر أقوى من الكناية أو الضمير ولذلك فـإن الضـمير لا يؤكـدّ الظـاهر. معـنى ذلك أن الأمر في سورة البلد أقوى من التكرار بالضمير (هي) في سورة القارعة فالسـياق والمـوطن أقـوى ولـذا جـاء بتكـرار الإسم الظـاهر وليس بالضمير. في سـورة القارعة فسّـر الهاوية بنـار حامية وفي سـورة الهمزة (كلا لينبـذنّ في الحطمة * وما أدراك ما الحطمـة* نـار الله الموقدة * الـتي تطّلع على الأفئـدة* إنها عليهم مؤصـدة* في عمد ممددة) هنا جاء بـ (نار الله) وفي القارعة (نـار) فقط فوصف النـار في سورة الهمـزة غـير الوصف في سـورة القارعة لـذا كـرر كلمة (الحُطمـــة) كما في ســورة البلد كــرر كلمة (العقبــة) فالســياق والموطن هو الذي يدعو إلى اختيار الظاهر على الضـمير أو اختيـار الضمير على الظاهر.

فك رقبة * أو إطعــام في يــوم ذي مســغبة* يتيمــاً ذا مقربــة* أو مسكيناً ذا متربة*

**ما معنى فك رقبة؟** قـال الله تعـالى فيما سـبق من الآيـات (فلا اقتحم العقبـــة* وما أدراك ما العقبـــة) ثم بـــدأ يوضّـــح كيف تُقتحم العقبة فبدأ بقوله تعالى (فك رقبة) وهو تخليصـها من الـرِّق وغـيره وليس المقصـــــــــود بها تحرير الرقبة فقط (وقد ورد ذكرها في الكفارات بلفظ تحريـر) وفي عصـرنا الحـالي ليس هنـاك رقيق ولا عتق رقاب بمعنى تحريرها من الرِّق. إذن فك رقبة تعـني تخليصـها من الـرِّق كالغـارم والمطلـوب لأمر ما بمعـنى التخليص من هــذا الأمر، والفك لغة هو حلّ القيد والعتق يُسمى فك أيضاً. أما التحرير فهو خاص بالعتق أما الفـكّ فهو أشـمل لأي قيد وهـذا مرتبط بقوله تعـالى (لقد خلقنا الإنسـان في كبـد) وكل هـؤلاء المقيـدين هم في كبد.

وفكّ الرقبة هي عقبة من عقبات المجتمع قديماً وحديثاً ومسـتقبلاً ويـدخل فيها مثلاً رقبة الشـعوب المستضـعفة ونصـرتهم وإغـاثتهم

وهـذا يـدخل في الرقبة وفي القيـد، وهي دائمة مسـتمرة ما دامت البشرية فلا يمكن أن تأتي آية في القرآن ولا يكون لها تطـبيق لكل زمـان ومكـان. حـتى في المجتمع الواحد (الفـرد للفـرد والسـلطة للشعب) يسـتذلّ الفـرد غـيره بشـيء ما أو الحـاكم يـذل شـعبه أو نحوه وهذه من العلاقات الكبيرة في المجتمعات ولـذا بـدأ بها وهي لا تختص بالعتق ولكنها تدخل فيها والفك مستمر لا ينقطع.

أو إطعام في يوم ذي مسغبة.

**لماذا استخدام كلمة (مسغبة) بدل سغب مثلاً أو جوع أو مخمصة؟**

أولاً هناك مسألتين لاستعمال كلمة مسغبة بـدل السـغب أو الجـوع أولهـا: أن المسـغبة تعـني الجـوع العـام والجمـاعي وليس للفـرد والسغب هو الجوع الفردي.

وثانيـاً أن المسـغبة هي الجـوع العـام مع التعب والإرهـاق ولهـذا خصص باستعمال (مسغبة) أما الجـوع فلا يرافقه بالضـرورة التعب والإرهـاق، أما المخمصة فهي الجـوع الـذي يرافقه ضـمور البطن. وهـــذه عقبة من عقبـــات المجتمع إنه في يـــوم مجاعة مع التعب والإرهاق وهو اليوم الذي فيه الطعام عزيز وغـير مبـذول وهو دلالة على شدة الضيق والكرب كما قال بعض المفسـرين، وهنـاك فـرق بين الإنفاق في وقت الطعام فيه متوفر ويوم ذي مسغبة وهو ليس كأي يـوم من الأيـام. وهنا خصص القـرآن في وصف العقبة واليـوم واليتيم والمسكين فيما بعد.

**لمـاذا اسـتخدام لفظ (إطعـام) وليس طعـام مثلاً أو أن تطعمــوا؟** من الناحية اللغوية من الممكن القــول: أن تطعمــوا، إطعـام أو طعـام . الطعـام تحتمل معنـيين أولهما أن تكـون بمعـنى المصـــدر لفعل أطعم وهي تعـــني عملية الأكل نفســـها (فلينظر الإنسان إلى طعامه) (ولا تحاضّون على طعام المسكين) وثانيها أن يكون هو الأكل نفسه. وكل آية ورد فيها لفظ (طعام) فيها احتمالين في المعنى (الطعام والإطعام) كما قال المفسرون وكلاهما مرادان في المعـنى. لكن في هـذه السـورة ومن سـياق الآيـات نلاحظ أن المُراد هنا معـنى (إطعـام) لأن اليـوم ذي مسـغبة والمقصـود الأكل لأن الجوع مع التعب يُسبب إطعام.

أما عدم اسـتخدام (أن تطعمـوا) لأن الفعل المضـارع مع وجـود إنّ يـدل معنـاه على الحـدوث مسـتقبلاً ولكن هـذا المعـنى لا يصح في الآية لأن المسـغبة قائمة ويجب أن يكــون الإطعــام فــوراً ولهــذا استخدمت الصيغة الإسمية.

- قوله ( **يتيماً ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة*** )
مقربة : تعني القريب في النسب وفي الرحم وتجتمع فيه الصدقة وصلة الرحم فهو أولى وتختلف عن القرابة أو القُربى في اللغة. القرابة هي عامّة مثل القرابة في النسب، أما القُربى فقد تكون في النسب وفي الرحم كالأخ والأخت والمقربة هي بينهما وهي أعمّ.
ما اللمسة البيانية في استخدام (أو) بدل حرف العطف (الواو)؟ إذا استخدم الواو فإنه يدلّ على أن اقتحام العقبة لا يتم إلا إذا اجتمعت كل هذه الأمور (إطعام اليتيم والمسكين وفك الرقبة) ولكن المقصود في الآيات أنه من فعل أحد هذه الأمور يقتحم العقبة وهو بحسب استطاعته فمن استطاع فك رقبة يكفيه ومن استطاع إطعام اليتيم أو المسكين يكفيه أيضاً وهذا من رحمة الله تعالى الواسعة بعباده. وهذا من باب التخيير فالإنسان يختار ما يستطيع بحسب إمكانياته وظروفه.
يتيماً مفعول به للمصدر إطعام.
**ما فائدة تقديم فك رقبة على إطعام في يوم ذي مسغبة؟**
أولاً المسكين ذو المتربة هو ليس أي مسكين أو المسكين بشكل عام. وفي الآيات: اليوم مخصص بأنه (ذو مسغبة) واليتيم مخصص (ذو مقربة) والمسكين خصص (ذا متربة) وقد فرّق المفسرون بين الفقير والمسكين وقالوا أن الفقير هو من انكسر فقار ظهره من الحاجة وهو الذي لا يملك قوت يومه أما المسكين فهو الذي لديه عمل أو رزق لكن لا يكفي حاجته واستدلوا بذلك على قوله تعالى في سورة الكهف في وصف أصحاب السفينة (وأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) سمّاهم المساكين مع أنه كان لديهم سفينة وكانوا يعلمون في البحر لكن مدخولها لا يكفيهم.
والمتربة : هو الفقر وهو من التراب بمعنى التصق بالتراب من فقره، إذن (مسكيناً ذا متربة) هو المسكين الفقير الذي لا مأوى له وهو مطروح على قارعة الطريق وهذا ليس من المساكين العاديين وإنما من خصوص المساكين وهذا صنف ما زلنا نراه في المجتمعات.
أما سبب التقديم (فك رقبة) أولاً فهو إشارة إلى عِظم الحرية في الإسلام إذا كان بمعنى الرِّق لأنه الأولى في الحياة التحرير بالنسبة للأفراد والشعوب في المجتمعات. وثانياً قد يكون الشخص مطلوب بدم أو بشيء آخر أو غارم فأولى شيء عنده أن تفك

رقبته وقد يكون هو الأحوج إلى الإطعام والفك من غيره من الأيتام والمساكين لأنه إذا كان مطلوباً فإنه لن يكـون قـادراً على الخـروج لطلب الطعام أو غيره فاليتيم ممكن أن يخـرج للبحث عن الطعـام وكذلك المسكين أما الغارم أو المطلوب فهو الأولى بذلك لـذا جـاء ذكره أولاً وهو أوّل ما يُفك وهو أسبق من اليتيم والمسكين.
ثم اليـتيم بعد فك الرقبة لأنه في اليـوم ذي المسـغبة واليـتيم هو الصغير دون سن البلوغ فإذا بلغ انتفت عنه صفة اليتم، هذا الصغير اليـتيم في مثل هـذا اليـوم ينبغي أن يُـراعى ويُتفقد في هـذا اليـوم العصيب ذي مسغبة وماذا سيأكل في هذا اليوم. ثم يأتي المسـكين وهو أكـبر سـنّاً من اليـتيم ويمكن أن يفعل شـيئاً للحصـول على الطعـــام بعكس اليـــتيم إذن فهي مرتبة بحسب الحاجة في ذلك الـــوقت وهي مرتبة بحسب القلّة والكــثرة من القلّة إلى الكــثرة (المطلوبين والغارمين قليلون في المجتمعـات أما إذا كـانوا رقيقـاً فهم لم يعــودوا موجــودين أصــلاً) ثم الأيتــام أكــثر من الغــارمين والمطلوبين لكنهم أقل من المساكين لأن هؤلاء اليتامى سـيكبرون وتنتفي عنهم صفة اليتم، أما المساكين فهم الأكثر في المجتمعات.
**ما علاقة الآيات بما قبلهـا؟** الآيـات مرتبطة بقوله تعـالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) فهؤلاء الغارمون والمطلوبون والمسـترَقّون واليتـامى والمسـاكين كلهم مكابـدون وكـذلك مرتبطة بقوله تعـالى (أهلكت مـالاً لُبـدا) كـان ينبغي له أن يُنفق على هـؤلاء المسـاكين واليتامى والغارمين شـيئاً من ماله الـذي أهلكه في غـير وجه حـق، ومرتبطة بقوله (ثم كان من الذين آمنوا وتواصـوا بالصـبر وتواصـوا بالمرحمة) لأن فك الرقاب وإطعام المحتاجين من المرحمة وهؤلاء من أحوج الناس إلى الصبر أيضاً.
ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصـوا بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة* والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشـئمة* عليهم نار مؤصدة*
**دلالة الآية:** بعد أن ذكر تعـالى الأصـناف واقتحـام العقبة ذكر (ثم كان من الذين آمنوا) لأن الشرط الأساسي هو الإيمان وجاء بـ (ثم) والمعـروف في النحو أن (ثم) تفيد الـترتيب والـتراخي ولكن ليس دائماً فقد يكون من أشهر دلالاتها أنها لمجـرد تـرتيب الـذكر أحيانـاً يـؤخّر ما هو أولى مثـال قوله تعـالى (إن الـذين قـالوا ربنا الله ثم استقاموا) (فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد) قد تكون الـترتيب للأخبـار وليس للترتيب الزمـني (تـراخي رتبة الإيمـان عمّا قبلها لأنه لا ينفع شـيء بـدون إيمـان، فالإيمـان أنفع من فك رقبة وهو الأول وكل ما

ذُكر قبلاً لا تنفع في الآخــرة إلاّ إذا كــان مؤمنــاً. إذن الأســاس أن يكون من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة.
في غالبية آي القرآن الكريم يأتي ذكر الذين آمنوا مقرونا بـ (عملوا الصالحات) أما في هذه الآية لم يذكر (عملوا الصالحات) وهــذا لأنه سبحانه وتعالى قد ذكر الأعمال الصالحة فيما سـبق من الآيـات في السورة (فك رقبة، إطعام في يوم ذي مسغبة) فــذكر كل ما يتعلق بمكابدة المال وذكر العمل لذا كان معنى العمل واضح في الآيات.
**ما اللمسة البيانية في تكرار فعل (تواصوا) في الآية؟**
هناك ثلاثة احتمالات لهذه الجملة:
1. وتواصــوا بالصــبر وبالمرحمــة: بتكــرار حــرف الجر دون الفعل.
2. وتواصوا بالصبر والمرحمة: بالعطف دون حرف جرّ.
3. تواصــوا بالصــبر وتواصــوا بالمرحمــة: بتكــرار الفعل وهي أقـــــوى التعبــــيرات لأن فيها توكيد لأهمية كل واحد من الصبر والمرحمة. فالتواصي بالصــبر مهمٌ بذاته والتواصي بالمرحمة مهمٌ بذاته أيضاً وهــذه الســورة مبنية كلها على الصـــبر والمرحمـــة. والمرحمة هي ليست الرحمة فقط ولكنها عامة وهي أهم من الرحمة والســــورة كلها مبنية على الصبر والمرحمة.

الصـــبر: (وأنت حــلٌ بهــذا البلــد) لما يلاقيه الرسـول  من الأذى ، (ووالد وما ولــد) لأن تربية الأولاد تحتــاج إلى صــبر طويــل، وكــذلك سلوك النجدين يحتاج إلى صـبر واقتحـام العقبة والرقبة المســترقّة والغــارم واليــوم ذي المسـغبة كله يحتــاج إلى صــبر طويل وكــذلك اليتيم والمسكين والذين آمنوا يحتــاجون إلى الصــبر على الطاعــات والصبر عن المعصية.
كذلك المرحمـة: (وأنت حـلٌ بهـذا البلـد) بمعناها (حـلّ) الأحـرى أن يُعامل بالمرحمة وليس بــالأذى وإذا كــان بمعــنى حلال فالرسـول  قال يــوم فتح مكة (اليــوم يــوم مرحمــة)، (ووالد وما ولــد) والعلاقة بينهما علاقة رحمة وبر، (أهلكت مالاً لبدا) الذي أهلك المــال يحتــاج إلى رحمــــة، الرقبة المســــترقّة واليـــوم ذي المســـغبة واليـــتيم والمسكين والذين آمنوا ينبغي أن يتواصوا بالمرحمة (رحمـاء بينهم) فالســـورة كلها مبنية على الصــــبر والمرحمة لـــذا ينبغي التواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة.
ذكر التواصي بالصبر أولاً ثم التواصي بالمرحمة لأنه تعالى قدّم في السورة ما يحتاج إلى الصبر من المكابدة والمشقة واقتحــام العقبة

والنجدين وكلها يحتاج إلى صبر ثم إلى مرحمة (في إطعام اليتـامى والمساكين) هذا والله أعلم.
- قوله ( **أولئك أصحاب الميمنة* والـذين كفـروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة * علهم نار مؤصدة*** )
**ما المقصود بالميمنة والمشئمة؟** الميمنة احتمـال أن تكـون من اليُمن أي الخير والبركة، أو من اليمين أي الإتجاه اليمين أو من أصحاب اليمين الذين يُعطون صحائفهم بأيمانهم.
**إذن الميمنة لها ثلاثة دلالات:**
1. أصحاب جهة اليمين
2. الذين يُؤتون صحائفهم بأيمانهم
3. أصحاب اليُمن والخير والبركة لأنهم أفاضوا على أنفسهم (ليقتحموا العقبـة) وعلى غـيرهم (إطعـام اليتـامى والمساكين وفك الرقبة).

**والمشئمة أيضاً تحتمل ثلاثة دلالات هي:**
1. أصحاب جهة الشمال (أصحاب النار الأشقياء)
2. الذين يُؤتون صحائفهم بشمالهم
3. من الشـؤم وهو ضد اليُمن لأنهم كـانوا أصـحاب الشـؤم على أنفسهم (أهلكت مالاً لبـدا) وعلى غـيرهم (الـذين لا يقتحمـون العقبة ولا يطعمـون اليتـامى والمسـاكين ولا يفكون القراب ويسترقّون النـاس ويسـتحلون حرمة البلد الحرام والرسول ).

إذن أصحاب الميمنة تختلف عن أصـحاب اليمين لأنها أعمّ والميمنة جمعت عـدة معـاني وجـاء في آخر الآيـات ذكر اليُمن على غـيرهم (فك رقبـة، إطعـام في يـوم ذي مسـغبة) فكـان أولى أن يسـتخدم لفظ (الميمنة) بدل اليمين.
**ما اللمسة البيانية في اسـتخدام (هم) مع أصـحاب المشـئمة دون أصـحاب الميمنة في قوله تعـالى: هم أصحاب المشئمة؟**
قال (هم) مع الكفـار أما أصـحاب الميمنة لم يـذكر معهم (هم) لأنه لو قال هم أصحاب الميمنة لكان أصحاب الميمنة حصراً على هؤلاء الذين ذكرهم في الآيـات السـابقة ولكن أصـحاب الميمنة أكـثر من هـؤلاء . الـذين يتواصـون بالصـبر ويتواصـون بالمرحمة هـؤلاء فقط أصـحاب الميمنة وهـذا غـير صـحيح لأن رأس الأمر الإيمـان بالله وهؤلاء إذن من أصحاب الميمنة وليسوا أصحاب الميمنة حصـراً فلا يصح القصر هنا أبـداً بمعـنى أن من عـداهم ليسـوا من أصـحاب

الميمنة. (عدم القصر هو السبيل الصحيح الذي لا يصح غـيره هنـا). أما الــذين كفــروا هو أصــحاب المشــئمة حصــراً. هنا القصر في أصحاب المشئمة هو السبيل الصحيح الذي لا يصح غيره.
- قوله ( **عليهم نار مؤصدة*** )
مؤصدة معناها مطبقة من أوصد الباب بمعنى لا ضوء ولا مخرج ولا فرج فيها. فلماذا قدم الجار والمجرور؟ تقديم الجـار والمجـرور هو للقصر بمعنى أنها مؤصدة عليهم حصراً أما إذا أخّر الجار والمجرور فقد يُفهم المعنى على أن النار المؤصـدة ليست محصـورة بالكفـار ولكنها قد تكـون مؤصـدة على غـيرهم أيضـاً إذن الآيـات متفقة مع بعضـها النـار على هـؤلاء الـذين كفـروا وأصـحاب المشـئمة النـار مؤصدة عليهم حصراً فالقصر هو الذي يؤدي المعنى المطلوب.
**ورد في بعض القراءات لفظ (موصدة) فأيهما أصح؟**
كلتا القـراءتين متـواترتين وكلتاهما من القـراءات السـبع الصـحيحة وليس للقــارئ أن يُــرجّح إنما له أن يختــار فقد يختــار موصــدة أو مؤصــدة ؛ مؤصــدة وموصــدة لغتــان الفعل الأصــلي (أصد وآصد مؤصـدة) والآخر (وصد وأوصد موصـدة ومنها الوصـيد)، فمن كـان لغته آصد اختـار مؤصـدة ومن كـان لغته وصد اختـار موصـدة، وأنا شخصياً (والكلام للدكتور فاضل السامرائي) أختـار لفظ (مؤصـدة) بالهمزة لأنها مناسبة للحالة التي هم عليها فـاليوم ثقيل وما هم فيه ثقيل حتى صوت الهمزة في (مؤصدة) وقعها ثقيل على السمع وهو أنسب مع جو المكابدة في السورة.
في ســورة الهمــزة وصف تعــالى بقوله (إنها عليهم مؤصــدة* في عمد ممـددة) وفي هـذه الســورة لم يعقّب على النـار بشـيء فما اللمسة البيانية في هذا؟
لو لاحظنا المذكورين في سورة الهمزة نلاحظ أنه تعـالى قد توسّـع في ذكر صفات المعـذّب (ويل لكل همـزة لمـزة ، الـذي جمع مـالاً وعدده،...) وكما توسّع في الصـفات توسّـع أيضـاً في العـذاب (في عمد ممــــددة) أما في ســــورة البلد فلم يتوسع في ذكر صــــفات المعذبين وإنما قال (والذين كفروا) هذا والله أعلم.
والأمر الآخر أنه في قوله تعـالى (ويـلٌ) بـالرفع في أول الســورة تــدل على الهلاك التــام الــدائم ومناسب لقوله تعــالى (في عمد ممددة) لأن ويل هي جملة إسمية (ويـل: مبتـدأ نكـرة وخـبره: لكل همزة لمزة ، وويل فيها معنى الـدعاء وإذا كـان فيها معـنى الـدعاء يصح أن تبــدأ الجملة الإســمية بها مثل قوله تعــالى ســلام عليكم) ومن المعروف أن الجملة الإسمية تـدلّ على الثبـوت فاقتضى هـذا

الثبوت ثبوت الهلاك ودوامه (عليهم نار مؤصدة* في عمد ممددة) لا تفتح فيها الأبواب. ولو قال ويلاً لما ناسب سياق الآيات معنى العذاب والتوسع فيه (ويلاً: هي مفعول مطلق لفعل محذوف معناه ألزمه الله ويلاً). كما أن ويل: هو مصدر من المصادر التي أُميتت أفعالها ومثلها : ويح، ويب، ويس، بمعنى أهلك. أما ويلاً: مفعول مطلق تقديره أهلكه الله مثل قعد جلوساً أو ألزمه الله ويلاً (مفعول به) والمشهور عند النحاة المعنى: أهلكه الله إهلاكاً وهو مفعول مطلق.

**السؤال الآن أيهما أقوى في اللغة، ويل أو ويلاً؟**

لا يمكن القول هنا أيهما أقوى لأن البلاغة في القرآن الكريم هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال فأحياناً يقتضي الحال استخدام الجملة الإسمية فستخدم للدلالة على الثبوت وفي أحيان أخرى يقتضي الحال إستخدام الجملة الفعلية فتستخدم.

الأمر الآخر في سورة الهمزة أن الله تعالى ذكر الكافر الذي يجمع المال ويعدده ويحفظه فكما حفظ الكافر المال وجمعه وحسب أنه يُخلده ولم ينفع به الآخرين أغلق الله تعالى عليه أبواب جهنم (في عمد ممددة) وناسب هذا الإستيثاق في حفظ المال الإستيثاق في الخلود في النار. أما في سورة البلد فلم يكن سياق الكلام على هذا النحو وإنما وصف الله تعالى أن الكافر أهلك المال (أهلكت مالاً لُبدا). ثم إن في سورة الهمزة ذكر تعالى أن الكافر يحسب أن ماله أخلده وهذا الحسبان قابله الحسبان بحقيقة الخلود في النار بأن أغلق عليه الأبواب وجعل النار عليه في عمد ممددة . وكذلك في سورة الهمزة وصف الله تعالى الكافر أنه يتعدّى على الآخرين ويهمزهم ويلمزهم ويمنع خيره عنهم والذي يتعدى على الآخرين ينبغي أن يُحبس والحبس يغلق عليه الأبواب ويكون في عمد ممددة ولم يُذكر هذا في سورة البلد واكتفى بالوصف (الذين كفروا بآياتنا) ولم يذكر أنهم اعتدوا على الآخرين. والكفر درجات والعقوبة دركات بحسب ما يفعله الكافر فليس كل الكفّار في عذاب واحد وفي دركة واحدة بدليل قوله تعالى (في الدرك الأسفل من النار).

ثم إن المعذّبين في سورة الهمزة كفّار وزيادة فهم كافرون، يتعدون على الآخرين، يجمعون الأموال، يحسبون أن مالهم يخلّدهم وهذا كله لم يُذكر في سورة البلد ولهذا ناسب الإستيثاق في الحبس والجعل في عمد ممددة للكفار في سورة الهمزة.

**لماذا لم يُذكر جزاء المؤمنين في السـورة كما ذكر جـزاء الكفار؟**

قال تعالى في السورة (لقد خلقنا الإنسان في كبد) والكبد كما قلنا سـابقاً هو المشـقة والمعانـاة ولا يناسب جو السـورة ذكر الجـزاء وإنما ذكر الإشـارة إلى المؤمـنين أنهم أصـحاب الميمنـة. والسـورة كلها في المشـاقّ والمتـاعب فلم يناسب ذكر الجـزاء للمؤمـنين مع كل ما في السـورة من مشـقة وتعب وسـلوك النجـدين واقتحـام العقبة واليوم ذي مسغبة والكبد هذا والله أعلم.

# لمسات بيانية في سورة الضحى

**والضُّحَى** (1) **وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى** (2)

**ما هي دلالة القسم في قوله تعالى (والضحى)**

يذكر أهل التفسير أن الوحي أبطأ على رسـول الله  أيامـاً فشق ذلك عليه وقيل له : إن ربك قلاك ، فأنزل الله تعالى هـذه السـورة رداً على المشـركين وإكرامـاً للرسـول  ، فلمـاذا حـزن الرسـول الكريم وجـزع لانقطـاع الـوحي مع ما يلقـاه في سـبيل الـوحي من العنت والجهـد؟ في الحقيقة انه اختبـار من الله تعـالى للرســول الكــريم: هل هو حــريص على الــوحي وما فيه من مشــقة أم انه سـيرتاح من هـذا الـوحي الثقيـل؟ وهـذا فيه توجيه إلى الـدعاة أنه عليهم أن يصبروا ويثبتوا في الـدعوة مهما لاقـوا من مشـقة وعنت في سبيل الدعوة إلى الله.

**الضحى** في اللغة : هو وقت ارتفاع الشمس بعد الشروق

**سجى** في اللغة : لها ثلاث معـاني ، فهي بمعـنى سـكن، أو اشـتد ظلامه أو غطى مثل تسجية الميت.

أقسم الله تعالى بالضحى والليل إذا سـجى انه ما ودع رسـوله وما قلاه، والضحى هنا يمثل نور الوحي وإشراقه كما قال المفسـرون ، والليل يمثل انقطاع الـوحي وسـكونه والـدنيا من غـير نـور الـوحي ظلام ولذلك قدم سبحانه الضحى هنا لأنه ما سـبق من نـور الـوحي وأخر الليل لما يمثل من انقطاع الوحي. وقال بعض المفسـرين أن القسم يشـير أن الانقطـاع يمثل الاسـتجمام والسـكون كما يرتـاح الشخص المتعب في الليل ومن معـاني سـجى السـكون وهو يمثل

الراحة وهو نعمـة. فالقسم هنا جـاء لما تسـتدعيه الحالة الـتي هو فيها.
**ما اللمسة البيانية في كلمة (سجى) وليست في كلمـتي غشي او يسر ؟**
كما في قوله (والليل إذا يغشى) (والليل إذا يسر) سـبق القـول أن من معاني سجى: سكن وهذا يمثل سكون الـوحي وانقطاعه وهـذا هو السكون، والانقطـاع ظلمة وهـذا المعـنى الثـاني لسـجى فكلمة سجى جمعت المعاني كلها التي تدل على انقطاع الوحي وسـكونه. أما كلمة يغشى أو يسر فهما تـــدلان على الحركة وهـــذا ينـــاقض المعـنى للقسم في هـذه السـورة. وعليه فـان القسم **(والضحى والليل إذا سجى)** هو انسب قسم للحالة الـتي هو فيها من نـور الوحي وانقطاعه وكل قسم في القرآن له علاقة بالمقسم به.
**ما الحكم البيـاني في اسـتخدام كلمة (والضـحى) بـدل والفجر او النهار؟**
الضحى هو وقت إشراق الشمس أما النهار فهو كل الوقت من أول النهـار إلى آخـره ، والضـحى يمثل وقت ابتـداء حركة النـاس يقابله الليل إذا سجى وهو وقت السكون والراحة. والفجر هو أول دخـــول وقت الفجر (وكلــوا واشــربوا حــتى يتــبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) ولا يكـون هنـاك ضـوء بعد أو نـور كـوقت الضحى بعد شروق الشمس.
- قوله **( مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى )**
**أين مفعول الفعل قلى**؟
في هـــذه الآية الكريمة ذكر مفعـــول الفعل ودع وهو (الكـــاف في ودعك) وحذف مفعول الفعل قلى (ولم يقل قلاك)
في اللغة عند العرب التوديع عادة يكـون بين المتحـابين والأصـحاب فقط ويكـون عند فـراق الأشـخاص. اختلف النحـاة في سـبب ذكر مفعول فعل التوديع وحذف مفعول فعل قلى منهم من قال لظهـور المــراد بمعــنى أن الخطــاب واضح من الآيــات انه لرســول الله ﷺ ومنهم من قال إنها مراعاة لفواصل الآيات في السورة **(الضـحى، ســـجى، قلى، الأولى،...)** لكن القــــرآن العظيم لا يفعل ذلك لفواصل الآيات وحدها على حساب المعنى أبداً ولا يتعارض المعنى مع الفاصـلة والمقـام في القـرآن كلـه. فلمـاذا إذن هـذا الحــذف والذكر؟
الذكر من باب التكريم والحذف من باب التكريم أيضـاً. لم يقل الله تعالى قلاك لرسـوله الكـريم حـتى لا ينسب الجفـاء للرسـول ﷺ فلا

يقـال للـذي نحب ونجل ما أهنتك ولا شـتمتك إنما من بـاب أدب المخاطبة يقـال ما أهنت وما شـتمت فيحـذف المفعـول به إكرامـاً للشـخص المخـاطب وتقـديرا لمنزلته وترفع عن ذكر ما يشـينه ولو كان بالنفي.
أما التوديع فالذكر فيه تكـريم للمخـاطب فيحسن ذكر المفعـول مع أفعال التكريم وحذفه مع أفعال السوء ولو بالنفي. وهكذا يوجه الله تعـالى المسـلمين لأدب الكلام ويعلمنا كيف نخـاطب الـذين نجلهم ونحترمهم. ولقد جمعت هذه الآية التكريم للرسـول من ربه مـرتين مـرة بـذكر المفعـول مع فعل التوديع ومـرة بحـذف المفعـول مع الفعل قلى.
**فلماذا قال تعالى " ربك " ولم يقل " الله " ؟**
هنا تكريم آخر من الله تعالى لرسـوله الكـريم. فـالرب هو المـربي والموجه والقيم. وذكر الفاعل وهو الـرب إكـرام آخر فلم يقل لم تودع ولم تقلى. والرب هو القيم على الأمر فكيف يودعك وهو ربك لا يمكن أن يـودع الـرب عبـده كما لا يمكن لـرب الـبيت أن يودعه ويتركه ورب الشيء لا يودعه ولا يتركه وإنما يرعاه ويحـرص عليـه. واختيار كلمة الرب بـدل كلمة الله لأن لفظ الجلالة الله كلمة عامة للناس جميعا ولكن كلمة الـرب لها خصوصـية وهـذا يحمل التطمين للرسول الكـريم من ربه الـذي يرعـاه ولا يمكن أن يودعه أو يتركه أبداً.
- قوله **( وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى )**
اختلف المفسرون في معنى كلمة **الآخرة** فمنهم من قال : إنها ما هو غير الدنيا بمعنى الـدار الآخـرة. وقسم قـال انها كل ما يسـتقبل من الحيـاة على العمـوم كما جـاء في قوله تعـالى (فـإذا جـاء وعد الآخرة ...) الآخرة هنا ليست في القيامة
**الآخـرة** في سـورة الضـحى جـاءت مقابل الأولى ولم تـأت مقابل الدنيا فلم يقل وللآخرة خير لك من الدنيا. ومعـنى الآية أن ما يـأتي خير لك أيها الرسول مما مضى ؛ أي من الآن فصاعداً فيما يستقبل من عمـرك هو خـير لك من الأولى وأكد ذلك بـاللام في كلمة **وللآخرة**. وقد حصل هذا بالفعل فكل ما استقبل من حياته  خـير له مما حصل .
**فلماذا لم يقل خير لك من الدنيا؟**
لأنه لو قالها لما صحت إلا في الآخرة فكأنما حصر الخير في الآخرة فقط ونفى حصـول الخـير فيما يسـتقبل من حياته  وهـذه الآية توكيد لما سبقها في قوله تعالى **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى.**

**ولمـاذا قـال تعـالى (لـك) ولم يقل وللآخـرة خـير من الأولى؟**

هـذه السـورة وسـورة الشـرح هما خاصـتان بالرسـول  وهو المخاطب المباشر بهما ولو قال تعالى : "وللآخرة خـير من الأولى" لما صح هـذا القـول لأنه سـيكون عامـاً للنـاس جميعـاً وهـذا ما لا يحصل وعنـــدها ســـتفيد الإطلاق ولا يصح على عمومه لان بعض الناس آخرتهم شر لهم من أولاهم ولا يصح هـذا الكلام على إطلاقه إنما لا بد من أن يخصص المعـنى وهو للرسـول الكـريم  بالـذات ولهذا قال تعالى **(وللآخرة خير لك من الأولى)**

- قوله **( وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى )**

**ما هي علاقة هذه الآية بما سبقها من الآيات؟**

سوف دالة على الاستقبال وقد سبق أن قال تعالى ( وللآخـرة خـير لك من الأولى ) وهي تدل أيضاً على الاسـتقبال وجـاء أيضـاً بـاللام في **(ولسوف)** وأكده بنفس التوكيد باللام في **(وللآخرة)**

**ولمـاذا لم يحـدد العطـاء بشـيء ما وإنما قـال ولسـوف يعطيك ربك فترضى؟**

لقد أطلق سبحانه العطـاء ولم يحـدده إنما شـمل هـذا العطـاء كل شيء ولم يخصصه بشيء معين إكراماً للرسول الكريم  وتوسيعاً للعطاء وكذلك أطلق فعل الرضى كما أطلق العطاء فجعل العطـاء عاماً وجعل الرضى عاماً وذكر المعطي أيضـاً وهو الـرب وعلينا أن نتخيل كيف يكون عطاء الـرب؟ والعطـاء على قـدر المعطي وهـذا كله فيه تكريم للرسول كذلك في إضافة ضمير الخطاب " الكاف " في (ربك) تكريم آخر للرسول 

**لماذا اختيار كلمة (فترضى) ؟**

اختيار هـذه الكلمة بالـذات في غاية الأهمية ؛ فالرضى هو من أجل النعم على الإنسان وهو أسـاس الاسـتقرار والطمأنينة وراحة البـال فـــإن فقد الرضى حلت الهمـــوم والشـــقاء ودواعي النكد على الإنسان. وان فقد في جانب من جوانب الحياة فقد استقراره بقـدر ذلك الجانب ولذا جعل الله تعالى الرضى صفة أهل الجنة (فهو في عيشة راضـية) (فـارجعي إلى ربك راضـية مرضـية). وعـدم الرضى يؤدي إلى الضغط النفسي واليأس وقد يـؤدي إلى الانتحـار. والتعب مع الرضى راحة والراحة من دونه نكد وتعب، والفقر مع الرضى غنى والغنى من دونه فقر، والحرمان معه عطاء والعطــاء من دونه حرمان. لذا فان اختيـار الرضى هو اختيـار نعمة من اجل النعم ولها دلالتها في الحيـاة عامة وليست خاصة بالرسـول الكـريم  فــإذا

رضي الإنسان ارتاح وهدأ باله وسكن وإن لم يـرض حل معه التعب والنكد والهمـــــوم والقلق مع كل ما أوتي من وســـــائل الراحة والاستقرار.

لماذا قال **يعطيك** ولم يقل يؤتيك؟

الإيتاء يكون لأمور مادية وغيرها (الملك، الحكمة، الذكر) أما العطاء فهو خاص بالمادة. والإيتاء أوسع من العطاء واعم والعطاء مخصص للمال. والإيتاء قد يشـمله الـنزع والعطـاء لا يشـمله الـنزع. (آتينـاه آياتنا فانسلخ منها) (يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء) وقد لا يستوجب الإيتاء لشخص ما أن يتصرف بما أوتي ، أما العطاء فلصاحبه حرية التصـرف فيه بـالوهب والمنح ولـذا قـال تعـالى (**إنا أعطيناك الكوثر**) لأن الكـوثر أصـبح ملكـاً للرسـول ﷺ وكما قـال الله تعـالى لسـيدنا سـليمان ﷺ (هـذا عطاؤنا فـامنن أو امسك بغـير حساب) أي له الحق بالتصرف فيه كما يشاء.

- قوله **( أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَـدَى ( 7) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (8) )**

هذه الآيات مرتبطة بالآيـات السـابقة **(ما ودعك ربك وما قلى) (وللآخرة خير لك من الأولى)** ومرتبطة أيضـاً بالقسم في أول السورة **(والضحى والليل إذا سجى)** والآية (**ألم يجدك يتيماً فآوى**) تؤكد أن ربه لم يودعه ولم يقله وكذلك في ( **وجدك ضالاً فهدى** ) وهي كلها تصب في **( وللآخـرة خـير لك من الأولى)** فالإيواء خير من اليتم ؛ والهداية خير من الضلالة ؛ والاغناء خير من العيلة فكلها مرتبطة بالآية **(ما ودعك ربك وما قلى)** وتؤكد معناها.

**( وللآخرة خير لك من الأولى** ) فالله تعالى لم يترك رسوله ﷺ ليتمه أو لحاجته أو للضـلال هـذا من ناحية ؛ ومن ناحية أخــرى هي مرتبطة بالقسم فقد اقسم الله تعالى بالضحى والليل وما سـجى ؛ واليتم ظلمة والإيـواء هو النـور وكـذلك الضـلال ظلمة والهـدى نـور (**الله ولي الذين آمنوا يخـرجهم من الظلمـات إلى النـور والذين كفروا أوليـائهم الطـاغوت يخرجـونهم من النـور إلى الظلمات**) سورة البقرة، والحاجة والعيلة ظلمة أيضاً والغنى نور وبهجة.

في هـذه الآيـات بـدأ سـبحانه وتعـالى بالظلمة ثم النـور (اليتم ثم الايواء، الضلال ثم الهدى، العيلة ثم الغنى وهذا ليناسب ويتوافق مع قوله تعالى (**وللآخرة خـير لك من الأولى**) والأولى هي الظلمة أما الآخرة فهي النور وهي خير له من الأولى.

**لماذا لم يقسم سبحانه بالليل إذا سجى أولاً ثم الضحى؟**

الضحى هو نور الوحي وكان السكون بعد الوحي وكان القسم على اثر انقطاع الوحي فانقطاع الوحي هو الذي تأخر وليس العكس لذا جاء قسم الضحى أولاً ثم الليل.

**لماذا تكررت كلمة ربك في هذه السورة؟**

الـرب معنـاه انه هو المعلم والمـربي والمرشد والقيم وكل آيـات السورة مرتبطة بكلمة الرب ( **ألم يجدك يتيماً فآوى**....) اليتيم يحتاج لمن يقوم بـأمره ويرعـاه ويعلمه ويوجهه ويصـلح حاله وهـذه من مهام الرب واليـتيم يحتـاج هـذه الصـفات في الـرب أولاً ثم إن الضال يحتاج لمن يهديه والرب هو الهادي والعائل أيضاً يحتـاج لمن يقـوم على أمـره ويصـلحه ويرزقه فكلمة الـرب تناسب كل هـذه الأشياء وترتبط بها ارتباطاً أساسياً ، وكثـيراً ما ارتبطت الهداية في القـرآن الكـريم بكلمة الـرب (ربنا الـذي أعطى كل شـيء خلقه ثم هـدى) (يهـديهم ربهم بإيمـانهم) (الحمد لله رب العـالمين...اهـدنا الصراط المستقيم)

**لماذا حذف المفعـول للأفعـال: فـآوى ، فـأغنى ، فهـدى مثلما حذف في فعل قلى؟**

ذكر المفسرون هنا عـدة آراء منها : أن الحـذف هو لظهـور المـراد لأنه تعالى كان يخاطب الرسول  والمعنى واضح ، وقسم قال إنها مراعاة لفواصل الآيات حتى لا يقـال آواك وأغنـاك وهـداك فتختلف عن فواصل باقي الآيات ولكن كما سبق آنفاً قلنا إن القرآن الكريم لا يراعي الفاصـلة على حسـاب المعـنى مطلقـاً وهي قاعـدة عامة في القرآن: المعـنى أولاً ثم الفاصـلة القرآنية ومثـال ذلك الآية في سـورة طه ( **إلهكم واله موسى فنسي**) وكـانت الفاصـلة في باقي السورة مختلفة وعليه فان الحـذف هنا جـاء للإطلاق والدلالة على سعة الكرم. فـآوى بمعـنى فـآواك وآوى لك وآوى بك وأغنـاك وأغنى لك وأغنى بك وهداك وهدى لك وهدى بك ، فلو قال سبحانه وتعالى فوجدك عائلا فأغناك لكان الغنى محصوراً بالرسول  فقط لكن عنـدما أفـاد الإطلاق دل ذلك على انه سـبحانه أغـنى رسـوله وأغنى به وبتعليماته فيما خص الإنفاق وغيره خلقاً كثـيراً وأغـنى له خلقـاً كثـيراً وكـذلك آوى الرسـول  وآوى به خلقا كثـيراً بتعاليمه الكثيرين وتعاليمه كانت تحض على رعاية اليتامى وحسن معاملتهم واللطف بهم وآوى لأجله الكثير من الناس لان من الناس من يؤوى اليتـامى حبا برسـول الله وطمعا في صـحبة الرسـول  في الجنة كما ورد في الحديث: أنا وكافل اليـتيم كهـاتين وأشـار إلى إصـبعيه.

وكذلك بالنسبة للهداية فالله تعالى هـدى رسـوله الكـريم وهـدى به خلقـاً كثـيراً ( **وانك لتهـدي إلى صـراط مسـتقيم**) وهـدى له ولأجله من أراد سبحانه وتعالى ، إذن خلاصة القـول أن الحـذف هنا جاء لظهـور المـراد وفواصل الآيـات وسـعة الإطلاق كلها مجتمعة لا يتعـارض احـدها مع الآخـر. وكـذلك تناسب سـعة الإطلاق هنا قوله تعـالى **(ولسـوف يعطيك ربك فترضـى).** فالحـذف هنا جـاء للعموم والإطلاق في المعنى.

**لمـاذا تـرتيب الآيـات على هـذا النحـو؟ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمـاً فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ( 8)**

هذا هو الترتيب الطبيعي في الحياة. اليتم يقال لمن فقد والديه أو احدهما وهو دون سن البلـوغ فـإذا بلغ انتفت عنه صـفة اليتم ، وإذا بلغ دخل في سن التكليف الشـرعي فهو يحتـاج إلى الهداية ليتعلم كيف يسـير في الحيـاة قبل أن يكـون فقـيراً أو غنيـاً وكيف يجمع المال الحلال لأن كل مال جمع من غير طريق الهداية هو سحت ثم تأتي العيلة وهي أمر آخر بعد البلوغ ؛ من الناس من يكون فقيراً أو غنياً وعلى الاثنين أن يسيرا وفق التعـاليم الـتي تعلماها بعد البلـوغ مباشـــرة وهـــذا طـــبيعي ويمر به كل الخلق فهـــذا هو التسلسل الطبيعي في الحيـاة.لـذا فقد بـدأ سـبحانه بالحالة الأولى (اليتم) ثم إذا بلغ تـأتي الهداية في المرتبة الثانية ، وثالثـاً العائل والغـني يجب أن يسيرا على الهداية.

- قوله **( فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ** (9) **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَـرْ** ( 10) **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** (11)

**القهر** في اللغة : هو التسلط بما يؤذي ولا تقهره بمعـنى لا تظلمه بتضـييع حقه ولا تتسـلط عليه أو لا تحتقـره أو تغلب على ماله ،كل هذه المعاني تدخل تحت كلمة القهر.

**السائل** اختلف المفسـرون فيها فقـال بعضـهم : هو سـائل المـال والمعــروف والصــدقة ومنهم من قــال : انه ســائل العلم والــدين والمعرفة وقسم قـال انه مطلق ويشـمل المعنـيين ، فسـواء كـان السائل سائل مـال وصـدقة أو سـائل علم ومعرفة يجب أن لا ينهر مهما كـان سـؤاله. لا يصح أن يزجز أو ينهر سـائل المـال أو سـائل العلم والـدين . إذا كـان سـائل مـال أعطينـاه أو رددنـاه بالحسـنى وسائل العلم علينا أن نجيبه ونعلمه أمور الدين.

أما **النعمة** فقـــال بعض المفســـرين إنها النبـــوة وتعاليمها وقـــال آخرون إنها كل ما أصاب الإنسان من خير سـواء كـان في الـدنيا أو

الآخرة. وقال آخرون إنها نعمة الــدين (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) (**ما أنت بنعمة ربك بمجنون**) والواقع أن النعمة هنا أيضاً تشمل كل هـذه المعاني فهي نعمة الدين يجب أن يتحـدث بها ويبلغ عنها وهي نعمة الدنيا والله سبحانه يحب أن يرى اثر نعمته على عباده وان يتحــدث الإنسان بنعم الله عليه وان يظهرها والنعمة عامة في الدنيا والدين وعلى الإنسـان أن يحـدث بهـذه النعمـة. (النعمة بفتح النـون وردت في القرآن بمعنى العقوبات والسـوء كما في قوله (**ونعمة كـانوا فيها فاكهين**) (**الكافرين أولي النعمة**)

**لماذا اختيار كلمة (فحدث) ولم يقل (فأخبر)؟**

الإخبار لا يقتضي التكرار يكفي أن تقول الخبر مـرة واحـدة فيكـون إخباراً أما التحـديث فهو يقتضي التكـرار والإشـاعة أكـثر من مـرة، وفي سياق الآية يجب أن يتكرر الحديث عن الدعوة إلى الله مرات عديدة ولا يكفي قوله مرة واحدة. ولهذا سـمى الله تعـالى القـرآن حـديثا (فليـأتوا بحـديث مثلـه). فمعـنى (فحـدث) في هـذه الآية هو المداومة على التبليغ وتكرارها وليس الإخبــــار فقط فيمكن أن يتم الإخبار مرة واحدة وينتهي الأمر.

وفي تسلسل الأحاديث في كتب السنة نلاحظ أنهم يقولـون: حـدثنا فلان عن فلان ويكررون ذلك مرة أو مرات عديدة حتى يصــلوا إلى أخبرنا رسـول الله  فالرسـول الكـريم يخـبر بالحـديث ثم يتناقله الصحابة فيما بينهم ويستمر تناقل الحديث حتى يعم وينتشر.

**لماذا جاء ترتيب الآيات على هذا النحو؟ ( فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث ).**

أثـار هـذا الـترتيب الكثـير من الأسـئلة عند المفسـرين لمـاذا رتبت الآيات على هذه الصورة لأنه لا يرد بنفس تسلسل الآيـات السـابقة **(الم يجـدك يتيما فـآوى، ووجـدك ضـالا فهـدى، ووجـدك عائلاً فأغنى).**

لنستعرض الآيات واحدة واحــدة : أما اليـتيم فلا تقهر جـاءت بنفس تسلسل الآية **(ألم يجدك يتيما فآوى)** نفس النسق.

, أما السـائل فلا تنهر كـان من المفــروض أن تــأتي مقابلة للآية **(ووجدك عائلا فأغنى)** لكنها جاءت في مقابل الآيــة **(ووجدك ضالاً فهدى)**

**( وأما بنعمة ربك فحدث )**، كـان يجب أن تقـدم باعتبـار النعمة دين ويجب أن تكون مقابل **( ووجدك ضالاً فهدى )**

لكن الواقع أن تــرتيب الآيــات كما ورد في الســورة هو الــترتيب الأمثـــل، كيـــف؟ اليـــتيم ذكر أولا مقابل اليـــتيم ، ثم ذكر **( وأما السـائل فلا تنهر )** قلنا سـابقا أن السـائل يشـمل سـائل العلم والمال وهنا اخذ بعين الاعتبار السائل عن المال والسائل عن العلم فهي إذن تكون مقابل **(ووجدك ضالاً فهدى)** وأيضـاً **(ووجـدك عائلا فأغنى)** لان السائل عن المال يجب أن لا ينهر والسائل عن العلم يجب أن لا ينهر أيضــاً وعليه فــان الآية جــاءت في المكــان المناسب لتشمل الحالتين ومرتبطة بالاثنين تماما.

**( وأما بنعمة ربك فحدث )** ، هي في انسب ترتيب لها فان كـان المقصود بالنعمة كل ما أصاب الإنسان من خير في الدنيا فلا يمكن أن نتحـــدث عن النعمة إلا بعد وقوعها وليس قبل ذلـــك. والآيـــات السـابقة تـذكر نعم الله على الرسـول فاقتضى السـياق أن يكـون التحدث بالنعمة آخراً أي بعد حدوث كل النعم على الرسول .

وإذا كـان المقصـود بالنعمة الـدين، فيجب أن يكـون التحـديث في المرحلة الأخـيرة لأن على الداعية أن يتحلى بـالخلق الكـريم وفيه إشارة أن الإنسان إذا أتاه سائل عليه أن يتصف بهذه الصـفات قبل أن يبلغ النـاس عن النعمة (الـدين) فعليه أن لا يقهر يتيمـاً ولا ينهر سـائلاً ولا يـرد عـائلاً وقد جـاءت هـذه الآية بعد إسـباغ النعم وهو توجيه للدعاة قبل أن يتحدثوا أن يكونوا هينين لينين فقد قال تعالى (ولو كنت فظـاً غليظ القلب لانفضـوا من حولـك) فعلى الداعية أن يتحلى بالخلق الحسن ولا ينهر سائلاً.

وكذلك جعل التحـديث بالنعمة **(وأما بنعمة ربك فحدث)** جـاءت بعد **( وأما الســائل فلا تنهــر)** لان كل داعية يتعــرض لأســئلة محرجة أحيانا تكـون لغاية الفهم وقد تكـون لنوايا مختلفة فعليه أن يتسع صدره للسائل مهما كانت نية السـائل أو قصـده من السـؤال وعلى الداعية أن لا يستثار وإلا فشل في دعوته وقد يكـون هـذا هو قصد السائل أصلاً

من الدروس المستفادة من هـذه السـورة إضـافة إلى ما سـبق انه يحسن للإنســان تــذكر أيــام العسر والضــيق لأنه مــدعاة للشــكر ومدعاة لمعاونة المبتلى أيضاً لذا يجب التذكير بالماضي وما يتقلب فيه المـرء من نعم ليشـكر الله تعـالى عليها مهما كـان في ماضـيه من أذى أو حرج أو ضيق فلا بأس أن يتذكر أو يذكر به حـتى يشـكر الله تعالى على نعمه فيكون من الشاكرين لله تعالى.

# لمسات بيانية في سورة التين

**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3)**

ابتدأت السورة بالقسم بالتين والزيتون. والتين والزيتـون قد يكـون قصد بهما الشجران المعروفان، وقد ذكر المفسرون لاختيار هــذين الشـجرين للقسم بهما أسـباباً عـدة، فقد ذكـروا أنه أقسم بنـوعين من الشجر ، نوع ثمره ليس فيه عجم ونوع فيه عجم، وأنه ورد في الأثر أن الـتين من شـجر الجنة فقد روي أنه أُهـدي لرسـول الله  طبق من تين فأكل منه وقـال لأصـحابه:" كلـوا فلو قلت إن فاكهة نـزلت من الجنة لقلت هـذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم". وقد ذكر أن آدم خصف من ورقه ليستر عورته حين انكشفت في الجنة.

وأما الزيتون فإنه شجرة مباركة كما جاء في التنزيل العزيز.

وقد ذكروا أموراً أخرى لا داعي لسردها هاهنا .

ولا ندري هل لبدء السورة بالقسم بالشجر الذي يـذكر أن له أصـلاً في الجنة أعني التين له علاقة بعدد آيات هـذه السـورة أو لا؟ فـإن عدد آيات هذه السورة ثمانية وهن بعدد أبوبا الجنة. وقد يكـون هـذا القول خرصاً محضـاً وأنا أميل إلى ذلـك، ولكنا قد وجـدنا شـيئاً من أنواع هذه العلاقات في القرآن. فقد تكرر كما سـبق أن ذكرنا قوله تعـالى (**فَبِـأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَـذِّبَانِ** ) الـرحمن ) ، عند الكلام في وصف الجنة ثماني مرات بعدد أبواب الجنة، وحصل هذا مـرتين في السـورة، وتكـرر في الوعيد سـبع مـرات بعـدد أبـواب جهنم (انظر ملاك التأويل) ابتـداء من قوله (**سَـنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ** (31) الـرحمن). وقـالوا إن سـورة القـدر ثلاثـون كلمة بعـدد أيـام شـهر رمضان وإن قوله (هي) في قوله تعالى (**سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَـعِ الْفَجْرِ** (5) القدر) هي الكلمة السابعة والعشرون وهي إشـارة إلى أن هذه الليلة هي الليلة السابعة والعشرون من رمضان.

وعلى أي حال فإن كثـيراً من هـذه العلاقـات ربما كـانت موافقـات والله أعلم.

وقيـل: إن المقصـود بـالتين والزيتـون جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانة طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون. (التفسير الكبير 32/9، روح المعاني 30/174).

والعلاقة بين التين والزيتون وما بعدهما ليست ظاهرة على هــذا إلاّ بتكلف. وقيـل: " هـذه محـال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيـاً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار فالأول: محله الــتين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم  والثاني: طور سنين وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ، والثالث: مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كـان آمنـاً، وهو الذي أرسل فيه محمداً  (تفسير ابن كثير 4/526).
وجـاء في (التبيـان في أقسـام القـرآن): " فأقسم سـبحانه بهـذه الأمكنة الثلاثة العظيمة الـتي هي مظـاهر أنبيائه ورسـله، أصـحاب الشرائع العظام والأمم الكثـيرة. فـالتين والزيتـون المـراد به نفس الشــجرتين المعروفــتين ومنبتهما وهو أرض بيته المقــدس... وهو مظهر عبد الله ورســوله وكلمته وروحه عيسى بن مـــريم. كما أن طور سنين مظهر عبده ورسـوله وكليمه موسـى، فإنه الجبل الـذي كلمه عليه وناجاه وأرسله إلى فرعون وقومه.
ثم أقسم بالبد الأمين وهو مكة مظهر خاتم أنبيائه ورسله سـيد ولد آدم. وترقى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضـل، فبـدأ بموضع مظهر المســــــيح، ثم ثنّى بموضع مظهر الكليم، ثم ختمه بموضع مظهر عبـده ورسـوله وأكـرم الخلق عليـه. ونظـير هـذا بعينه في التــوراة الـتي أنزلها الله على كليمه موسـى: (جـاء الله من طــور سيناء وأشرق من ساعير وواستعلن من فاران).
فمجيئه من طــور سـيناء بعثته لموسى بن عمــران ، وبــدأ به على حكم الترتيب الواقع، ثم ثنّى بنبوة المسيح، ثم ختمه بنبـوة محمد  (التبيان 35-55).
وهذا هو الراجح فيما أرى لأن المناسـبة بين هـذه المحـالّ المُقسم بها ظاهرة على هذا.
ثم لننظر إلى ترتيب هذه الأشياء المقسم بها:
فقد بدأ بـالتين والزيتـون. والزيتـون أشـرف وأفضل من الـتين فقد شهد الله له أنه شجرة مباركة قال تعـالى (**اللَّهُ نُورُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَـلُ نُـورِهِ كَمِشْـكَاةٍ فِيهَا مِصْـبَاحٌ الْمِصْـبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَـةٍ لَا شَـرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَـادُ زَيْتُهَا يُضِـيءُ وَلَـوْ لَمْ تَمْسَسْـهُ نَـارٌ نُـورٌ عَلَى نُـورٍ يَهْـدِي اللَّهُ لِنُـورِهِ مَنْ يَشَـاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُـلِّ شَـيْءٍ عَلِيمٌ** (35))
وهي فاكهة من وجه وإدام من وجه وزيتها يُســــتعمل في إنــــارة المصابيح والسُرُج.

ثم أقسم بطـور سـنين وهو أفضل مما ذكر قبـل، فإنه الجبل الـذي كلم الرب عليه موسى وناجاه وأرسله إلى فرعون وقومه.
ثم انظر من ناحية أخرى كيف وضع طـور سـنين بجـوار الزيتـون لا بجوار التين، وقد ورد ذكر الزيتون بجوار الطور في موطن آخر من التنزيل العزيز (في ظلال القرآن 30/190)
قـال تعـالى (**وَشَجَرَةً تَخْـرُجُ مِنْ طُـورِ سَـيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالـدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآَكِلِينَ** (20)) وهذه الشجرة هي شجرة الزيتـون بإجمـاع المفسرين. قال الواحـدي: "والمفسـرون كلهم يقولـون إن المـراد بهذه الشجرة شـجرة الزيتـون (فتح القـدير 3/463، روح المعـاني 18/22-23)"
ثم أقسم بالبلد الأمين وهو مكة المكرمة: مكان مولد رسول الله  ومبعثه ومكــان الــبيت الــذي هو هــدى للعــالمين (روح المعــاني 30/173). وهو أفضل البقـــاع عند الله وأحبها إليه كما جـــاء في الحـديث الشـريف، فتـدرّج من الفاضل إلى الأفضل ومن الشـريف إلى الأشرف.
فأنت ترى أنه تدرج من التين إلى الزيتون إلى طـور سـنين إلى بلد الله الأمين، فختم بموطن الرسالة الخاتمة أشرف الرسالات.
وقد وصف الله هـذا البلد بصـفة (الأمين) وهي صـفة اختـيرت هنا اختياراً مقصوداً لا يسدُّ مسدّها وصف آخر.
فـالأمين وصف يحتمل أن يكـون من الأمانـة، كما يحتمل أن يكـون من الأمن. وكلا المعنيين مُراد.
فمن حيث الأمانة وُصف بـــالأمين لأنه مكـــان أداء الأمانة وهي الرسـالة والأمانة ينبغي أن تـؤدى في مكـان أمين. فالرسـالة أمانة نـزل بها الـروح الأمين وهو جبريـل، وأداها إلى الصـادق الأمين وهو محمد، في البلد الأمين وهو مكـة. فـانظر كيف اختـير الوصف ههنا أحسن اختيار وأنسبه.
فالأمانة حملها رسول موصوف بالأمانة فأداها إلى شخص موصوف بالأمانة في بلد موصوف بالأمانة. جاء في (روح المعـاني): "وأمانته أن يحفظ من دَخَله كما يحفظ الأمين ما يُؤتمن عليه"
وأما من حيث الأمن فهو البلد الآمن قبل الإســلام وبعـــده، دعا له سيدنا ابراهيم  بالأمن قبل أن يكون بلداً وبعد أن صار بلـداً فقـال أولاً: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ قَـالَ وَمَنْ كَفَـرَ فَأُمَتِّعُـهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْـطَرُّهُ إِلَى عَـذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** (126)) وقال فيما بعد: (وَإِذْ قَالَ إِبْـرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَـلْ هَـذَا

**الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** (35)) فهو مدعو له بالأمن من أبي الأنبياء. وقد استجاب الله سبحانه هذه الدعوة قال تعالى (( **فيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** (97)) وقال: (**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** (125)).

فـ (الأمين) على هذا (فعيل) للمبالغة بمعنى الآمن، ويحتمل أن تكون (الأمين) فعيلاً بمعنى فعول، مثل جريح بمعنى مجروح وأسير بمعنى مأسور أي المأمون ، وذلك لأنه مأمون الغوائل (روح المعاني 30/173، البحر المحيط 8/490، الكشاف 3/348)

جاء في روح المعاني: "الأمين فعيل بمعنى فاعل أي الآمن من أمُن الرجل بضمّ الميم أمانة فهو أمين.. وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه.. وأما بمعنى مفعول أي: المأمون من (أمنه) أي: لم يَخَفه، ونسبته إلى البلد مجازية. والمأمون حقيقة الناس أي: لا تخاف غوائلهم فيه، أو الكلام على الحذف والإيصال أي: المأمون فيه من الغوائل (روح المعاني 30/173)".

وجاء في البحر المحيط: "وأمين للمبالغة أي: آمن من فيه ومن دخله وما فيه من طير وحيوان، أو أمُن الرجل بضمّ الميم أمانة، فهو أمين كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه. ويجوز أن يكون بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل (البحر المحيط 8/490، الكشاف 3/348)".

وقد تقول: ولم اختار لفظ (الأمين) على (الآمن) الذي تردد في مواطن أخرى من القرآن الكريم؟ قال تعالى (**وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آَمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** (57) القصص) وقال (**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آَمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** (67) العنكبوت).

والجواب : أنه باختياره لفظ (الأمين) جمع معنيي الأمن والأمانة، وجمع معنى اسم الفاعل واسم المفعول، وجمع الحقيقة والمجاز، فهو أمين وآمن ومأمون، وهذه المعاني كلها مُرادة مطلوبة.

ثم انظر إلى جواب القسم وهو قوله تعالى **(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) التين)** كيف تناسب مع المُقسم به

تناسباً لطيفاً ولاءمه ملاءمة بديعة. فإنه أقسم بالرسالات على بداية الإنسان ونهايته فقال: (**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** (4)) وهذه بدايته، ثم قال: (**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** (5)) وهذه نهايته.

"ثم لما كان الناس في إجابة هذه الدعوة فريقين منهم من أجاب ومنهم من أبى، ذكر حال الفريقين. فذكر حال الأكثرين وهو المردودون إلى أسفل سافلين (التبيان في أقسام القرآن 55-56) والآخرين وهم المؤمنون الذين لهم أجر غير ممنون.

ولما كانت الرسالات إنما هي منهج للإنسان وشريعة له، كان الجواب يتعلق بالإنسان طبيعة ومنهجاً، فذكر طبيعة الإنسان في قوله (**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** (4) التين) وذكر المنهج في قوله: (**إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** (6)).

وفي هذه إشارة إلى أن المنهج لا بد أن يكون متلائماً مع الطبيعة البشرية غير متناقض لها وإلا فشل.

فكان الجواب كما ترى أوفى جواب وأكمله وأنسب شيء لما قبله وما بعده.

ثم انظر من ناحية أخرى إلى قوله تعالى (**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** (4) التين) فإنه أسند الخلق إلى نفسه ولم يبنه للمجهول، وذلك أنه موطن بيان عظيم قدريه وحسن فعله وبديع صنعه فأسند ذلك غلى نفسه، وهذا في القرآن خط واضح، فإنه في مثل هذا المقام وفي مقام النعمة والتفضّل يسند الأمر إلى نفسه قال تعالى (**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** (181) الأعراف).

وقال: (**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ** (72) يس)

فانظر كيف أسند الخلق في مقام النهمة والتفضّل إلى ذاته في حين قال: (**يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا** (28) النساء) ببناء الفعل للمجهول لما كلن القصد بيان نقص الإنسان وضعفه. وقال (**خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آَيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ** (37) الأنبياء) وقال (**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا** (20) **وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا** (21) المعارج).

فانظر إلى الفرق بين المقامين، وقد مرّ شيء من هذا في مــوطن سابق.

هــذا من ناحيــة، ومن ناحية أخــرى أنه أســند الخلق إلى نفسه لأن المقام مقـام بيـان منهج للإنسـان، فـأراد أن يـبين أن واضع المنهج للإنسان هو خالق الإنسـان ولا أحد غـيره أعلم بما يصـلح له وما هو أنسب له، ولو بنى الفعل للمجهول لم يفهم ذلك صراحة.

فـأنت تـرى أن إسـناد الخلق إلى ذات الله العلية أنسب شـيء في هـذا المقـام. وقد تقـول: ولم أسـند الـرد إلى أسـفل سـافلين إلى نفسه فقال: **(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5))** وهذا ليس مقام تفضّل ولا بيان نعمة؟

فنقول: إن هذا الإسناد أنسب شيء هاهنـا ولا يليق غـيره، وذلك أنه أراد أن يـذكر أن بيـده البداية والنهايــة، وأنه القـادر أولاً وآخــيراً لا معقّب لحكمه يفعل ما يشاء في البداية والختـام، وهـذا لا يكـون إلا بإسناد الأمر إلى ذاته العليّة.

ألا تــرى أنه لو قــال: (لقد خلقنا الإنســان في أحسن تقــويم ثم رُدّ أســفل ســافلين) لكــان يُفهم من ذلك أن هنــاك رادّاً غــيره يفسد خلقته ويهدم ما بناه؟

ومعـنى قوله (**لَقَـدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَـانَ فِي أَحْسَـنِ تَقْـوِيمٍ** (4) الــتين) أنه صــيّره على أحسن ما يكــون في الصــورة والمعــنى والإدراك وفي كل ما هو أحسن (روح المعـــاني 30/175، البحر المحيط 8/490) من الأمور المادية والمعنوية.

وقال بعدها (**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** (5)) فجاء بـ (ثم) الــتي تفيد الترتيب والتراخي، لأن كونه أسفل سافلين لا يعـاقب خلقه بل يـتراخى عنه في الـزمن، فهي من حيث الـوقت تفيد الـتراخي، كما أنها من حيث الرتبة تفيد الــتراخي، فرتبة كونه في أحسن تقـــويم تتراخى وتبعد عن رتبة كونه في أسفل سافلين، فثمة بون بعيد بين الرتبتين فأفادت (ثم) هاهنا التراخي الزماني والتراخي في الرتبة.

واختلف في معنى (**أَسْفَلَ سَافِلِينَ**) فذهب قسم من المفسرين إلى أن المقصــود به أرذل العمــر، والمُـراد بـذلك: الهـرم وضـعف القُـوى الظـاهرة والباطنة وذهـول العقل حـتى يصـير لا يعلم شـيئاً (روح المعاني 30/176، البحر المحيط 8/490)

ومعنى هذا الإستثناء على هذا أن الصالحين من الهـرمى لهم ثـواب دائم غـــــــير منقطع (الكشـــــــاف 3/348) يُكتب لهم في وقت شـيخوختهم كما كـان يُكتب لهم في وقت صِـحّتهم وقــوتهم" وفي الحديث "إن المـؤمن إذا رُدّ لأرذل العمر كُتِب له ما كـان يعمل في

قوّتــه" وذلك أجر غــير ممنــون (البحر المحيط 8/490) أي غــير منقطع.

وذهب آخــرون إلى أن المقصــود به أســفل الأمــاكن الســافلة وهو جهنم أو الدرك الأسفل من النار.

ومعنى الإستثناء على هـذا ظـاهر، فالصـالحون مسـتثنون من الـرد إلى ذلك.

وركز بعضــهم على الخصــائص الروحيــة. جــاء في ظلال القــرآن: "والتركيز في هذا المقام على خصائصه الروحية. فهي التي تنتكس إلى أســفل ســافلين حين ينحــرف عن الفطــرة ويحيد عن الإيمــان المســتقيم معهــا. فهو مهيّأ لأن يبلغ من الرِّفعة مــدى بفــوق مقــام الملائكة المقربين.. بينما هــذا الإنســان مهيأ حين ينتكس لأن يهــوي إلى الــدرك الــذي لا يبلغ إليه مخلــوق قــط: (**ثُمَّ رَدَدْنَـاهُ أَسْـفَلَ سَـافِلِينَ** (5)) حيث تُصـبح البهـائم أرفع وأقــوم لاسـتقامتها على فطرتها...

**(إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُــونٍ (6))** فهــؤلاء هم الــذين يبقــون على ســواء الفطــرة ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح. ويرتقـون بها إلى الكمـال المقـدّر لها (في ظلال القرآن 30/194)".

وظاهر أن معنى الآية يتسع لكل ما ذكروه، وهي تفيد أيضاً أن حياة غــير المــؤمن نكد وغمّ، وعيشة ذنك وشــقاء قــال تعــالى : (**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْـرِي فَـإِنَّ لَـهُ مَعِيشَـةً ضَـنْكًا وَنَحْشُـرُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** (124) طه) وقال : (**حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْــرِكِينَ بِــهِ وَمَنْ يُشْـرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَـرَّ مِنَ السَّــمَاءِ فَتَخْطَفُـهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** (31) الحج).

فحياة هؤلاء هابطة سافلة بل هم في أسفل سافلين. ثم لننظر إلى الإستثناء وهو قوله تعالى : (**إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** (6) التين) فإنه اسـتثنى من الـرد أسـفل سافلين من آمن وعمل صالحاً ولم يزد على ذلك، فلم يقل مثل ما قــال في ســورة العصر (**إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ وَتَوَاصَــوْا بِــالْحَقِّ وَتَوَاصَــوْا بِالصَّــبْرِ** (3)) وذلك لاختلاف الموطـنين، فـإن سـورة العصر في بيـان الخسـران الـذي يصـيب الإنسـان، وسـورة التين فيما يُنجي من دركـات النـار، قـال تعـالى (**وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَـانَ لَفِي خُسْـرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ وَتَوَاصَـوْا بِـالْحَقِّ وَتَوَاصَـوْا بِالصَّـبْرِ** (3) العصر) فبيّن لنا أن الإيمـان والعمل الصـالح يمنعه من الـرد أسـفل

سافلين. ولكن لا يمنعه من الخسران الذي يفوته فيما لو تواصى بالحق وبالصبر فإن كلّ من ترك شيئاً من ذلك خسر شيئاً من الأجر الذي كان يربحه فيما لو فعله، فانظر الفرق بين الموطنين وبين الإستثنائين.

جاء في (التبيان) : "وتأمل حكمة القرآن لما قال: (**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ** (2)) فإنه ضيّق الإستثناء وخصصه فقال (**إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** (3)) ولمّا قال (**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** (5)) وسّع الإستثناء وعممه فقال (**إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** (6)) ولم يقل (وتواصوا) فإن التواصي هو أمر الغير بالإيمان والعمل الصالح، وهو قدر زائد على مجرد فعله. فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح فصار في خُسر، ولا يلزم أن يكون في أسفل سافلين.

فإن الإنسان قد يقوم بما يجب عليه ولا يأمر غيره، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبة زائدة. وقد تكون فرضاً على الأعيان، وقد تكون فرضاً على الكفاية وقد تكون مستحبّة.

والتواصي بالحق يدخل فيه الحق الذي يجب، والحق الذي يُستحب، والصبر يدخل فيه الصبر الذي يجب والصبر الذي يُستحب. فهؤلاء إذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر حصل لهم من الربح ما خسره أولئك الذين قاموا بما يجب عليهم في أنفسهم ولم يأمروا غيرهم به. وإن كان أولئك لم يكونوا من الذين خسروا أنفسهم وأهليهم. فمطلق الخسار شيء والخسار المطلق شيء (التبيان 91)".

ثم قال: **(فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)** قيل: ومعنى غير ممنون غير منقوص ولا منقطع، وقيل معناه غير مكدر بالمنّ عليهم (البحر المحيط 8/490، روح المعاني 30/176). والحق أن كل ذلك مراد وهو من صفات الثواب، لأنه يجب أن يكون غير منقطع ولا منغصاً بالمنة (التفسير الكبير 32/11).

فقال: (غير ممنون) ليجمع هذه المعاني كلها، ولم يقل غير مقطوع ولا نحو ذلك فيفيد معنى دون آخر.

ثم انظر كيف زاد الفاء في قوله (**فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**) ولم يفعل مثل ذلك في آية شبيهة بها وهي قوله (**إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** (25) الإنشقاق) بدون فاء. وذلك لأن السياقين مختلفان، فسياق سورة الإنشقاق أكثره في ذكر الكافرين، وقد أطال في ذرهم ووصف عذابهم فقال: (**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ**

**يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصْلَى سَعِيرًا (12) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (14) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا** (15) الإنشقاق) ثم قال مقرّعاً للكافرين مؤنّباً لهم: (**فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ {س} (21) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (22) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (23) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (24) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** (25))

في حين لم يزد في الكلام على المؤمنين عن قوله (**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا** (9) الإنشقاق).

فانظر كيف أطال في وصف الكافرين وأعمالهم وعقابهم، وأوجز في الكلام على المؤمنين، ولذا حذف الفاء من جزاء المؤمنين في سورة الإنشقاق مناسبة للإيجاز. في حين لم يذكر الكافرين في سورة التين ولم يزد على أن قال ((**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** (5) التين) يعني الإنسان، وهو غير صريح في أن المقصود به الكافرون أو غيرهم كما أسلفنا.

ثم انظر إلى كل من السورتين كيف تناولت الكلام على الإنسان. فقد بدأت سورة الإنشقاق بذكر كدح الإنسان ومشقته ونصبه (**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ** (6) الإنشقاق) وتوعّده ربه بركوب الأهوال والشدائد المتتابعة التي يفوق بعضها بعضاً في الشدة فقال (**فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ** (19)).

في حين بدأ في سورة التين بتكريم الإنسان فقال (**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** (4) التين) فناسب ذلك تأكيد استمرار أجره وعدم تنغيصه، وذلك بزيادة الفاء في التين دون الإنشقاق.

ثم قال بعدها **(فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) التين)** والمعنى: أي شيء يجعلك أيها الإنسان مكذّباً بالجزاء بعد هذا الدليل الواضح؟ والمعنى: إن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشراً سوياً وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي مع تحويله من حال إلى حال، أوضح دليل على قدرة الخالق على الحشر والنشر (الكشاف 3/349، التفسير الكبير 32/12) فإن الذي خلقك أقدر على أن

يعيدك بعد موتك ويُنشئك خلقاً جديداً، وأن ذلك لو أعجـزه لأعجـزه خلقك الأول (التبيان 61).
فانظر جلالة ارتباط هذا الكلام بما قبله.
ثم انظر كيف استدل على الجزاء بالأدلة النقلية والعقليـة. فالـدليل النقلي هو ما أخـبرت به الرسـالات السـماوية، وقد ذكر من هــذه الرســـالات كبراها وهي رســـالات موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.
والــدليل العقلي هو الإســتدلال بخلق الإنســان في أحسن تقــويم وتدريجه في مراتب الزيادة والنقص.
ثم انظر كيف اختـــار كلمة (الـــدين) ولم يخـــتر كلمة الجـــزاء أو الحساب أو النشور ونحوها، وذلك لما تقدم ذكر مـواطن الرسـالات ناسب ذلك ذكر الدين، لأن هـذه أديـان، ولأنه قد يُـراد بـذلك معـنى (الدين) علاوة على معنى الجزاء. والمعنى أي شـيء يجعلك مكـذّباً بصـحة الـدين بعد هـذه الأدلة المتقدمـة؟ فالـذي خلقك في أحسن تقــويم يرسم لك أحسن منهج تســعد به في الــدنيا وفي الآخــرة. فجمعت كلمة (الدين) معنى الدين ومعنى الجزاء في آن واحد، ولو قال فما الذي يكذبك بالجزاء لم يجمع هذين المعنيين.
فــأنت تـرى أنه اختـار كلمة (الـدين) لتقع في موقعها المناسب لها تمامــاً. ثم قــال بعــدها: **(أَلَيْسَ اللَّهُ بِــأَحْكَمِ الْحَـاكِمِينَ (8))** وأحكم الحـــاكمين يحتمل أن يكـــون معنـــاه: أعظم ذوي الحكمة وأحســنهم تــدبيراً، ويحتمل أن يكــون معنــاه أقضى القاضــين، لأن (حكم) يحتمل أن يكون من الحكمة، ويحتمل أن يكـون من القضـاء وهو الفصل في المحاكم.
وعلى الوجه الأول يكــون المعــنى: أليس الــذي فعل ذلك بــأحكم الحاكمين صنيعاً وتدبيراً وأن حكمته بالغة لا حدود لها. وإذا تـبيّن أن الله سبحانه أحكم الحاكمين –وهو بيّن- تعيّنت الإعـادة والجـزاء لأن حكمته تــأبى أن يــترك الإنســان ســدى ولا يحاسب على أعمالــه، فكيف يليق بـــأحكم الحـــاكمين أن لا يُجـــازي المحسن بإحســـانه والمسيء بإسـاءته؟ وهل ذلك إلا قـدح في حكمه وحكمته (التبيـان 33 وما بعدها، التفسير الكبير 32/12).
وعلى الوجه الثاني يكون المعنى: أليس الله بأقضى القاضين (روح المعاني 30/177، مجمع البيـان 10/512) فيحكم بين عبـاده فيما كانوا فيه يختلفون، كما قال تعالى (**قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَـادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** (46) الزمر)

فــانظر قــوة ارتبــاط هــذه الآية بما قبلها على كلا الــوجهين، فــإن حكمته تقتضي الإعـــادة والجـــزاء. والجـــزاء والفصل بين الخلائق يقتضي وجود قاضٍ، بل يقتضي وجود أقضى القاضين.
فجمع بهـذه العبـارًة معنـيين: القضـاء والحكمة بل لقد جمع معـاني عدة بهذا التعبير، إذ كل لفظ من (أحكم الحاكمين) يحتمل أن يكون بمعـنى القضـاء والحكمة فيكـون قد جمع أربعة معـان كلها مـرادة وهي (أحكم الحـاكمين) بمعـنى أكـثرهم حكمة و(أقضى الحكمـاء) و(أقضى القضاة) و(أحكم القضاة).
فانظر كيف جمع أربعة معان تؤدي بأربع عبارات في عبـارة واحـدة موجزة ولو قال (أقضى القاضين) لدلت على معنى واحد.
ثم انظر كيف جعل ذلك بأسـلوب الإسـتفهام التقريـري ولم يجعله بالأسـلوب الخـبري فهو لم يقل (إن الله أحكم الحـاكمين) ولا نحو ذلـك، وإنما قــرر المخـاطب ليقوله بنفسه وليشـترك في إصـدار الحكم فيقول: بلى (وأنا على ذلكم من الشاهدين)
ثم انظر إلى ارتبـاط خاتمة السـورة بفاتحتهـا، فـإن فاتحة السـورة في ذكر مـواطن الرسـالات العظمى وارتباطها بخاتمتها واضح بيّنــ فـإن الـذي أنـزل هـذه الشـرائع العظيمة وما تضـمنته من أحكـام سامية هو أحكم الحاكمين.
ثم انظر إلى التنسـيق الجميل في إختيـار خـواتم الآي، فـإن خاتمة كل آية اختيرت لتجمع عدة معـان في آن واحـد. فـاختيرت (الأمين) لتجمع معنيي الأمن والأمانة، و(أسـفل سـافلين) لتجمع معـنى غـير منقطع ولا منغّص بالمِنّة عليهم، وكلمة (الـــدين) لتجمع الجـــزاء والدين، و(أحكم الحاكمين) لنجمع الحكمة والقضاء.
فانظر إلى هذا الدقة في الإختيار وهذا الحسن في التنسـيق. أليس الذي قال بأحكم الحاكمين؟ بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

# لمسات بيانية في سورة الكوثر

**لماذا قال الله تعالى أعطيناك ولم يقل آتيناك؟**

سورة الكوثر تأتي بعد سورة الماعون (أرأيت الذي يكذب بالدين..) وهي تقابل هذه السورة من نواحي عديدة:

| سورة الماعون | سورة الكوثر |
|---|---|
| أرأيت الذي يكذب بالدين<br>فذلك الذي يدع اليتيم<br>ولا يحض على طعام المسكين<br>فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون | إنا أعطيناك الكوثر<br>فصل لربك وانحر<br>(المقصود بالنحر التصدق) |
| فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون (سهو عن الصلاة) | فصل لربك وانحر (أمر بالصلاة ودوام عليها) |
| الذين هم يرآؤون (مرآءاة في الصلاة) | فصل لربك وانحر (إخلاص الصلاة لله) |
| الذي يكذب بيوم الدين (لا يصدق بالجزاء ويوم الدين) | إنا أعطيناك الكوثر (الكوثر نهر في الجنة وهذا تصديق بيوم الدين والجزاء) |
| كل الصفات في هذه السورة تدل على الأبتر لأنه انقطع الخير عنه فهو الأبتر حقيقة (يكذب بيوم الدين, لا يدع اليتيم، لا يحض على طعام المسكين، ...) | إن شانئك هو الأبتر (والأبتر هو من انقطع عمله من كل خير |

وسورة الكوثر هي انجاز لما وعد الله تعالى رسوله في سورة الضحى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) في سورة الضحى وعد من الله بالإعطاء وفي سورة الكوثر عطاء وتحقق العطاء. وفي سورة الكوثر قال تعالى **(إنا أعطيناك الكوثر)** وإنا تفيد التوكيد وفي سورة الضحى (**ولسوف** يعطيك ربك فترضى) ولسوف تفيد التوكيد أيضاً. وفي سورة الكوثر **(فصل لربك وانحر)** وفي

الضـــحى (ولســـوف يعطيك **ربك** فترضـــى) اي فصل لربك الـــذي وعدك بان يعطيك وأنجز الوعد.
**إنا أعطيناك**: في بنـاء الآية لغويـاً يوجد تقـديم الضـمير **إنا** على الفعل **أعطينـاك** وهو تقـديم مؤكد تأكيد بـــ (إن) وتقـــديم أيضـــاً. فلمـــاذا قـــدم الضـــمير **إنا**؟ أهم أغـــراض التقـــديم هو الاهتمـــام والاختصاص.
فعندما نقول أنا فعلت بمعنى فعلته أنا لا غيري (اختصاص)
وأنه خلق الزوجين ...ونوحاً هدينا من قبل.. (تفيد الاهتمام)
ربنا إننا ســمعنا مناديا ينــادي للإيمــان...(تفيد الاهتمــام ) لم يقصر السماع عليهم وحدهم إنما سمع غيرهم أيضاً.
في الآية **إنا أعطيناك الكوثر** يوجد الأمران: الاختصاص والاهتمام ؛ فالله تعـالى أعطى نبيه الكــوثر اختصاصــاً له وليس لأحد ســواه وللإهتمام أيضاً وإذا كان ربه هو الـذي أعطـاه حصـرا فلا يمكن لأي أحد أن ينزع ما أعطاه الله من حيث التأكيد في تركيب الجملة.
**إنا:** ضمير التعظيم ومؤكد
**أعطيناك: لماذا لم يقل آتيناك؟**
هناك تقارب صوتي بين آتى وأعطى وتقارب من حيث المعنى أيضاً لكن آتى تستعمل لما هو أوسع من أعطى في اللغة فقد يتقاربان.
آتى تستعمل لأعطى وما لا يصح لأعطى (يـؤتي الحكمة من يشـاء) (ولقد آتينا موسى تسع آيـــات) ( وآتينـــاهم ملكـــاً عظيمـــاً). آتى تســتعمل للرحمــة، للحكمــة، للأمــوال (وآتى المــال على حبــه) وتستعمل للرشد (وآتينا إبراهيم رشده). آتى تستعمل عـادة للأمـور المعنوية (لقد آتينـاك من لـدنا ذكـرا) وقد تسـتعمل للأمـور المادية أيضاً.
أما **أعطى** فهي تســتعمل في الأمــور المادية فقط (وأعطى قليلاً وأكدى) (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى)
إذن آتى تستعمل للأمـوال وغـير الأمـوال وأكـثر اسـتعمالها للأمـور الواسعة والعظيمة كالملك والرشد والحكمة.
وأعطى للتخصيص على الأغلب وهناك أمـور لا يصح فيها اسـتعمال أعطى أصلا كالحكمة والرشد.
**وما دامت كلمة آتى أوسع اســـــتعمالا فلمــــاذا إذن لم يستعمل آتى بدل أعطى؟**
الإيتــاء يشــمله الــنزع بمعــنى انه ليس تمليكا إنما العطــاء تمليــك. والإيتاء ليس بالضرورة تمليكا (تؤتي الملك من تشـاء وتـنزع الملك ممن تشاء) (وآتيناه من الكنوز....ثم خسفنا به وبـداره الأرض) إذن

الإيتـاء يشـمله الـنزع أما العطـاء فهو تمليـك. في الملك يسـتعمل الإيتاء لأنه قد ينزعه سبحانه أما العطاء فهو للتمليك وبما انه تمليك للشخص فله حق التصرف فيه وليس له ذلك في الإيتـاء. (رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعـدي.... هـذا عطاؤنا فـامنن أو أمسك بغير حساب) أي بما انه عطاء من الله تعـالى لسـيدنا سـليمان فله حق التصرف في عطاء الله له.

وقد يكون الإيتاء آية فليس للنـبي حق التصـرف بها بل عليه تبليغها ورب العـالمين ملك رسـوله  الكـوثر وأعطـاه إيـاه تمليكـاً له أن يتصرف فيه كيفما شاء.

**لماذا قال تعالى الكوثر ولم يقل الكثير؟**

**الكوثر** من صفات المبالغة تفيد (فوعل وفيعل) تـدل على المبالغة المفرطة في الخـــير. وقيل عن الكـــــوثر انه نهر في الجنة وقيل الحوض وقيل رفعة الـذكر وغـيره وكل ما قيل يشـمل الخـير الـذي أعطاه الله تعالى لرسوله  فهو كوثر ومن الكوثر أي الخـير الـذي انعم الله تعالى على رسوله به.

**والكوثر** يدل على الكثرة المفرطة في الشيء والفرق بين الكوثر والكثير ان الكـوثر قد تكـون صـفة وقد تكـون ذاتـاً أما الكثـير فهي صفة فقط. وكون الكوثر صفة يـدل على الخـير الكثـير وليس على الكـثرة (الكثـير هو الكـثرة) ولكن الكـوثر تـدل على الخـير الكثـير والكثرة قد تكون في الخير وغيره. فالكوثر هو بالإضافة إلى الكثرة المفرطة فهو في الخـــير خصوصـــاً. وقد تكـــون الكـــوثر الـــذات الموصوفة بالخير (يقال أقبل السيد الكوثر أي السيد الكثير الخير و العطـــاء) ولا يقـــال اقبل الكثـــير. النهر عـــادة هو ذات ولكنه ذات موصوف بكثرة الخير. فالكوثر أولى من الكثـير لما فيه من الكـثرة المفرطة مع الخير وهناك قراءة للآية (الكيـثر) وهي صـفة مشـابهة مثل الفيصل.

والــواو أقــوى من اليــاء فــأعطى الله تعــالى الوصف الأقــوى وهو الكـوثر وليس الكثـير. وفي هـذه الآية حـذف للموصـوف فلم يقل تعالى ماءً كوثراً ولا مالاً كوثراً وإنما قال الكوثر فقط لإطلاق الخير كله.

وعندما عـرف الكـوثر بـأل التعريف دخل في معناها النهر ولو قـال كوثر لما دخل النهر فيه لكن حـذف الموصـوف أفـاد الإطلاق وجمع كل الخير.

وعندما أعطى الله تعالى رسوله  الخـير المطلق والكثـير فهو في حاجة للتوكيد والتعظيم ولـــذلك قـــال إنا مع ضـــمير التعظيم لأنه يتناسب مع الخير الكثير والمطلق وناسبه التوكيد أيضاً في إنا.

- قوله ( **فصل لربك وانحر** )

**لماذا لم يقل سبحانه وتعالى فصل لنا أو صل لله ولماذا قال انحر ولم يقل ضحي أو اذبح.**

بعد أن بشر الله تعالى رسوله  بإعطائه الكوثر جاء السبب بالفـاء أي أراد منه أن يشكر النعمة الـتي أعطـاه إياها ، ينبغي تلقي النعم بالشكر ولم يقل له فاشكر لان الشكر قد يكون قليلاً أو كثـيراً فلو قـال الحمد لله فقط لكـان شـاكراً لكن هـذا الأمر الكبـير والعطـاء الكبير يستوجب الحمد الكثير ولـذا طلب الله تعـالى من رسـوله  شـيئين الأول يتعلق بالله تعـالى وهو الصـلاة والثـاني يتعلق بالعبـاد وهو النحـــر. والصـــلاة أعظم ركن من أركـــان الإســـلام وهو أعلى درجـات الشـكر لله والنحر وفيه إعطـاء خلق الله والشـفقة بخلق الله. فشكر النعم يكون بأمرين شكر الله والإحســان إلى خلقه من الشكر أيضاً وعندما نحسن إلى خلق الله يكون هـذا من شـكر نعم الله.

وقدم الله تعالى الصلاة على النحر لأن الصــلاة أهم من النحر وهي ركن من أركــان الإســلام وأول ما يســأل العبد عنه يــوم الحســاب والمفروض أن تكون خمس مرات في اليوم والليلة ولهذا فهي أعم من النحر لأن النحر يكـــون مع التمكن المـــادي فقط في حين أن الصلاة لا تسقط عن العباد في أي حـال من الأحـوال من مـرض أو فقر أو غيره. وقد وردت الصلاة في القرآن على عدة صور فهي إن كــانت من الله تعــالى فهي رحمة ، ومن الرســول  دعــاء ، ومن العبـاد عبـادة وقـول وفعل وحركة الصـلاة. وكلما ورد ذكر الصـلاة والزكاة في القرآن تتقدم الصلاة على الزكاة لأنها أعم وأهم.

**فصل لربك**: **لماذا لم يقل فصل لله أو فصل لنا؟**

اللام في **(لربـك)** تفيد الاختصـاص والقصد أن الصـلاة لا تكـون إلا لله وحـــده وهي مقابلة لما ورد في ذكر المــرائين في الصـــلاة في سورة الماعون (الذين هم عن صلاتهم سـاهون، الـذين هم يـرآؤون ويمنعـون المـاعون) أما في سـورة الكـوثر فجـاءت فصل لربك أي داوم على الصلاة لربك وليس كالمرائين.

**لماذا لم يقل فصل لنا؟** في اللغة تسمى التفات من الغيبة إلى الحضور أو العكس. الصلاة تكـون للـرب وليس للمعطي فـإذا قـال فصل لنا لأفاد أن الصلاة تكون للمعطي ولكن الصـحيح أن المعطي

له الشكر فقط وليس الصلاة حـتى لا يتـوهم أن الصـلاة تكـون لأي معطي والصلاة حق لله وحده إنما المعطي له الشكر فقط. وكذلك قال تعالى إنا أعطيناك باستخدام ضمير التعظيم فلو قـال فصل لنا لأوهم انه فيه شرك (انه تعالى له شريك والعياذ بالله) أو انه يمكن استخدام ضمير التعظيم للجمع

**ملاحظة**: في القــرآن كله لا يوجد موضع ذكر فيه ضــمير التعظيم إلا ســبقه أو تبعه إفــراد بما يفيد وحدانية الله تعــالى (ولنبلــونكم بشــيء من الخــوف والجــوع ...إنا لله وإنا إليه راجعـون) (كلـوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله) (ألم نشـرح لك صـدرك، ووضـعنا عنك وزرك....وإلى ربك فــارغب) ولم يقل والينا فــارغب. وهكــذا يتبين انه لم يذكر ضـمير التعظيم في القـرآن كله إلا سـبقه أو تبعه ما يدل على الإفراد تجنباً للشرك.

واختيـار كلمة **الــرب** بـدل كلمة الله (**فصل لربك** ولم يقل فصل للــه) هــذه الآية انجــاز لما وعد الله تعــالى رســوله  في ســورة الضـحى (ولسـوف يعطيك ربك فترضـى) ومعناها صل لربك الـذي أنجز الوعد الــذي وعــدك إيــاه. والعطــاء من الرعاية ولم يــرد في القــرآن كله لفظ العطــاء إلا مع لفظ الــرب (ربنا الــذي أعطى كل شــيء خلقه ثم هــدى) (ولســوف يعطيك ربك فترضــى) (كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطـاء ربك وما كـان عطـاء ربك محـذورا) (جـزاء من ربك عطاء حسابا) لم تقترن كلمة العطاء في القرآن كله بغــير لفظ الرب، والرب هو المربي والمعطي والقيم.

**لماذا قال : ( وانحر ) ولم يقل واذبح؟**

**النحر** في اللغة : يتعلق بنحر الإبل فقط ولا تستعمل مع غير الإبل. يقال ذبح الشاة وقد يستعمل الذبح للجميع وللبقر والطيور والشــاة والإبل لكن النحر خاص بالإبل لأنها تنحر من نحرها فأراد الله تعالى أن يتصدق بأعز الأشـياء عند العـرب فلو قـال اذبح لكـان جـائزاً أن يذبح طيراً أو غير ذلك ومعروف أن الإبل من خيـار أمـوال العـرب. وبما أن الله تعالى أعطى رسوله  الخير الكثير والكوثر فلا يناسب هـذا العطـاء الكبـير أن يكـون الشـكر عليه قليلاً لـذا اختـار الصـلاة والنحر وهما أعظم أنواع الشكر.

**لماذا لم يقل وتصدق؟**

الصدقة تشمل القليل والكثـير فلو تصـدق احـدهم بـدرهم أو بطـير لكفى المعنى ولكن الله تعالى أراد التصدق بخـير الأمـوال ليتناسب مع العطاء الكثير.

**لماذا لم يقل وزكي؟**

الرسول  لم يكن يملك النصاب للزكاة أصلاً فهي غـير واردة على الإطلاق ثم إن الزكاة تجب مرة واحـدة في العـام وبنسـبة 2.5 % فقط ولما إختلف عما فرضه الله تعالى على المسلمين جميعاً ولن تكون شكراً خاصاً لله تعالى على عطائه الكثير ألا وهو الكوثر.

**لماذا لم يقل وضحى؟**

الأضـحية هي كل ما تصح به الأضـحية الشـرعية فلو ضـحى بشـاة لكفت ، والأضـــحية لها وقتها وهو أربعة أيـــام يـــوم النحر و أيـــام التشريق فقط والله تعالى لم يرد أن يحصر الشكر له على عطائه الكثير بأيام محددة.

اختلف المفسرون بالصلاة والنحر أهي صـلاة العيد أو عامة الصـلاة أو خاصة والمعـنى في الآية (فصل لربك وانحـر) تشـمل كل هـذه الحـــالات ففي العيد يكـــون النحر بعد الصـــلاة ولكن الكثـــير من المفسرين قالوا إنها عامة ويدخل فيها صلاة العيد والأضحية.

**لماذا لم يقل فصل لربك وانحر لربك؟ أو انحر له؟**

- إن المتعلق الأول لربك كأنما يغني عن المتعلق الثـاني وهو ما يســمى بظهــور المــراد أي يفهم من الآية فصل لربك وانحر لربك .
- الصـلاة أهم من النحر لأنها لا تسـقط بـأي حـال من الأحـوال فجعل المتعلق بما هو أهم والنحر لا يكون إلا مع الاستطاعة .
- الصـلاة لا تكـون إلا عبـادة ولا تكـون غـير ذلك أما النحر فقد يكون إما للعبادة وقد يكون للأكل فقط وليست بهدف العبـادة لذا النحر يختلف عن الصلاة. وإذا كـان النحر عبـادة فلا يكـون إلا لله تعالى وملعـون من ذبح لغـير الله فلو قـال وانحر لربك لألزم أن يكون النحر فقط عبادة ولما جاز لغير العبادة أبداً .

**لماذا لم يقل وتقرب؟** القربـان من التقـرب ولقد ورد القربـان مرة واحدة في القرآن الكريم في حادثة ابني آدم عليه السلام.

- قوله **( إن شانئك هو الأبتر )**

نزلت هذه الآية لما مات ابني الرسول  فقالت قـريش بـتر محمد وإذا مات أبناء الشخص المذكور يقال له أبتر.

**ما هو تعريف كلمة الأبتر وما معناها؟**

**الأبتر** في اللغة لها عدة معاني:

1. كل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر
2. إذا مـات أولاد الشـخص الـذكور أو ليس له أولاد ذكـور أصلاً
3. الخاسر يسمى أبتر

من أشهر ما ذكر في أسباب النزول حادثة وفاة ابني الرسول 
**هو الأبتر**" يقال هو الغـني لتفيد التخصـيص. هو غـني : أي هو من جملة الأغنياء.
أراد الله تعـالى أن يخصص الشـانئ بـالأبتر ولم يقل إن شـانئك هو أبتر. هو في الآية ضـمير منفصل وتعريف الأبـتر بـأل التعريف حصر البتر بالشانئ تخصيصاً.
**شنئان:** بغض.
جعل الله تعـالى مجـرد بغض الرسـول  هو خسـارة وهـذه خاصة لرسول الله .
لم يقل عـدوك هو الأبـتر لأن مجـرد الشـنئان للرسـول  هو بغض وخسارة ولو لم يعلن عداوته علناً (فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن)
**لماذا قال الأبتر ولم يقل المبتور؟**
**الأبـــتر** صـــفة مشـــبهة على وزن أفعل تفيد الثبـــوت مثل الأحمر والأعرج والأسمر والأصلع.
المبتور صيغة فعول تدل على الحدوث فترة مثل مهمـوم ومحـزون ومسرور ولا تدل على الثبوت بل تتحول.
فاستخدام الأبتر وجب بكل معاني البتر مع استمرارية هـذه الصـفة مع انقطــاع ذريته حقيقة أو حكمــاً ويقــال إن شــانيء الرســول  انقطع نسله بتاتاً إما بانقطاع الذرية أصلاً أو بإسلام ذريته من بعده فلا يدعون لأبيهم الكافر أبداً فينقطع أيضاً ذريته وذكـره بعد موتـه، فقد بتر من الذرية وبتر من الخير أيضاً (وورد أن شــانيء الرســول  هو أبو جهل الذي اسلم أبناؤه كلهم وآمنوا بالله وبرسوله ).
**لماذا لم يقل وجعلنا شانئك هو الأبتر او سنجعل شـانئك هو الأبتر؟**
الخير الكثير هو الذي يعطيه الله تعالى والعطاء يقاس بقدر العطـاء وقيمته وبقــدر المعطي فــاذا كــان المعطي عظيما كــان العطــاء عظيمـــاً. من ناحية المعطي ليس هنـــاك أعظم من الله تعـــالى والكوثر هو الخير الكثير اما الأبتر فهو ليس جعلاً إنما صفته الأصلية فهنـاك فـرق بين جعل الإنسـان بصـفة معينة او انه كـذلك بصـفته الأصلية.
**شانئك** : من حيث البيان هي أقـوى الألفـاظ وفي قـراءة (شـنئك) تفيد أن الأبتر هو الـذي بـالغ في الشـنئ. ارتبط آخر السـورة بأولها فالله تعالى أعطى في أولها الكثـير من الخـير وفي المقابل جـاءت

كلمة الأبتر وهو الذي خسر كل شيء والذي انقطع أثره من كل خير مقابل الخير الكثير الذي أعطاه الله تعالى للرسول .

الرسول  لم يخسر لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو ليس بالأبتر فالرسول  يذكر اسمه في كل ثانية وهذا خاص بسيدنا محمد  إنما الشانيء فهو الأبتر في الدنيا والآخرة وهو الخاسر مادياً ومعنوياً.
لما أمر الله تعالى رسوله  بالنحر **(فصل لربك وانحر)** مكنه من مئة من الإبل نحرها بعد نزول الآية شكراً لله تعالى على نعمه الكثيرة.

# لمسات بيانية في سورة الناس

المعوذتان هما سورتان في القرآن الكريم جمعتا الإستعاذة من الشرور كلها الظاهرة والخفيّة والواقعة على الإنسان من الخارج والتي تصدر منه من الداخل. فسورة الفلق تضمنت الإستعاذة من الشرور الظاهرة والخفية الواقعة على الإنسان من الخارج ولا يمكن للإنسان دفعها ولا سبيل لذلك إلا بالصبر لأن الإنسان الصابر إذا صبر على هذه الشرور ينال الأجر من الله تعالى على صبره ويزيد في ميزان حسناته لأن الله تعالى يجزي الصابرين.والشر في سورة الفلق مما لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه لأنه ليس من كسبه فهو غير محاسب عليه
أما سورة الناس التي بين أيدينا فهي سورة الإستعاذة ؛ من سور الإنسان الداخلية (النابعة من نفسه) وهي التي تقع على الإنسان نفسه أو على غيره وهي التي يستطيع الإنسان أن يدفعها ويتجنب ظلم النفس والآخرين وهذه الشرور إذا وقع فيها الإنسان يكون في صحيفة سيئاته.والشر المقصود في هذه السورة هو مما يدخل تحت التكليف ويحاسب عليه المرء لأنه يدخل ضمن ما نُهي عنه .

السورتان جمعتا الاستعاذة من الشرور كلها الظاهرة والخفية.. ما يدخل تحت التكليف (ما جاء في الناس)، وما لا يدخل في التكليف (ما جاء في الفلق) .. ما لا يستطيع دفعه (الفلق) وما يستطيع دفعه (الناس (ما يدخل سجل الحسنات (الفلق) وما يدخل سجل السيئات (الناس.( وكما قال عدد من المفسرين والمحققين: سورة الفلق استعاذة بالله من شرور المصائب وسورة الناس استعاذة بالله من شرور المعايب.

- قوله **( قل أعوذ برب الناس ` )**

<u>أعوذ بالله</u>: لغة هي بمعنى ألتجئ وأعتصم بالله.

**<u>قل:</u>** أمر الله تعالى للرسول  بأن يقول (قل) والأمر بالقول له أهمية كبيرة هنا ولو حذف الفعل لاختل المعنى المقصود. (قل) للإفصاح عن ضعفه والتجائه إلى ربه، فكلمة (قل) هي من باب الإفصاح والإعلان عن حاجة الإنسان إلى ربه جلّ وعلا،وهو يفصح عن حاجته هذه بنفسه وينطقها بلسانه. وفيها قتل للغرور لأن الكِبر والغرور يمنعان المرء أحيانا من طلب الإعانة وهو في حاجة شديدة إليها، ولأن الذي يطلب المعونة من غيره يمتنع عن الغرور، ولا يكتفي الإنسان بالشعور بالحاجة إلى ربه لكن ينبغي أن يُعلن حاجته لربه سواء أكان الرسول  أو غيره من الناس.

**قالوا أتشكو إليه ما ليس يخفى عليه فقلت ربي يرضى ذل العزيز لديه**

**<u>قل:</u>** في هذا الإعلان قتل بل علاج للكبر والغرور الذي في نفس الإنسان والذي قد يودي به إلى الطغيان. (إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى) لذلك لابد من قولها باللسان ولا يجوز النطق بالاستعاذة دون الأمر (قل( وهذا القول من أسباب الطاعة فإذا استعنا بالله ليعصمنا من الشرور فإنها من أسباب الطاعة له سبحانه. وإذا صاحب الإستعاذة شعور بالنفس بالحاجة إلى غياث المستغيثين ليأوي إلى ركن شديد فهذا الشعور بالحاجة إلى مولاه فهذا الشعور يُلين القلوب القاسية.

- قوله ( **قل أعوذ برب الناس ` ملك الناس ` إله الناس `** )

الإستعاذة في السورة هي بـ: رب الناس، بملك الناس، وبإله الناس من شر الوسواس الخنّاس. فالمستعاذ منه شرّ واحد والإستعاذة منه جاءت بالربّ والملك والإله من وسوسة الشيطان المُهلكة. وهذا بخلاف ما جاء في سورة الفلق حيث كانت الإستعاذة بشيء واحد من شرور متعددة. وفي هذا إشارة عظيمة إلى خطورة الوسوسة على الإنسان وعلى غيره لأنه إن استجاب لهذه

الوساوس فقد يردي نفسه في الدنيا والآخرة، أما الأمر الـذي ليس من كسبه (ما جـاء في سـورة الفلـق) فقد اسـتعاذ منه بـأمر واحد وهــذه لفتة بيانية عظيمة من هــاتين الســورتين الكريمــتين إلى خطورة البشر وخطورة الوسوسة .

وجاء الترتيب في سورة الناس على الشكل التالي: رب، ملك، إله. فالإنسـان إذا وقع في حاجة يسـتعين أولاً بخبرته وعلمه أو بمن له خبرة وتجربة ليرشده وليشـير عليه بما يفعل وهـذا هو شـأن الـربّ أي المربي فهو المرشد والمعلم والموجه ولذا بدأت الآيات به (رب النــاس). فــإذا لم ينجح فيما يريد لجأ إلى الســلطة وصــاحبها أي الملك (ملك النـاس) فـإن لم تُجـدي السـلطة نفعـاً التجأ إلى الله تعالى (إله الناس) والترتيب في الآيات في السورة هو على ســياق هـذا الـترتيب وكحاجة الإنسـان للتعامل في الحيـاة. وهو واضح في مراحل حياة الإنسان ومعاشهم، فالأجنة هي البداية ثم يخرج الناس للحيــاة ليواجهــوا المــربي الــذي يقــدم لهم ما يحتاجونه من تربية ورعاية، فإذا كبروا احتـاجوا إلى المجتمع وما ينظم علاقتهم بــه، ثم يــأتي سن التكليف حيث يحاســبه الإلــه. والمجتمعــات عموما بين الربوبية والملــك، فكل مجتمع يحتــاج صــغاره إلى المــربي ثم إلى السلطة، أما الألوهية فتتأخر وقد تخفى على بعض النــاس وتحيطها الشكوك والأوهام .. والإلحاد .. وتحتاج إلى تذكير.

وقد تــدرّجت الآيــات من الكــثرة إلى القلّة فــالربّ هو المرشد الموجّه وقد يكــون هنــاك العديد من المرشــدين والمــربّين في المجتمع لكن لكل دولة ملك واحد والدنيا فيها ملوك كثر ولكن الإله واحد للكل فانتقل في الســياق من الكــثرة للقلة من حيث دلالة الكلمة بالعدد (الرب كثير، الملك أقلّ وأما الإله فهو واحد).

وردت كلمة الناس 3 مـرات في السـورة وكل منها تعـني مجموعة من الناس مختلفة عن غيرها نوضحها فيما يلي:

كلمة " الناس " تُطلق على مجموعة قليلة من النـاس  أو واحد من الناس أو كل الناس.

والربّ هو مُرشد مجموعة من الناس قد تكـون قليلة أو كثـيرة، أما الملك فناسه أكـبر من نـاس المـربي وأما الإله فهو إله كل النـاس وناسه الأكثر حتماً. فلو جـاءت الآيـات بـرب النـاس وملكهم وإلههم لعـاد المعـنى كله إلى المجموعة الأولى من النـاس (نـاس الـرّب) دون أن يشمل غيرهم ولما تحـدد أي مجموعة من النـاس. لـذلك لا يغني الضمير هنا، بل لا بد من تكرار المضاف إليه مـذكورا صـريحا، لأن لكل معنى مختلف.

. وكلمة النــاس من حيث دلالتها العديــدة في الســورة تنتقل على عكس كلمة الرب والملك والإله من القلّة إلى الكثرة. فالتـدرج في الصفات بدأ من الكـثرة إلى القلـة، أما في المضـاف إليه (النـاس) فبالعكس من القلة إلى الكثرة، فناس المـربي أقـل، ونـاس الملك أكثر، وناس الإله هم الأكثر.
ولم تأتي الآيات في السورة بواو العطف فيما بينها ولا يجـوز أصـلاً أن يقول (برب الناس وملك النـاس وإله النـاس) وإنما جـاءت (قل أعوذ برب الناس* ملك الناس* إله الناس) وهذا حــتى لا يُظنّ أنهم ذوات مختلفة لأنها هي ذات واحدة فهو سبحانه المــربي وهو الملك وهو الإله الواحد.وحتى لا يُظن أن المقصود أكـثر من واحــد، بل هو واحد ســبحانه، فمن أراد الــرب يقصد رب النــاس ومن أراد المِلك يقصد ملك الناس ومن أراد الإله يقصد إله الناس فلا إله إلا الله
- قوله ( **من شر الوسواس الخنّـاس ` الـذي يوسـوس في صدور الناس ` من الجنّة والناس `** )
**من شر الوسـواس الخنّـاس:** جـاءت الآية باسـتخدام (من شر الوســــواس ) وليس (من الوســــواس) كما في الاســــتعاذة من الشيطان : "فاستعذ بالله من الشيطانِ الـرجيم"، لأنه هنا لم يحـدد الشيطان، بل قال : من الجِنّة والناس، فجعل الوسـواس قسـمين: من الجِنّة أو من النــاس . قد يكـــون الوســـواس من الجِنّة أو من الناس فالجِنّة فيهم صالحون وفيهم قاسطون " وأنا منا المسـلمون ومنا القاسـطون" كما قــال تعــالى على لســان الجن في ســورة الجن، لذا لا يصحّ الإستعاذة من الجِنّة عمومـاً وكـذلك النـاس نحن نستعيذ من الظالمين والأشـرار من النـاس وليس من النـاس كلهم جميعـــاً ولـــذا جـــاءت الآية بتحديد الاســتعاذة من الشر (من شر الوسـواس الخنّـاس) وأما الشـيطان فشـرّ كله لـذلك جـاءت الآية بالاستعاذة منها، أما البشر فلا، ورد في الأثر: (الــذي يخالط النـاس ويصبر على أذاهم خير ممن لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)
**الوسـواس:** كلمة وسـواس على صـيغة فعلال وهي صـيغة تفيد التكـــرار لأنه لا ينفك عن الوسوسة ويســـمى في اللغة (تكـــرار المقطع لتكرار الحَـدَث) وفيها تكـرار المقطع (وس) كما في كلمة كبكب (تكــرار كب) وحصــحص (تكــرار حص) للدلالة على تكــرار الحدث. وصـيغة فعلال تفيد المبالغة أيضـاً إذن كلمة وسـواس تفيد المبالغة والتكرار. وقد جاء التعبير في الآية بكلمة الوسـواس وليس الموسـوس لأن الموسـوس لا تفيد المبالغـة، ولأنها تقـال للشـخص الــذي تعتريه الوسوسة دون أن تفيد المبالغــة. وجـاءت الإسـتعاذة

بـــ(شر الوســـواس) وليس شر الوسوسة فقـــط للدلالة على أن الإستعاذة إنما تكون من كل شرور الوسواس سواء كـانت وسوسة أو لم تكن.

**الخنّـاس:** صـفة من (الخنـوس) وهو الاختفـاء، وهي أيضا صـيغة مبالغة، وتدل على أن الخنـوس صـار نوعا من حرفة يـداوم عليهـا. عندما يكون للمـرء عـدو فإنه يحـرص على أن يعـرف مقـدار عدائه ومدى قوته والأساليب التي تمكنه من التغلب عليه أو النجـاة منــه، وقد أخبرنا الله تعـالى عن عـدونا أن قصـارى ما يسـتطيع الإنسـان فعله هو أن نخنس وسوسته لأن الشيطان بـاق إلى يـوم الـدين ولا يمكننا قتله أو فعل أي شـــيء آخر به وإنما نســـتعيذ بالله فيخنس الشـــيطان أو أن نغفل وننسى فنقع في الوسوسة كما جـــاء في الحديث: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إن ذكر الله خنس، وإن نسي وسوس)

**الــذي يوســوس في صــدور النــاس :** ذُكر في الآية مكــان الوسوسة وهو الصدور ولم تـرد القلـوب لأن الصـدور أوسع ، وهي كالمداخل للقلب،فمنها تدخل الواردات إلى القلب، والشـيطان يملأ الصدر بالوسوسة ومنه تدخل إلى القلب دون أن تترك خلفها ممـرا نظيفا يمكن أن تدخله نفحات الإيمان، بل يملأ السـاحة بالوسـاوس قدر استطاعته مغلقا الطريق إلى القلب.

**من الجِنّة والناس** : الوسواس قسمان فقد يكـون من الجنّة وقد يكـون من النـاس والنـاس هم المعتـدى عليهم ولـذا جـاء الآية رب الناس ولم يقل رب الجِنّة والنـاس لأن النـاس لما وقع عليهم الأذى استعاذوا أو أمروا أن يستعيذوا بربهم ليخلّصـهم من شر الوسـواس والجِنّة هم الأصل في الوسوسة.وقـدم الجنة على النـاس لأنهم هم الأصل في الوسوســة، والنـاس تَبَـع، وهم المعتـدون على النـاس، ووسوسة الإنسي قد تكـون من وسوسة الجـني. والجِنّة هم الأصل في الوسوســـة، ولا تقع الوسوسة في صـــدورهم بل في صـــدور الإنس. وفي آية أخـــرى في القـــرآن الكـــريم وردت الآية بتقـــديم شياطين الإنس على الجنّ وذلك لأن السياق كان على كفرة الإنس الــذين يشــاركون الجن الوسوسة فلــذا تقــدّم ذكــرهم على الجنّ (**وَكَــذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُــلِّ نِبِيٍّ عَــدُوًّا شَــيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَـوْلِ غُـرُورًا وَلَـوْ شَـاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**) سورة الأنعام آية 112.

## الفهرس